سامي كمال الدين

رسائل المشاهير

الطبعة الثانية

إهـــــــداء ٢٠١٣
مؤسسه شمس للنشر و الاعلام
جمهورية مصر العربية

رسائل المشاهير

سامي كمال الدين

الكتاب : رسائل المشاهير

المؤلف : سامي كمال الدين

الطبعة الثانية : القاهرة ٢٠٠٩

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١٩٥٦٠

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 001 - 0

الناشر

شمس للنشر والتوزيع

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى-المقطم-القاهرة

ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٠٢)-٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٠٢)

www.shams-group.net

رسائل المشاهير

سامي كمال الدين

إهداء

إسراء..

يا قطتي الدمشقية

لا تتركيني لأكثر من خمس دقائق

أمام عينيك الرائعتين..

كي لا أحترق

أحبك

سامي

لا تبك الحاضر.. فالماضي هو كل ما تملك.

طاغور

إذا فاتك التفات إلى الـ ماضي فقد غاب عنك وجه التأس

أحمد شوقي

كانت الكتابة بالنسبة لي، على تعدد مقاصدها، فعلاً من أفعال الحرية، ووسيلة من وسائلي لإعادة صياغة ذاتي ومجتمعي، وإن تعددت في ظل الإطار ذاته أوجه الحرية التي مارستها في الكتابة.

لطيفة الزيات

مخيفة هي الكتابة دائمًا لأنها تأخذ لنا موعدًا مع كل الأشياء التي نخاف أن نواجهها أو نتعمق في فهمها.

أحلام مستغانمي

ورقة البداية

لستُ من هواة التقليب في الأوراق الشخصية لأناس رحلوا عن الحياة لأجل تحقيق انفراد صحفي أو بعثرة أسرار أناسٍ نحبهم ، بقدر ما هو بحث عن ذلك الزمن الجميل الذي طوى رغمًا عنا، وفرّ من عمرنا رغمًا عنا، ولم يعد مرة أخرى.

رسائل تختبئ في حقائب قديمة، أو بين ركام كراكيب متربة، أو ملقاة بإهمال في "السندرة"، أو ملقاة على الأرض في حجرةٍ مهجورة، أو موضوعة على "رف" نسيه أصحاب البيت من سنواتٍ طوال... لكن التقليب فيها.. إمساكها باليد.. مجرد مرور العين عليها؛ يفتح آلافًا من الضحكات والأحزان والدمعات والصور.

الأوراق هي التي يتعرى الإنسان أمامها متجردًا من كل شيء ليبوح بما لا يستطيع أن يقوله لأحد.. أو هي حسب قول نزار قباني: (أعتقد أن الكاتب لا يكون في ذروة حريته إلا في مراسلاته الخاصة، أي عندما يقف أمام المرآة متجردًا من أقنعته وثيابه المسرحية التي يفرض المجتمع عليه أن يرتديها.. فالرسائل هي الأرض المثالية التي يركض الكاتب عليها؛ كطفل حافي القدمين، ويمارس فيها طفولته بكل ما فيها من براءة، وحرارة وصدق... إنها اللحظات الصافية التي يشعر فيها الكاتب أنه غير مراقب.. وغير خاضع للإقامة الجبرية).

وهذا صحيح إلى حد كبير، ولاحظته في الرسائل المتبادلة بين إحسان عبد القدوس وروز اليوسف.. تحس أن إحسان صاحب المقالات الساخنة التي فجرت قضية الأسلحة الفاسدة، وصاحب المقال الشهير "الجمعية السرية التي تحكم مصر" عن رجال ثورة يوليو، وصاحب الروايات التي لا تحصى؛ بعالمها القصصي الخاص بها؛ بأشخاصها الذين يتحكم في مصيرهم إحسان وحده؛ تحس أنه طفل صغير يركض على شاطئ نهر وهو يكتب إلى أمه: (... كنتُ أراكِ جميلة طول عمري، وما زلتُ حتى اليوم أراكِ بضفائر طويلة في لون الذهب، وبشرتك في لون اللبن المخلوط بعصير الورد، وعيناكِ في لون الربيع تنبضان بالحياة والحنان، وشفتاكِ فيهما رحمة وكبرياء..

ما زلت تضحكين كطفلة، وما زلت تتحدثين كصبية لم تنزل بعد إلى زحام الحياة، وما زلت تعاملين الناس في تواضع وسذاجة)... إنها قصة حب بين ابن وأمه، فهو يتغزل في عينيها وشفتيها وحنانها.

كذلك البطل القائمقام يوسف صديق صاحب الشرارة الأولى التي اندلعت في ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والذي لولاه ما ارتدت مصر ثوب حريتها؛ تجده يكتب إلى زوجته سنة ١٩٣٦ : (إنني تعبت من إرسال قبلاتي إليك –وأود أن أقبلك فعلاً– فليس القول كالعمل..

إذن سنبدأ شهر العسل من جديد، وسنبدأ حياتنا الزوجية من جديد، فكل ما مضى لا أعترف أنا به، ولا أسجله على نفسي مهما كان فيه من مزايا، وعليكِ أن تعتبري نفسك الآن خطيبتي، وأن موعد زفافنا هو أول يوليو ١٩٣٦ لا ٤ إبريل ١٩٣٥...).

هو شاعر وأديب وفارس من ضباط مصر الأحرار الذي أشعل شمعة الحرية ومضى لا يريد جاهًا ولا مالاً.. ولكن ظلت سيرته الحسنة.

كذلك تجد الرئيس الراحل أنور السادات يكتب إلى أولاده بكل خفة دم: (وحشتوني يا غجر يا أولاد الغجر.. سأفسحكم بسيارة عمكم جمال..)

وتُصدم حين تطلع على رسائل أشهر رئيس مخابرات عربي يكتبها من المعتقل لأولاده، فإذا بها مليئة بذكر الله سبحانه وتعالى وآيات كتابه الكريم، رغم أننا لم نقرأ عن صلاح نصر إلا قصصًا مليئة بالنساء والتجسس والفضائح.

إن هناك حياة أخرى لهؤلاء الناس قد تكون هي الحقيقة التي لا نعرفها.. والتي تتضح من الرسائل الخاصة بهم.. ولا أعرف من الذي فعل بصلاح نصر كل هذا؟!

أما المفاجأة فكانت في رسائل محمد كريم مخرج كل أفلام محمد عبد الوهاب، ويوسف وهبي الذي يطلب ألف ليرة سلف ودين من محمد كريم، وكتابات كريم إلى فكري أباظة وكامل الشناوي والشيخ محمد رفعت وغيرهم... حوالي ٢٤ رسالة تلخص تاريخ السينما المصرية.

وفي الحقيقة فإن مسألة الرسائل في الأدب العربي شغلت كثيرين من المفكرين والكتاب.. ولعل من مميزات هذا العصر أنه لم تكن هناك أدوات اتصال مثل الهاتف المحمول والـــSMS، وإلا ما وجدت هذه الرسائل الجميلة..

بل دعنا نتخيل أن "قيس بن الملوح" و"جميل بثينة" و"كثير عزة" كان لديهم هواتف محمولة، إذن لضاعت آلاف القصائد من عيون الشعر العربي.. ولافتقدنا الرومانسية التي تسكن أشعارهم... أو لو كان لدى "جبران خليل جبران" هاتف رقمه ٠١٠ أو ٠١٢ مثلاً، لما كتب إلى "مي زيادة": (ما أجمل رسائلك يا مي، وما أشهاها، فهي كنهر من الرحيق، يتدفق من الأعالي ويسير مترنمًا في وادي أحلامي، بل هي كقيثارة "أورفينوس" تقرب البعيد، وتبعد القريب، وتحول بارتعاشاتها السحرية الحجارة إلى شعلات متقدمة والأغصان اليابسة إلى أجنحة مضطربة...).

كذلك الأمر في الرسائل الرائعة التي تركها مصطفى صادق الرافعي وضمها في كتب عنونها بـ"رسائل الأحزان" و"السحاب الأحمر" و"أوراق الورد"، وهو يدعي أنه يكتبها إلى صديق، ولكن الحقيقة أن هذه رسائل الرافعي إلى نفسه، كتبها لأجل حبيبته التي كانت له معها قصة طويلة ومعروفة، وهو سماها رسائل الأحزان لأنها على حد قوله: (هي رسائل الأحزان؛ لا لأنها من الحزن جاءت ولكن لأنها إلى الحزن انتهت؛ ثم لأنها من لسان كان سلمًا يترجم عن قلب كان حربًا، ثم لأن هذا التاريخ الغزلي كان ينبع كالحياة وكان كالحياة ماضيًا إلى قبر..!).

وهو يقول في الرسالة السادسة: (إن وصفها لهمّ جديد، وإنها الآن في نفس غيرُ من كانت فالكتابة عنها ضربٌ من العَنَت، كالترجمة من لغةٍ إلى لغة، فلولا كان ذلك والهوى متفق؛ ولكن يا شمسَ السماءُ

مجِّي من ريقك على هذا القلم حتى ينسج وشْيَه وزُخْرفه، واجمعي في هذه الصحيفة نوت الابتسام وماء الدمع، وأخرجي منهما ما يخرج النبات من الضوء والماءِ زهرًا وثمرًا وورقًا أخضر.. وحطبًا يابسًا بَعْدُ... أما إنها فِتْنة خلقت امرأة، فإذا نظرتْ إليك نظرتها الفاترة فإنما تقول لقلبك، إذا لم تأتي إليّ فأنا آتية إليك!..
خُلقت مقدرةً تقديرًا كأن كل شيء فيها وضع قبل خلقه في ميزان الجمال ووزن هناك بأهواء القلوب ومحابتها، وكأنها بعد أن تم تكوينها أرسلت الملائكة في دمها نقطة عِطر، فهي تُنفخ على القلوب برائحة الجنة...).

وهناك رسائل فدوى طوقان إلى أنور المعداوي والتي انفرد بنشرها الناقد الكبير رجاء النقاش... وهناك أيضًا رسائل إبراهيم طوقان إلى شقيقته فدوى التي نشرها المتوكل طه، حيث يكتب إبراهيم إليها من بيروت: (أختي العزيزة والدرة المكنونة، القايمة من الجونة، القاعدة على أذنيها.. بعد تقبيل وجنتيك الخضراوين، أخذت تحريرك الذي كتبته بمداد الشوق، وقد نزلت السوق وسألت عن هذا الحبر لأكتب لك به أيضًا ولكني لم أجده، فأرجوك إذا كان موجودًا منه عند الحجاوي أن ترسلي إليّ زجاجة وأنا أدفع ثمنها.
يوجد في مكتوبك أغلاط يجب أن تتجنبيها في المكتوب التالي:
(مضى زمنًا طويلاً) غلط... (مضى زمنٌ طويل) صح. لأن الذي (مضى) هو الزمن فهو فاعل، والزمن الذي وَصفُهُ أنه طويل، والوصف يكون مثل ما قبله في الإعراب).

وكانت فدوى في بدايات الدراسة في المرحلة الابتدائية وكان شقيقها مدرسًا للغة العربية في بيروت.

وفي الحقيقة فإن عظماء العالم كانوا يهتمون بالرسائل وبكتابتها.. حتى إن لم يكونوا مقدرين للحب مثل "ألفرد دي موسيه" الأحمق الذي أحب "جورج صاند" وكان عمره ٢٣ عامًا وعمرها ٢٩ عامًا وأخلصت له وجادت بكل ما تملك، لكنها حين أصيبت بالباراتيفوئيد تركها في سرير مرضها، وراح يمرح مع نساء مدينة البندقية، بل وأهانها وسبها وقال عنها إنها "الملك مجسد في امرأة".. وحين مرض وقفت إلى جواره لكنه لم يرحمها وحملها بالكره ناحيته فأحبت الطبيب الذي عالجهما معًا "بيترو باجلو" لكنه حب لم يستمر، ترجاها موسيه خلاله بأن ترجع له لكنها رفضت، وطلبت منه الرحيل فرحل وكتب لها: (طلبتِ مني أن أرحل وأنا راحل.. طلبتِ مني أن أعيش، وأنا أعيش) لكنها ردت عليه بمكتوب تقول له فيه: (وداعًا يا ملاكي.. سأراك في الصيف.. سأحبك كأخي الصغير.. كطفلي.. وداعًا يا طيري الصغير.. حب دائم من جورج العجوز).
وتركها موسيه ومات في ٢٩ مارس عام ١٨٣٤.

أما أرنست هيمنجواي فقد كتب لمحبوبته النجمة الألمانية مارلين ديتريش بعد أن ارتكب فعلته الآثمة: (آمل ألا تعثري على خيانتي، لأنني في أعماقي مخلص. ففي يوم ما وضعت خطة رائعة لتنفيذ قرار حازم بأن أحب شخصًا واحدًا وحسب. وقد اشتهرت الخطة باسم "خطة السنوات السبع لهيمنجواي" وذهبت تلك الخطة أدراج الرياح).

أما الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان فقد كتب لزوجته "نانسي" عشرات الرسائل التي نشرتها مؤخرًا في كتابها "أحبك يا روني".

يكتب ريجان إلى زوجته في ٤ مارس ١٩٨١ قائلاً:

(عزيزتي السيدة الأولى

من موقعي كرئيس للولايات المتحدة أشعر بسعادة وامتنان أن أناديكِ بلقب على المستوى القومي من أجل الخدمات التي تقدمينها، والتي تفوق كل جهدك لأنك صنعت من رجل (الذي هو أنا) أسعد رجال العالم منذ ٢٩ سنة. منذ عام ١٩٥١ فإن نانسي ديفيد أدركت الموقف الصعب لرجل وحيد لم يكن يعرف إلى أي مدى بلغت وحدته وقد اختارت أن تنقذه من حياة فارغة تمامًا، رفضت أي أمر يمكن أن يثنيها عن عزمها حتى بعض الحماقة من ناحيته.. وكانت تجهل إجابته المتأخرة وبصبر وحنان نجحت تدريجيًا أن تضيء ذهنه المظلم والمعوج، فاكتشف السعادة في أن يحب بكل قلبه. ثم أدخلت نانسي ديفيد السعادة على حياته على مدى ٢٩ سنة.

لقد حققتِ كل هذا برغم أنه لا يجد دائمًا الكلمات ليعبر بها عن امتنان لأنه بدونها كان مفقودًا. إنه يجلس في المكتب البيضاوي ومن خلاله يمكنه لو انحنى قليلاً أن يرى نافذة حجرتها فتسري فيه حرارة الحب لمجرد أنه يعرف أنها موجودة هنا خلف النافذة وهذا اعتراف من رجل استفاد الكثير من بطولتك.

وفي النهاية يوقع بإمضائه: رونالد ريجان رئيس الولايات المتحدة.

ثم ملحوظة منه.. هو – أي أنا – أحبك وأعبدك).

نعم فالحب لا يعترف بمراتب الناس وماذا يعملون.. إنه يخترق كل الحواجز، ويثقب كل جدران الصمت، ليصل إلى القلوب دون أن تبحث عنه.. هناك زجاج ضد الرصاص، وسيارات للرؤساء ضد الرصاص، لكن لا واقي من الحب فهو أقوى من الرصاص.

وتتعدد مكاتبات الرؤساء ورسائلهم، سواء في الحب أو في السياسة، فنجد بوش الأب يصدر كتابه "خاص" الذي ضم مجموعة رسائل متبادلة بينه وبين رؤساء وسياسيين ومسؤولين في معظم دول العالم.. ولكني توقفت كثيرًا أمام هذه الرسالة التي كتبها إلى صدام حسين في ٥ يناير ١٩٩١ يقول له فيها:

(فخامة السيد صدام حسين" رئيس الجمهورية العراقية، بغداد

السيد الرئيس:

ها نحن الآن عشية حرب بين العراق وبقية العالم. هذه الحرب بدأت في اليوم الذي اجتحت فيه الكويت، ولن تنتهي إلا بانسحاب العراق كليًا ودون شروط وفقًا للقرار ٦٧٨ الصادر عن مجلس الأمن الدولي. وإذا كنت أكتب إليك شخصيًا اليوم فذلك لأن الحالة على درجة من الخطورة لا يجوز معها إغفال أي فرصة توفر على الشعب العراقي كارثة متوقعة. إنني أكتب إليك لأنه قيل لي أنك تجهل مدى عزلة العراق، وما يتوقع لبلادك نتيجة ذلك..

إن هذه ليست رغبة الولايات المتحدة وحدها بل هو أيضًا موقف الأسرة الدولية كما تم التعبير عنه في ١٢ قرارًا اتخذها مجلس الأمن.

إن أفضليتنا بالتأكيد هي نهاية سلمية. لكننا في الوقت نفسه لن نقبل بما هو أقل من التطبيق الكلي للقرار الدولي ٦٧٨، لا يمكن لأي عدوان أن يكافأ، ولن تكون هناك مفاوضات. إن مبادئنا تستبعد كل تسوية. وإذا قبل العراق هذا القرار استعاد موقعه ضمن الأسرة الدولية، وفي المستقبل القصير المدى سوف يتجنب القادة العسكريون العراقيون الخسائر الكبرى.

وفي المقابل فإنك إذا لم تنسحب من الكويت، كليًا ومن دون شروط فسوف تخسر ما هو أهم من الكويت – فإن هذا البلد يحرر غدًا ويعود إلى موقعه– أما أنت فسوف تخسر مستقبل العراق.

إن الخيار بين يديك.. أكرر الخيار بين يديك.. وأحب أن أعتقد أنك سوف تتخذ قرارك بكل ضمير وكل حكمة، لأنه قرار تتوقف عليه مضاعفات هائلة).

وصدام حسين لم يستمع إلى بوش ولا اهتم بكلماته.. وكيف يهتم مثل هؤلاء الحكام سوى بأنفسهم.

دعونا نعود إلى زمننا الجميل، ونستمتع بحكاياته من خلال الأوراق الخاصة التي تحملها الصفحات المقبلة...

سامي كمال الدين

■ الورقة الأولى

حكاية أم هجرت الفن وابن ندهته صاحبة الجلالة :

رسائل روزا وإحسان .. وصايا من زمن الحب

(الكاتب المصري الكبير صحّى شعبنا النعسان،
وعلمه كلمة "الحرية والإنسان"
وكلمة "الثورة" أهداها لكل لسان،
عاشت بلادنا وعاش الكاتب المصري،
وعشت للشعب كاتب مصري يا إحسان).

في ١٩٥٥/٨/٢٤ كتب صلاح جاهين هذه الكلمات على بورتريه رسمه لإحسان عبد القدوس صاحب أشهر مدرسة صحفية في الوطن العربي، والذي وضع رواسخ منحوتة في صدر الزمان مثل عبد الحليم حافظ وصلاح جاهين ومحمود السعدني وكامل زهيري وجورج البهجوري وبهجت عثمان ومصطفى محمود ومحمد عودة وسعاد حسني وزهدي وأحمد بهاء الدين وصلاح حافظ وفتحي غانم، وغيرهم.

إحسان الذي استطاع خلق صحافة جديدة ونادرة وقاد ثورة على الأسلحة الفاسدة في عام ١٩٤٨ ضد الملك فاروق وضد حيدر باشا - وزير الحربية آنذاك - وكانت مقالاته أشبه بقذائف صاروخية: "من هو الضابط الذي يملك قصرًا في جزيرة كابري" و "محاكمة مجرمي حرب فلسطين" و "لماذا أوقف القرصان الشريف عملية السطو" و "إني أطالب بالتحقيق مع الفريق محمد حيدر باشا" و " لا يكفي تغيير الأشخاص بل يجب أن تتغير السياسة" و "من يستطيع أن يروي قصة المؤامرة".

وقد عاش إحسان عبد القدوس نجمًا له معجبات برواياته الرائعة وبكتاباته السياسية، وكانت كلماته تهز الأرض هزًا كالرياح العاتية تقتلع ما يواجهها من أشجار يبست ولم يعد لها ثمة فائدة في الغابة.
عدة ظروف ساهمت في وضع هذه الظاهرة النادرة في تاريخ العمل الصحافي العربي أولها تربيته في بيت يمزج الفن بالسياسة، إذ كان والده محمد عبد القدوس فنانًا شهيرًا قدم أروع أدواره مع المخرج محمد كريم وأمه فاطمة اليوسف رائدة المسرح التي قدمت مسرحيات لا تحصى مع يوسف وهبي واختلفت معه وعارضته، ولم يكن أحد يجرؤ أن يعارض يوسف وهبي في فرقته المسرحية، فقال لها: (من يقول لا ليوسف وهبي لا يعمل معه، وستقدم أمينة رزق الدور الرئيسي في الرواية، وستقدمين أنتِ دورًا آخر) فقررت فاطمة اليوسف تطليق فرقة يوسف وهبي والمسرح تمامًا لتضع أهم جريدة ومجلة معارضة في تاريخ الصحافة المصرية "روز اليوسف"...
وقد حكت لي هذه الرواية السيدة الرائعة أمينة رزق في لقاءٍ أخير معها قبل رحيلها في مستشفى "معهد ناصر" الذي يطل على نيل القاهرة، ولم أنشر هذا الحديث الصحفي حتى الآن تأثرًا برحيل هذه السيدة، واحترامًا لما في الحديث من أسرار.

وقد ذكرت فاطمة اليوسف عن مجلتها: (إن روز اليوسف لا ينبغي أبدًا أن تعرض بأحد، أو أن توجه الشتائم إلى أي مخلوق، ويجب أن تحتفظ المجلة دائمًا بكبريائها).

▪ قصة حب:

العلاقة التي تربط إحسان وأمه تحتاج إلى الكثير لفهمها، فهي لم تكن علاقة أم بابنها، ولكنها كانت قصة حب، وليس حبًا عاديًا.. كان حبًا جديرًا بالمسؤولية يساند فيه كلٌّ منهما الآخر في أزماته..

وقبل أن ندخل إلى عالم الرسائل المتبادلة بين إحسان وروزا، نترك الأم تحكي لنا واقعة عن ولدها إحسان وعمره ستة أشهر، حيث كتبت في مذكراتها - الصادرة عن كتاب روز اليوسف - التي أهدتها إلى إحسان: (إليك يا بني، أهدي هذه الذكريات الناقصة)

كما تقول: (وإنك لتعلم أن من الأشياء ما يصعب على المرء أن يقوله، أو يوضحه.. وإنه ليكفي أن تكون عالمًا بما في هذه الذكريات من نقص، لأطمئن إلى أنك سوف تكملها ذات يوم........).

تقول الواقعة:

(الآن وأنا أجلس في مكتبي لأكتب الحلقة الأخيرة من هذه الذكريات أرى كلما انفتح باب غرفتي.. إحسان في غرفة مكتبه الزرقاء قد خلع الجاكتة، وفك الكرافت، وعلى وجهه تلك "التكشيرة" التي لبسها إذا استغرق في العمل، كأنه عصر ذهنه، أو كأنه يريد أن يذوب في الورق الذي أمامه.. ولا أملك نفسي حين أنظر إليه من الابتسام، وخاطري تطوف به عشرات من الصور والأحداث التي كان إحسان موضوعها، أو كان بطلها.

وتقف ذاكرتي واجمة ساهمة عند حادث صغير وإحسان لم يزل ابن ستة أشهر..

كنت في ذلك الوقت لا أزال شابة السن، همّي كله منصرف إلى المستقبل الذي أحلم به، واسمي الذي أريد أن أبنيه، والنشاط الذي كاد ينسيني نفسي، وبيتي، وكل ما يتعلق بحياتي الخاصة.

وفجأة خرجت المرضعة التي كانت تعني بإحسان.. واضطررت أن استخدم في طعامه اللبن العادي الذي يباع في الأسواق.. وإذا به يصاب بتلبك خطير في المعدة، فهو يسحب ويهزل وتسكن حركته، ويضعف الخيط الذي يربطه بالحياة، ووجدت نفسي أنسى العمل الذي أنهض به، والمجد الذي أبحث عنه، وأنسى كل شيء، إلا أنني أمّ، وأن ابني في خطر.

وتضاءلت كل الأحلام الرائعة التي تطوف بي أمام حلم واحد، هو أن يعيش ولدي، وتبدد كل نشاطي للعمل الكثير غير عمل واحد، هو أن أعني بهذا الابن، وأن أبذل له كل ما أملك.

وأسرعت به إلى الطبيب، وكان الدواء الذي وصفه له يقتضي مني أن ألازمه خمسة وثلاثين يومًا لا أبعد فيها عن فراشه شبرًا واحدًا، ولم أشعر بضجر من البقاء في البيت طيلة هذه الأيام، ولم أشعر بفراغ وأنا أنسى مشاكل الحياة العامة لأحصر تفكيري في هذا الفراش الصغير. لقد اكتشفت أن العناية بابني لا تقل خطرًا ولا جلالاً عن الإيمان بمبدأ أن العمل لأي غاية كبيرة والكفاح من أجل حياته وصحته ومستقبله لا يقل شرفا عن الكفاح من أجل أي عقيدة أخرى.

ومن يومها والبيت شغل من اهتمامي قدر ما يشغله عملي وجهدي وكل متاعبي.

ولست أنسى يوم فتح إحسان فمه لأول مرة ليبكي بعد أن أسكته المرض هذا الزمن الطويل، وجريت إلى الطبيب أقول: إنه يبكي.

فقال لي: أبشري.. إنها علامة الشفاء.

لقد شعرت بعدها بأن أحلامي قد تحققت، وأن جهادي قد تكلل بالنجاح وامتلأت حياتي إلى آخرها، وصرت أفرح إذا بكى، وأقلق إذا هدأ.

ثم أذكره وقد أصبح تلميذًا في المدرسة الابتدائية، يذهب إلى المدرسة ويعود منها في بنطلونه القصير، وفي يمينه حقيبة الكتب، فإذا جاء يوم الجمعة أعطيته عشرة قروش لينفقها في نزهته؛ وهي عشرة قروش ظل يتمسك بأخذها كل أسبوع حتى بعد أن كبر وتزوج وأصبح يكسب مئات الجنيهات.

وكان إحسان وهو في هذه السن يجد كل الأمهات مقيدات في البيوت عدا أمه.. وكان هذا يدهشه، فكلما رآني أتهيأ للخروج مع الصباح سألني: "إنتي رايحة فين؟.. رايحة الشغل؟"

وأرى أنه يغضب لذلك، فأقول له: "بكرة لما تكبر وتخلص تعليمك تبقى تشتغل مطرحي وأنا أقعد في البيت".

ولم يكن في سن تتيح له أن يدرك هذا، ولكن هذه الكلمة كانت حافزًا دائمًا له على الاجتهاد في دراسته، والاحتفاظ بالنجاح كل عام، حتى ينتهي من الدراسة ويعمل بدلاً مني.. وما زلت أحتفظ بخطاب أرسله إليّ وأنا على سفر وهو في سن السابعة، يعتذر فيه عن عدم إرسال

خطابات ويقول: "أرجو أن تعرفي أني أريد أن أكتب لك كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة ولكن المدرسة والمذاكرة اللي على شانك أنا مجتهد فيهم بيعطلوني، كل يوم أقول النهاردة أذاكر، وبكره أكتب الجواب لماما العزيزة اللي أحبها أكثر من أي شيء".

وقد ظلت هذه الفكرة مسيطرة عليه حتى كبر فأصبحت عقيدة وأصبح في رأيه أن المرأة للبيت فقط لا للعمل.

أما أول احتكاك له بالسياسة والصحافة وهو تلميذ في مدرسة فؤاد باشا الثانوية وكانت مظاهرات الطلبة سنة ١٩٣٥ تجوب الشوارع هاتفة بائتلاف الزعماء وإعادة الدستور وكنت جالسة بمكتبي في الجريدة اليومية حين دخل عليّ وقد احتقن وجهه، وعلى خده الأيمن آثار كرباج ذي ثلاث شعب، وقد ازرقت خطوطه واحتبس خلفها الدم..

سألته: ما هذا؟

فقال: عسكري إنجليزي.

وعرفت أنه كان يسير في المظاهرات فلم أعترض على ذلك وجاهدت ألا يبدو عليّ أنني اهتززت لرؤيته على هذه الصورة، أما هو فلم يبك قط، وقد ورث هذه العادة عني..

ومن يومها بدأ يشترك في نشاط الطلبة السياسي والوطني وكان يجلس معي ويستمع إلى أدائي وإلى الأنباء السياسية، ثم يعود في الصباح التالي إلى مدرسته يشعل ثورة.

أما أول اشتغاله بالصحافة فقد حدث أن سافر في العطلة الصيفية إلى الإسكندرية، وتصادف أن مرض مراسل "روز اليوسف" في الإسكندرية فجأة في حين أن النشاط السياسي كله مركز هناك، فاتصلت بإحسان تليفونيًا وطلبت منه أن يحاول الحصول على بعض الأخبار وأن يرسلها إليّ فورًا.

وعرفت بعد ذلك القصة.

فقد ذهب من فوره إلى فندق "وندسور" الذي كان ملتقى كبار الساسة في ذلك الوقت.. ووجد أمامه الدكتور محمد حسين هيكل جالسًا فتقدم إليه وحياه ثم قال له ببساطة:

أنا عاوز أخبار.

ودهش الدكتور هيكل من هذا التلميذ الصغير الذي يطلب منه أخبارًا بهذه الطريقة وقال له: أخبار إيه يا ابني؟

فقال إحسان: ماما قالت لي هات أخبار!

وزادت دهشة الدكتور هيكل، حتى علم أنه ابني، فضحك كثيرًا ورحب به.. وأرسل لي يومها أخبارًا كثيرة.. ملأت سلة المهملات.

وبدأ في هذه المرحلة يكتب من حين لآخر قصة، أو حادثة، أو شيئًا من هذا القبيل، كنت أختار الصالح منه وأنشره له تشجيعًا بإمضاء "سونة" فهو أول توقيع صحفي له.

وصار إحسان كلما اقترب من نهاية دراسته يزداد حماسة لهذه النهاية.. فكان في كلية الحقوق إذا اقترب الامتحان حبس نفسه في البيت وحلق شعر رأسه كله حتى يضمن ألا يخرج ويترك دراسته

مهما كانت المغريات.. وكنت إذا سألته لماذا يحلق شعره هكذا؟ قال ضاحكًا: علشان البنات متعاكسنيش يا ماما.

وفرغ إحسانِ من امتحان الليسانس وعاد من الكلية مسرعًا قبل أن تظهر النتيجة فاحتل مكتبًا في المجلة، وأعلن نفسه رئيسًا للتحرير.. ولما اعترضت على ذلك قال لي: أمال أنا كنت باتعلم علشان إيه؟ مش علشان أشتغل وأنت تستريحي.. وحاولت أن أقنعه بأنه لابد له من بعض التمرين قبل أن يرأس تحرير المجلة ولكنه أبى ورفض أن يعمل في "روز اليوسف" إلا رئيسًا للتحرير.. ولما أخذت عليه هذا العناد، قال لي كالعادة: هو أنا جايب العناد من برة.

وكأنه أراد أن يثبت لي أنه يستطيع أن يمضي بمفرده، وأنه لا يطالب بذلك لمجرد أنه ابن صاحبة المجلة، فذهب إلى التابعي الذي كان يصدر "آخر ساعة" فالتحق بها، وكنت أعطيه لقاء تمرينه في "روزاليوسف" ستة جنيهات فأعطاه التابعي خمسة وعشرين).

وانتظرت روزا أن يعود إليها إحسان ولم يعد، حيث نجح في "آخر ساعة"، واتصلت روزا بمحمد التابعي معاتبة ومتشاجرة لإغرائه ابنها بالعمل معه.. وهاجمت التابعي بشدة رغم سرورها بنجاح ابنها.

وفي عام ١٩٤٥ عاد إحسان إلى "روز اليوسف" وكتب فيها أول مقال نشر في الصحف المصرية ضد اللورد كيلرن، وصادر النقراشي باشا -رئيس الوزراء- المجلة وقبض على احسان وسجنه.

ومن فرط حب فاطمة اليوسف لابنها حاولت أن تدخل السجن بدلاً منه.. ثار إحسان على أمه، وشهد مكتب وكيل النيابة مناقشة حادة

بينهما فكل منهما يريد تحمل المسئولية.. وتحمل إحسان المسئولية بناء على تحقيق النيابة ودخل السجن.. وعند خروجه عينته والدته رئيسًا للتحرير، وتركته يدخن أمامها للمرة الأولى في حياته.. وفي هذه المناسبة كتبت له خطابًا مفتوحًا قالت له فيه:

(ولدي رئيس التحرير،

عندما اشتغلت بالصحافة وأسست هذه المجلة كان عمرك خمس سنوات، قد لا تذكر أني حملت العدد الأول ووضعته بين يديك الصغيرتين وقلت: هذا لك!

ومرّ عشرون عامًا قضيتها وأنا أرقب في صبر وجلد نمو أصابعك حتى تستطيع أن تحمل القلم، ونمو تفكيرك حتى تستطيع أن تقدر هذه الهدية التي كونتها بدمي وأعصابي خلال سنين طويلة لتكون اليوم لك... والآن وقبل أن أضعك أمامي لأواجه بك الناس، دعني أهمس في أذنك بوصية أم إلى ابنها، ووصية جيل إلى جيل: مهما كبرت ونالك من شهرة، لا تدع الغرور يداخل نفسك، فالغرور قاتل.

كلما ازددت علمًا وشهرة فتأكد أنك مازلت في حاجة إلى علم وشهرة.

حافظ على صحتك، فبغير الصحة لن تكون شيئًا.

مهما تقدمت بك السن فلا تدع الشيخوخة تطغى على تفكيرك.. بل كن دائمًا شاب الذهن والقلب وتعلق حتى آخر أيامك بحماسة الشباب.

حارب الظلم أينما كان، وكن مع الضعيف على القوي ولا تسأل عن الثمن.

كن قنوعًا، ففي القناعة راحة الحسد والغيرة.
ثق أني دائمًا معك بقلبي وتفكيري وأعصابي.. فألجأ إليّ دائمًا.
وأخيرًا.. دع أمك تستريح قليلاً!).

▪ المرأة للبيت:

ورغم أن إحسان قدم لنا امرأة مختلفة في رواياته؛ سواء في تحررها أو طريقة تفكيرها، إلا أنه كان يتفق مع أمه في كل شيء، ويطيعها ويسمع كلامها إلا في شيء واحد ظل مؤمنًا به حتى نهاية حياته وهو أن المرأة للبيت، وأنها لا تستطيع التوفيق بين بيتها وعملها وأنها مهما تعلمت وتحررت ونجحت فهي في النهاية تتبع رجلاً تكرس حياتها له.
وحتى بعد أن كتب "أنا حرة" ناقشته أمه في هذه القضية – المرأة – حيث طرح في "أنا حرة" امرأة ذات شخصية قوية ولها آراؤها المستقلة.. جاهدت حتى تحررت من عبودية المرأة للرجل، ورفضت أن تتزوج زواجًا لا تريده، وتخرجت في الجامعة ونجحت، لكنها في النهاية وهبت نفسها لرجل أحبته وغيرت حياتها كلها لأجله.. بل وعاشت معه ثماني سنوات بغير زواج.. ولم تتفق معه أمه في نهاية هذه القصة... ولكن إحسان هو إحسان.

وقد حكت لي السيدة نيرمين القويسني مديرة مكتب إحسان عبدالقدوس لمدة ٣٥ عامًا وابنة خالة زوجته، والتى أعطتنى رسائله

ونشرتها في جريدة الخليج الاماراتية في العدد ٩٥٢٣ بتاريخ ١٥ يونيو ٢٠٠٥ قائلة: "في ستات كانوا يسهروا من غير أزواجهم عند إحسان، فكان يبقى شديد معهم ويقول لهم: مين هايروحكم.. ولو واحدة عندها ابن كان يكلمه بنفسه في التليفون آخر السهرة ويقول له: تعال خد مامتك.. أصله ما كانش يحب الحال المايل".

وتحت أيدينا رسالة كتبتها روز اليوسف إلى ابنها في ١٩٤٦/٦/٢٢ تقول له فيها:

(عزيزي الأستاذ إحسان

وصلنا خطابكم، وسررنا بوصولكم سالمين، ونرجو ألا يتسرب اليأس إلى نفسكم، كما أرجو أن تتصلوا بالأستاذ محمد نجيب مراسل المصري، وأن تترددوا على النادي المصري ففيه كما يقولون كل الشخصيات المصرية التي يجوز أن تنفعكم في عملكم.

وإنني اقترح دفع مبلغ ٣٠ جنيهًا من جانبي لماركوني كتأمين لبرقياتك التي سترسلها إلينا، فإذا حدث حادث هام فأرسله إلينا في يوم السبت فقط... وإنني أنصحك بتتبع كل أخبار الصحف الإنجليزية لمعرفة مجرى الأحداث،وأعلمك بأن المفتي في قصر عابدين قام بالتأثير في الأوساط الإنجليزية الرسمية وغير الرسمية، وأعمل كل جهدك ولا تيأس، والجميع يهدونك تحياتهم، وهم في صحة جيدة، وتقبل شوقي وقبلاتي.)

أمك فاطمة اليوسف

٢٢ /١٩٤٦/٦

▪ ابن روز

في قلب إحسان عبدالقدوس مكان لروز اليوسف لا يستطيع أحد أن يحتله سواها، فهي التي ساندته وآزرته، حين هوجم في بداية حياته العملية وبدأت الهزيمة تكسو ملامحه، وأحس بطعم الملح بين شفتيه عندما دأبت إحدى الصحف على مهاجمته كل صباح في صفحاتها الأولى تحت اسم "ابن روزا".

عندئذ قرر إحسان الهروب واعتزال الكتابة، فجاءت له أمه بمجموعة أعداد من مجلة "الكشكول" صارخة فيه "اقرأ ما كانوا يكتبونه عن أمك".. وكان ما هو مكتوب جارحًا أكثر مما كتب عنه مثل،" إلى عماد الدين ياروزا".. أي لا علاقة لك بالصحافة فاذهبي إلى شارع التمثيل، وقالت له أمه: أين "الكشكول" الآن؟ لقد اختفت وبقيت أنا روزاليوسف، إحسان.. إذا كنت تؤمن بما تكتبه فاكتب وهذا هو المهم.

وإحسان يرى أن أمه سيدة مختلفة وأنها حين روت حياتها لم ترو كل شيء إذ يكتب: (.. لا أدري كيف استطاعت أن تحملني تسعة شهور وهي واقفة على خشبة المسرح تعتصر الفن من دمها وأعصابها لتكون يومًا أعظم ممثلة في الشرق..

ولا أدري كيف استطاعت أن تطرد عني الموت الذي طاف بي مرات خلال طفولتي وصباي، في حين أنها كانت دائمًا بعيدة عني تسعى في طريق مجدها..

ولا أدري كيف استطاعت أن تنشأني هذه النشأة، وأن تغرس فيّ هذه المبادئ وهذا العناد، وأن تقودني كطفل وكشاب في مدارج النجاح، في حين أني لم ألتق بها أبدًا إلا وفي رأسها مشروع وبين يديها عمل..

كيف استطاعت أن تجمع في شخصها كل هذا؟.

وإذا كانت قد استطاعته، فكيف تستطيعه أي سيدة أخرى تريد أن تسعى سعيها..

إنها لم تكن غنية يوم ولدتني ويوم نشأت في رعايتها، ولا كان أبي غنيًا.. فلم يكن لديها قدرة على استئجار مربية لتعهد بي إليها، ولم تكن الحياة قد سهلت إلى هذا الحد الذي نراه الآن لتيسر تربية الأطفال.. إنما هي التي صنعتني بيديها.. هي التي أرضعتني، وهي التي أعدت طعامي، وهي التي بدلت ثيابي، وهي التي قامت على مرضي، وهي التي وضعتني في فراشي، وهي التي علمتني كيف أخطو، ولقنتني كيف أنطق..

صنعتني بيديها، كما صنعت مجدها بيديها، كل يوم من أيام هذا المجد وكل حرف فيه، وكل خطوة من خطواتها.. هي وحدها صاحبة الفضل فيه، وليس لأحد الفضل عليها..

هي التي التقطت دروس الفن وجعلت من نفسها "سارة برنارد الشرق" كما أطلق عليها نقاد ذلك الجيل..

هي التي علمت نفسها القراءة، ولم تدخل مدرسة ولا اضطرها أحد إلى تعلمها..

وهي التي دخلت ميدان الصحافة وفي يديها خمسة جنيهات، وأنشأت مجلة تحمل اسمها يكاد يكون اسمًا أجنبيًا -وهو الاسم الذي اشتهرت به على المسرح- فاستطاعت أن تجعل من هذه المجلة أقوى المجلات نفوذًا في الشرق، وأن ترسم بها مستقبل مصر، واستطاعت أن تجعل من هذا الاسم الذي يكاد يكون أجنبيًا، علمًا يضم تحته كل الكتاب وأنضج الآراء، ولا يثير عجبًا في مصر، كما لا تثير الأهرام أو أبو الهول عجبًا في مصر، بين بني مصر..

وهي التي لقنت نفسها أصول الوطنية والمبادئ السياسية إلى أن استطاعت أن تملي أدق الآراء، وأن تتنبأ أصدق التنبؤات..

وفي تاريخ "روز اليوسف" الطويل، أي منذ ثمانية وعشرين عامًا إلى اليوم، لم يسقط رأي من آرائها، ولم تخط مصر خطوة من تاريخها إلا وكانت هي الداعية لها..

وهي هذه السيدة التي لا تحمل شهادة مدرسية ولا مؤهلاً علميًا.. هي التي أخرجت جيلاً كاملاً من الكتاب والسياسيين ومن الصحفيين.. هي التي أرشدت أقلامهم، وهي التي وجهتهم، وهي التي بثت الروح فيهم، وهي التي انتقتهم ورشحتهم لمستقبلهم.. ولا تزال إلى اليوم تخرج منهم فوجًا بعد فوج.

وهي السيدة اليتيمة التي واجهت مسؤوليات الحياة وهي في السابعة من عمرها.. هي التي استطاعت يومًا أن تتحدى كل سلطات الدولة.. الإنجليز والملك والأحزاب كلها... وتألبوا عليها جميعًا يحاولون هدمها ويحاولون القضاء على هذه الصفحات الثائرة التي تحمل

اسمها.. ولكنهم لم يستطيعوا إلا أن يجعلوها فقيرة أحيانًا، وأن يسجنوها حينًا، وأن يصادروها عشرات المرات، وأن يحاكموها مئات المرات.. وأن.. وأن.. ولكن الصفحات الثائرة ظلت تصدر دائمًا وبانتظام، لم يستطع أحد منهم أن يقضي عليها، ولم يستطع أحد أن يحني هذا الرأس العنيد القوي، ولم يستطع أحد منهم أن يكون أقوى من هذه الوحيدة اليتيمة.. السيدة!.

كيف حدث هذا؟!

أنا نفسي لا أدري!.

وكنت أحيانًا أضع نفسي بعيدًا عنها وأجرد نفسي من عاطفتي نحوها، ثم أحاول أن أدرسها كما يدرسها أي غريب عنها، علني أجد مفتاحًا لشخصيتها، وعلني أخرج من دراستي بقاعدة عامة لحياتها أطبقها على بنات جنسها.. ولكني كنت أخرج دائمًا بمجموعة من المتناقضات لا يمكن أن تجتمع في إنسان واحد..

إنها هادئة رقيقة تكاد تذوب رقة.. يحمر وجهها خجلاً إذا ما سمعت كلمة ثناء.. ويكاد صوتها الناعم الخفيض الرفيع المنغم يشبه صوت فتاة في الرابعة عشرة.. وهي تفضل العزلة، ولها دنيا خاصة تعيش فيها، وليس لها كثير من الأصدقاء الخصوصيين، رجالاً أو نساء، وأغلب من يعرفونها لا تعرفهم، وهي تكره المجتمعات وتكره أن تقيم في بيتها حفلة أو مأدبة، بل إنها في بعدها عن الناس يفوتها كثير من المجاملات، حتى هذه المجاملات، التي يتطلبها العمل.. وهي بعد كل هذا قلب طيب ينشر الحب والسلام حوله، حتى تبدو ساذجة

تستطيع أن تضحك عليها بكلمة، ويد سخية تعطي باستمرار وتأبى أن تأخذ نظير ما تعطي..

هذا وجه من أوجه شخصيتها.. وجه تراه في بيتها، وهي واقفة في المطبخ تعد طبق ورق العنب، كزوجة مثالية، ثم تدور بين الغرف ترتب قطع الأثاث أو تنمق أواني الزهر.. أو تراها في مكتبها وكل شيء هادئ من حولها والعمل يسير في نظامه الرتيب.

وفجأة يتغير هذا الوجه.. فإذا بها أعنف من العاصفة، وإذا بهذا الصوت الرفيع يرتفع ليزلزل مكاتب المحررين وعنابر المطبعة من حوله.. وإذا بها قوية إلى حد القسوة، جريئة إلى حد التهور، لا تخفي رأيًا صريحًا ولا تصون مصلحة من مصالحها.. جريئة إلى حد أن تقول لكريم ثابت عندما جاءها يبلغها تهنئة فاروق بمرور عام على أعوام مجلتها: "قل لمولاك أني أرفض تهنئته"، وجريئة إلى حد أن تقول لإبراهيم عبدالهادي وهو في سطوة نفوذه: "يا إبراهيم استقل".. وجريئة إلى حد أن تتحدى وحدها مظاهرة ضخمة أطلقها الوفد عليها ليحطم دارها..

وإذا بها مختلطة بالناس إلى حد أن تتردد على دور الأحزاب، وتشترك في الاجتماعات السياسية، وتدعو الزعماء إلى بيتها.

وإذا بها قاسية إلى حد أن تطردني من العمل أو تستغنى عن خدمات محرر آخر، ربما لم يمض على منحه مكافأة أسبوع واحد، وبخيلة إلى حد أن ترفض قرضًا لعامل قد تكون وهبته بالأمس إعانة من جيبها الخاص..

وتبحث كل هذه المتناقضات.. فإذا بها كانت محقة في هدوئها، وكانت محقة في ثورتها، وكانت محقة في طيبتها.. وكانت محقة في قسوتها، وكانت محقة في كرمها، وكانت محقة في بخلها..

ولكن ما هي الشخصية الواحدة التي تملي عليها كل هذه التصرفات..

هل يكفي أن نقول أنها ذكية؟..

هل يكفي أن تقول أنها قوية؟..

هل يكفي أن نقول أنها صادقة الإحساس؟ وأن تصرفاتها كلها تصدر عن هذا الإحساس؟..

أنا نفسي لا أدري!

فإذا اقتربت منها وحاولت أن أدرسها بإحساس كابن لها، ازددت حيرة وواجهتني نفس المتناقضات.. فهي أم حنون مرهفة العاطفة، إلى حد أنها لا تزال أحيانًا تبكي وهي تقبلني، بل إن عاطفتها تغلبها أحيانًا فتقبلني أمام زملائي المحررين، وأذوب أنا خجلاً منهم!! بل أنها تفرح باليوم الذي أقضيه في بيتها كأنها أم ريفية تستقبل ولدها بعد غياب طويل، وتكاد تشعرني أنها ابنتي أكثر منها أمي فأضمها بين ذراعي وأسند رأسها على صدري وأرتب عليها وأغمر جبينها الطاهر بقبلاتي كأنها طفلة تحتمي بي.

ويبلغ من حنانها، أنها -قبل أن أشترك معها في العمل- كانت تخفي عني كل ما يصيبها من نكبات، وحدث أن خسرت كل ما تملك نتيجة حملة اضطهاد سلطتها عليها حكومة الوفد، حتى أنها لم تستطع أن تدفع مرتبات الخدم والسائق، فتركوها جميعًا وكل منهم يترك دموعه

فوق يدها وهو يقبلها.. واستطاعت أن تستخلص القليل مما بقي لتضمن للمجلة استمرار ظهورها، ثم مرت أيام لم تكن تجد فيها ثمن الطعام الذي تأكله.. وكنت في ذلك الحين أقيم مع أبي، وأتردد عليها كل أسبوع فتعطيني عشرة قروش للذهاب إلى السينما.. وفي وسط هذه الظروف القاسية التي تمر بها، حرصت على أن تعد لي دائمًا هذه العشرة قروش، وهي في حاجة إلى خمسة منها لتأكل بها.. كل ذلك حتى لا أدري وحتى لا أشاركها همها فيصيبني اليأس قبل أن يشتد ساعدي..

وفي خلال الحرب الأخيرة مرت بها أزمة أخرى.. واضطرت أن تبيع سيارتها في الوقت الذي كان كل أصحاب الصحف يبنون الثروات.. وكانت تضطر أن تسير على قدميها كل صباح ساعة كاملة من بيتها في الزيتون إلى سراي القبة لتركب الأتوبيس الذي يوصلها إلى مكتبها، ثم كانت تقول لي أن الطبيب أوصاها بالسير الطويل محافظة على صحتها!! حتى لا أدري، ولا أشاركها همها..

كل هذا الحنان الذي لا تستطيعه كل أم، كان يقابله قسوة لا أعتقد أيضًا أن كل أم تستطيع أن تقسو بها على ابنها..

فقد طردتني مرة -كما قلت- من العمل، وأنا متزوج وصاحب أولاد، أو على الأصح تركتني أخرج من العمل، وظلت عامًا كاملاً لا تخاطبني، وقد تلتقي بي فتتجاهلني، وأمد يدي لأقبل يدها فترفضها.. بل أنها ضربتني يومًا في مكتبي وبين زملائي عقب تخرجي من الجامعة.. وهي إلى اليوم لا تزال تقسو أحيانًا علي وعلى شقيقتي،

ويبلغ من قسوتها أننا لا نعرف لها سببًا، ولكننا دائمًا نعرف السبب بعد أن نثوب إلى الطريق الصحيح.

وأني أعترف أن هذه القسوة كانت من الأحجار القوية في بنائي، وإعدادي للعمل الذي أقوم به..

ولكن كيف تستطيع هذه الأم الحنون إلى هذا الحد، أن تقسو إلى هذا الحد؟

كيف تستطيع أن تجمع بين هذه المتناقضات في شخصية واحدة؟

كيف تستخلص من هذه الحياة الشخصية قاعدة تتبعها كل سيدة تريد أن يكون لها هذا الجهاد؟..)

▪ حبيبتي ماما

هكذا يأخذني إحسان بروعته إلى إحدى الرسائل التي كتبها إلى أمه وهو في سويسرا.. وقد خطها على ورق الفندق الذي كان يقيم فيه هناك.. وهذه الرسالة تعد تحفة أدبية نادرة، بل رائعة روعة رواياته نفسها.. إنه يقتحمك بروعته ودفء كلماته وحبه لأمه.

يكتب إحسان عبدالقدوس إلى أمه صاحبة هذه الأفضال عليه فتتمدد كلماته على شاطئ البحر فينبت العشب وتتفتح السماء وتزهر الحياة.. يجلس في فندق سويسري ويكتب لأمه:

("حبيبتي ماما"

أكتب إليكِ وأنا جالس في شرفة الفندق.. وبحيرة "لوجانو" تحت قدمي، وجبل عن يميني وجبل آخر على يساري، وبين أحضاني أشجار رائعة طرز الخريف أوراقها باللون الأحمر والأصفر والأخضر ولكني -في هذه اللحظة- لا أرى البحيرة ولا الجبال ولا الأشجار، ولا الخريف... أراكِ أنت وحدكِ، أراكِ في قلبي؛ وأراكِ في عيني.. أراكِ جميلة وعظيمة.. أجمل وأعظم من كل ما في أوروبا..

إن الله لم يخلق شيئًا أجمل من أمي، ولا أعظم من أمي..

وكنت أراكِ جميلة طول عمري.. وما زلت حتى اليوم أراكِ بضفائر طويلة في لون الذهب، وبشرتك في لون اللبن المخلوط بعصير الورد، وعيناكِ في لون الربيع تنبضان بالحياة والحنان.. وشفتاكِ فيهما رحمة وكبرياء.. ورأسك مرفوع دائمًا.. رأس أقوى من الشر.. رأس ملاك.. كنت دائمًا أراكِ ملاكًا. ولكني لم أكن مقتنعًا بعظمتك كما أنا مقتنع الآن.. كنتُ في صباي لا أستطيع أن أقدر لماذا أنتِ عظيمة؟.. ماذا فعلتِ حتى تكوني عظيمة.. إنك مشهورة.. وإنك ناجحة.. نجحت في المسرح، ونجحت في الصحافة، ولكن ليس كل المشهورين عظماء.. وليس كل الناجحين عظماء.. فلماذا أنت عظيمة.. ما سر عظمتك؟!

هكذا كنت أتساءل في صباي.. ثم كبرت، وتوليت العمل، ودخلت معركة الحياة.. فبدأت عظمتك تتكشف لي.. وعن طريق تجاربي في محيط البشر والعمل، وبقدر ما عانيت وتعبت حتى أكون إنسانًا ناجحًا

أستطيع أن أقدر عظمتك وأصل إلى سرها.. وأن الإنسان العظيم هو الذي يستطيع أن ينجح وأن يصل إلى القمة محتفظًا بكبريائه ومبادئه وبساطته.. وهذا هو أنتِ يا أعظم الناس.. لقد نجحت من دون أن تؤذي أحدًا.. ومن دون أن تفقدي طبيعتك السمحة البسيطة.

ما زلتِ تضحكين كطفلة، وما زلتِ تتحدثين كصبية لم تنزل بعد إلى زحام الحياة، وما زلتِ تعاملين الناس في تواضع وسذاجة، كأنك لست صاحبة أعنف معارك سياسية خاضتها الصحافة المصرية.. وما زالت ترضيك الأشياء الصغيرة التي تحمل معانٍ إنسانية كبيرة.. ووردة أو كلمة حلوة وتترفعين عن الأشياء المادية مهما كبرت، ما دامت لا تحمل معنى كريمًا.

كلما كبرتُ ازددت اقتناعًا بأني لا أستطيع الاستغناء عنك أبدًا في العمل، وأنك لو تركتني وحدي فلن أستطيع أن أفعل شيئًا، وهذا الإحساس يجعلني أخاف.. أخاف المستقبل، مستقبلي، فلا تتركيني أبدًا.. أرجوك لا تتركيني أبدًا.. إنني أعيش وأعمل بأنفاسك وبوجودك.

ماذا أهديك؟

هل تقبلين أن تكون هديتي حديثًا عن نفسي؟!

سأحدثك عن نفسي إذن.. سأحدثك عن ابنك.. لأنني لم أحاول قبل اليوم أن أحدثك عن شيء إلا وقطع حديثنا جرس التليفون، أو دخول الأستاذ عارف أو الأستاذ عبد السلام.

إنك تعتقدين أنني ورثت طباعي وأخلاقي عن والدي.. وهذا ليس صحيحًا للأسف.. فإن أهم ما يميزه هو قناعته ورضاؤه عن نفسه..

وأنا لست قنوعًا ولا راضيًا عن نفسي، ولو كنت؛ لكنت سعيدًا وما تعذبت. أنا شيء آخر.. إنني لا أعرف ماذا أريد.. هل أريد أن أكون سياسيًا أم أديبًا، هل أريد أن أكون صاحب عمل أم مجرد كاتب، هل أريد أن أخوض معارك أم أنجو من المعارك وابتعد عنها، أريد أن أكون مليونيرًا، أم أريد أن أكون إنسانًا بسيطًا لا يحمل هم الملايين، ولأنني لا أعرف ما أريد فأنا غير راض عن تصرفاتي التي تتخبط وتتعارض.. ويبدو أثرها في حياتي وعملي وفي معاملة الناس.. والنتيجة أنني لست سعيدًا، فالسعادة في أن أكون ما أريد.. إنني إنسان خجول وهذا الخجل مرده أني أخاف الفشل إلى حد كبير؛ إلى حد الجبن، وهذه الطبيعة تبدو في حياتي العامة كلها وفي عملي.. إن في رأسي مشروعات كثيرة كبيرة، ولكني لا أقدم على تنفيذها خوفًا من الفشل...

ولكن هناك شيئًا واحدًا يحميني من هذا الضعف وهو أني أعرف تمامًا ماذا تريدين أنتِ... (كلام غير واضح)... ولأني أحب أمي فإنني أفعل ما تريده.. إنها تريد دار روز اليوسف دارًا صحافية قوية.. وهذا ما سأفعله وما أقسم عليه، بل هذا هو الخط الوحيد الثابت المستقيم الذي يحدد حياتي وأهدافي.

محتاج إلى أن أقبلك كثيرًا.. كثيرًا جدًا.. محتاج إلى أن أضع رأسي على صدرك وأنام.

أحبك)

إحسان

وفي ١٩٤٧/٧/١٩ كتبت إليه أثناء سفره إلى باريس قائلة:

(ولدي إحسان

قبلاتي لك.

سبق أن كتبت لك بعنوانك في باريس، إنني متعبة، وأصارحك أنني الآن في حال لا تمكنني من مواصلة العمل في هذا الجو، وهذا الحال الذي يضطرني كثيرًا إلى الحضور إلى الإدارة صباحًا ومساءً، كما أن الحالة السياسية المصرية خاصة في مراحل المفاوضات الأخيرة، وكذلك انتقال مصر إلى حالة جديدة، كل هذا يتطلب وجودك الآن في المجلة.

ولقد جاءني اليوم خطاب منك تقول فيه إنك اتفقت مع إحدى الصحافيات الإنجليزيات على كتابة مقال أسبوعي للمجلة نظير ثمانية جنيهات على المقال الواحد نشر أم لم ينشر، وطلبت مني أن أوافيك بعقد بيني وبين هذه السيدة لتوقع عليه، وهذا الطلب يمكنني التحدث فيه حين حضورك، فالحالة المالية الآن لا تسمح بصرف مثل هذا المبلغ أسبوعيًا.

شاهدت مع لولا -(زوجة إحسان)- صورة جديدة لك، فحمدت الله أنك في صحة جيدة، وفي الوقت نفسه أيقنت أنك "ولد خسران" لا تهتم بإرسال صورة لوالدتك. أما أختك ميمي فإذا لم تكتب لك خطابًا مطولاً وهذا عائد إلى تبلبل أفكارها بشأن الزواج.. والحمد لله قد تزوجت من شخص أخلاقه توافق أخلاقها والعكس بالعكس، والمهم في الموضوع - وكما أعتقد أن هذا يهمك - أن تكون في معيشتها

الجديدة متفقة مع الشخص الذي اختارته زوجًا لها، والاستعداد قائم الآن من والد ووالدة العريس لعمل شقة لهما ومن حسابهما الخاص.
أما مسألة المائة جنيه فهناك مفاوضات ومباحثات وجهود لإعادتها إلى جيبك وإلا..

قبلاتي لك

والدتك روز

١٩٤٧/٧/١٩

وهذه الرسالة لا تحتاج إلى شروح.

أما الرسالة التي كتبها إحسان إلى جمال عبد الناصر صديقه الذي اعتقله، فلم تكن لأجل غرض شخصي يريده إحسان.. ولكنها كانت بخصوص رسام روز اليوسف الشهير جمال كامل الذي اعتقل.. وعلاقة عبد الناصر وإحسان بدأت قبل الثورة.. حيث كان الضباط الأحرار يتابعون حملته التي شنها على الأسلحة الفاسدة.. لكن عبد الناصر اعتقله عام ١٩٥٤ حين كتب مقالاً بعنوان "الجمعية السرية التي تحكم مصر" وطالب فيه بعودة الضباط الأحرار إلى ثكناتهم العسكرية فهم قاموا بدور كبير ولابد من أن يحكم البلد مدنيون..
وقد كتب في رسالته:

(سيادة الرئيس جمال عبد الناصر..

عزيزي السيد الرئيس

تحية إيمان وإخلاص..

أتقدم إليكم ملتمسًا أن تصدروا أمركم بالنظر في موضوع اعتقال جمال كامل رئيس قسم الرسم والإخراج بدار روز اليوسف.

وقد عمل جمال كامل في دار روز اليوسف مدة عشر سنوات، استطعت خلالها أن أراقب اتجاهاته السياسية وتفكيره السياسي ونشاطه داخل مجال العمل، وخارج مجال العمل، وتأكدت من صدقه ووطنيته وتحرره من الشيوعية أو من غيرها من المذاهب الدخيلة علينا.. ثم كانت الثورة، فكان دائمًا، وفي جميع أطوارها، من أشد المتحمسين والمؤمنين بها، وبدعوتكم وخطواتكم السديدة.

وعبر عن هذا الإيمان بريشته سواء على صفحات مجلات الدار، أو في مجالات العمل الأخرى التابعة للحكومة، وكان آخر ما قام به بجانب عمله في الدار، اشتراكه في إخراج نشرات أصدرتها هيئة المخابرات، بمناسبة الهجرة اليهودية من دول الكتلة الشرقية.. ومعرفتي الدقيقة بتفكير جمال كامل السياسي وإيمانه الوطني، هي التي شجعتني على أن أتقدم لسيادتكم بهذا الالتماس، بل إنني على استعداد بأن أضمن تصرفاته مستقبلاً، وواثق بها.

ولا أنكر أن العمل في دار روز اليوسف في حاجة إليه، وأنني أعتمد عليه إلى حد كبير في إدارة الناحية الفنية الخاصة بمجلتيّ روز اليوسف.. وصباح الخير..

ومع رجائي في أن أكون على صواب في حكمي وتقديري لجمال كامل فإنني أكرر التماسي بأن تشمله بقلبك الكبير وحكمك دائمًا هو الأصوب.

وتفضل يا سيادة الرئيس بقبول كل آيات إخلاصي وحبي).

وكان إحسان لا يتوانى في الرد على من يحاول تكذيبه أو كتابة شيء يخالف الحقيقة مهما كانت مكانته في الدولة، فقد كتب في ١٩٥٧/٨/٢٧ إلى علي صبري قائلاً:

(إلى السيد علي صبري وزير الدولة

عزيزي السيد الوزير

أهنئ مجلة التحرير بالحديث الصحافي الذي نشرته لك ورسخت به بعض خطوط جهدك الوطني الذي أفخر به ويفخر به معي كل مصري.

وقد جاء في حديثك أن "روز اليوسف" "كانت تنشر سلسلة مقالات ضد حيدر وكان معروفا أن هذه المقالات تكتب بناء على المعلومات التي يقدمها الضابط مصطفى كامل صدقي".

والواقع أن مصطفى كامل صدقي لم يكن له أي جهد في المقالات التي كنت أكتبها وأوقعها بإمضائي، إنما بدأت الحملة على حيدر منذ إثارة قضية الأسلحة الفاسدة، باعتباره أحد المسؤولين عنها، وهذه الحملة أسهم فيها الكثيرون من الأحرار بينهم الرئيس جمال عبد الناصر، ثم بعد أن انتهت هذه الحملة خصصت حملة أخرى في سلسلة مقالات ضد حيدر وحده، وكانت المعلومات التي تتضمنها هذه المقالات أحصل عليها من جهات كثيرة وأفراد كثيرين مستغلاً الخلافات التي كانت واقعة في محيط الجيش في تلك الأيام، وأول تقرير سري حصلت عليه واستعنت به في حملتي أخذته من اللواء فؤاد صادق.

أما الضابط مصطفى كامل صدقي فقد كتب أيامها مقالاً منفصلاً ضد حيدر نشرته له روز اليوسف، وقد رأيت أن أدلي إليك بهذه المعلومات، لعلك تكون مهتمًا بها.
عشت لمصر وعشت للحق.)

وهناك رسالة أرسلها جمال عبد الناصر لإحسان عبد القدوس، رسالة لم يكتبها عبد الناصر بخط يده، كانت الرسالة من الفنانة ماجدة تشتكي فيها إحسان عبد القدوس إلى عبد الناصر، وقد أرسلها عبد الناصر إلى إحسان عبد القدوس ليعرف الحقيقة. حيث تهاجم ماجدة إحسان قائلة:

(السيد الرئيس جمال عبد الناصر
على الرغم من صدور قانون الصحافة الذي حفظتم به سمعة الناس وأعراضهم في الأخبار المجهولة، نشر إحسان عبد القدوس في العدد ٢٩ من صباح الخير خبرًا بعنوان "عذراء الشاشة" يحمل سبًا صريحًا في عرضي لغرض ابتزاز المال.
ارحموني وأحموا الأعراض من أمثال هؤلاء الذين ينتهكون قانونكم وينزلون بالصحافة إلى الحضيض في عهد نتكاتف فيه للارتفاع بمصر.
أوكلكم عني في إبلاغ النائب العام .
ماجدة كامل
ممثلة سينمائية

لا أعتقد أن إحسان كان في حاجة إلى فلوس من أحد، ولكن يبدو أن الفنانة ماجدة كانت منفعلة أكثر من اللازم.. وإحسان لا علاقة له بالخبر الذي أتى به محرر فني ونشره في المجلة.. ثم لماذا لم تذكر في رسالتها إلى رئيس الدولة تفاصيل الخبر وكيف تم ابتزازها..؟

لا نعرف في الحقيقة فللفنانة ماجدة التي تنتمي إلى الزمن الجميل تاريخها الذي نجله ونحترمه، ولإحسان أيضًا تاريخه الذي نجله ونحترمه، فقد كان عصرًا جميلاً... ولكن سألت السيدة نيرمين القويني مديرة مكتب إحسان وابن أخت زوجته فقالت لي إن هناك قصة سينمائية أخذتها ماجدة الصباحي من إحسان وقدمتها سينمائيًا من إنتاجها ونجحت، لكنها لم تدفع لإحسان ثمنها، وبعد فترة أعجبتها قصة أخرى فأرادت أن تقدمها سينمائيًا فرفض إحسان حتى تدفع ثمنها، ولم تدفع ولم تنتج الفيلم.

ومن أوراق الزمن الجميل الذي ينتمي إليه إحسان عبد القدوس شيك قيمته ألف جنيه.. لم يصرف حتى الآن، وقد كتبه العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ إلى إحسان عبد القدوس كمقدمة لكتابة قصة حياته لتقديمها في فيلم سينمائي، لكن قصة "تائه بين السماء والأرض" لم تعجب عبد الحليم لأنها قصته الحقيقية، ولأن إحسان استطاع أن يخترق عبد الحليم من الداخل ويستشفه ويقدمه؛ لا كما يريد عبد الحليم؛ ولكن كما عاش.. فأعاد إحسان الشيك إلى عبد الحليم الذي رفض أن يأخذه، وظل حتى الآن دون أن يصرف.

السيدة نرمين القويسني قالت لي: إن عبد الحليم حدث الأستاذ إحسان ليكتب له قصة حياته لكي يقدمها في فيلم سينمائي، لكن القصة لم تعجب عبد الحليم لأنها كانت تحكي واقع عبد الحليم، وطلب عبد الحليم بعد أن استشاط غضبًا تغيير أجزاء منها، ورفض إحسان.

وكان عبد الحليم قد وقع شيكًا بألف جنيه لإحسان عبد القدوس، ولما لم يتم المشروع ولما لم يقبل عبد الحليم عودة الشيك إليه ظل الشيك في طي الكتمان -حتى الآن- ولم يصرف ولم يخرج إلى النور منذ وقعه في أول مارس ١٩٦٠، وهو مازال عند أحمد ابن إحسان عبد القدوس.

- إحسان عبد القدوس على شاطئ الإسكندرية -

- من اليمين : نرمين القويسني ومحمد عبد القدوس
ولولا زوجة إحسان وأحمد -

- إن العمر لا يحتسب بالسنين ولكن يحتسب بالإحساس -

نرمين القويسنى

- وهنا مع معجباته من سيدات المجتمع الراقي اللواتي كتب عنهن -

- فاتن حمامة في فيلم عن قصة لإحسان عبد القدوس -

- إحسان مع أصدقائه -

- إحسان والكاميرا -

- إحسان بشعره المسدول على جبينه وشورته القصير -

- فريد شوقي وهدى سلطان يصغيان لإحسان في جلسة سياسية -

- إحسان طفلاً في حضن أمه روز اليوسف -

- إحسان ولولا في ليلة زفافهما -

- إنني حاولتَ في هذه الكتب أنْ أكون كاتبًا وحاولت أن أكون طبيبًا -

- إن البطل لا يصنع نفسه ولكن تصنعه أمته -

- العذراء والشعر الأبيض -

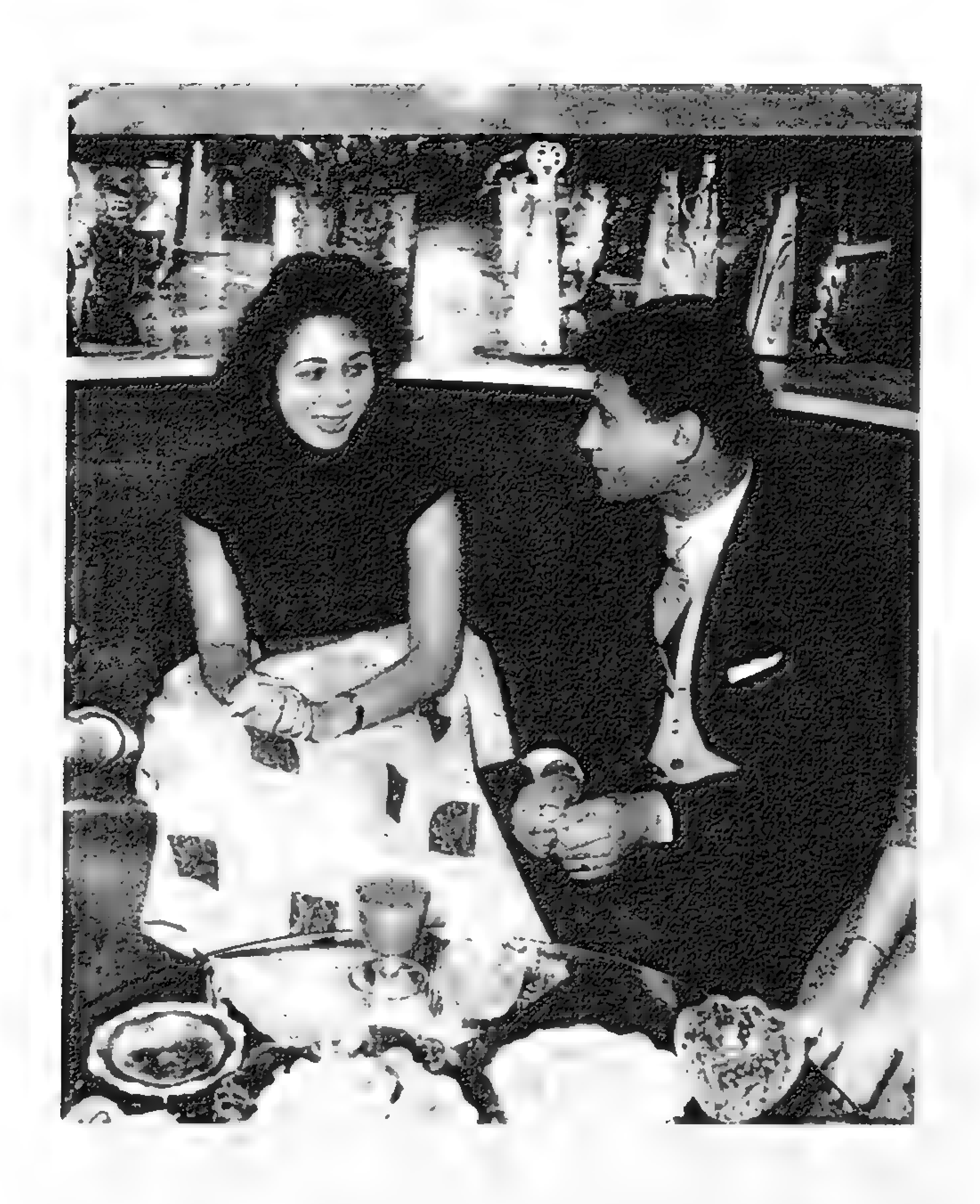

- عبد الحليم ولبنى عبد العزيز
ورواية لإحسان عبد القدوس -

- الفنان الكامل هو الذي يستطيع أن يخلق لنفسه شخصية مميزة -

JOURNAL
Politique illustré
18 rue Dakhlia
LE CAIRE

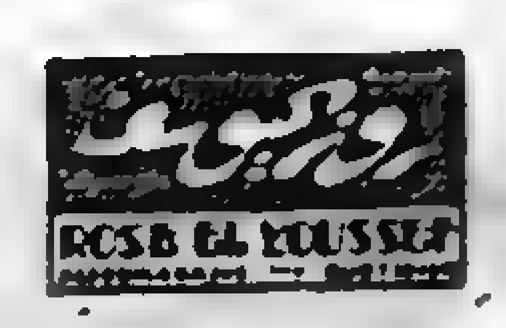

جريدة سياسية مصورة
١٨ شارع الداخلية بالقاهرة

ولدي احسان

[illegible]

قبلاتي ...
والدتك
روز

١٩٤٧/٧/١٩

- رسالة من باريس من روز اليوسف إلى إحسان في ١٩٧٤/٧/١١ -

- الفنانة ماجدة الصباحي تشتكي إحسان إلى عبد الناصر -

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ..

عزيزي الرئيس الحبيب :

تحية الإجلال والتقدير ..

[illegible]

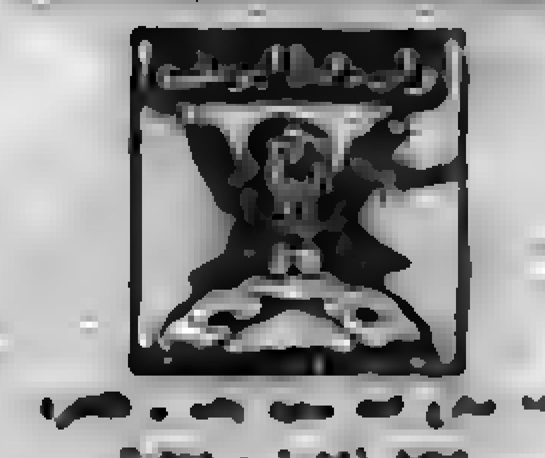

16, Rue Mohamed Said

LE CAIRE

Le Caire le __________ 195

PARK HOTEL LUGANO

PROPR. FAMILLE STILLING

TEL. (091) 2 71 01

[illegible]

حبيبتي ماما .

أكتب إليك وأنا جالس في شرفة الفندق .. وبجواري "[illegible]" تحت قدمي ، و[illegible]
[illegible] ، وبين [illegible] أشجار [illegible] أوراق بالوان الأحمر والأصفر
[illegible] .. في هذه اللحظة .. لا أرى البحيرة ، ولا الجبال ، ولا [illegible] ، ولا [illegible] .. أراك أنت
أراك في قلبي ، وأراك في [illegible] ، وأراك في عيني .. أراك حبيبة عظيمة .. أجمل وأعظم من
في أوروبا .. إن الله لم يخلق شيئاً أجمل من أمي ، ولا أعظم من أمي ..

وقد كنت أراك [illegible] طول عمري .. [illegible] أراك [illegible] في [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، و[illegible] في [illegible] الحياة و[illegible] .. [illegible]
[illegible] .. [illegible] .. [illegible] .. [illegible] .. كنت [illegible] أراك [illegible]
لم أكن [illegible] ؟ [illegible] في [illegible] لا أستطيع أن أفهم لماذا أنت [illegible]
لماذا [illegible] .. [illegible] .. [illegible] .. [illegible] في [illegible] ، [illegible] في
[illegible] .. [illegible] .. [illegible] .. لماذا أنت عظيمة .. [illegible] ؟!

حقاً كنت أتساءل في [illegible] .. ثم كبرت .. [illegible] .. [illegible] .. [illegible]
لي .. [illegible] في [illegible] .. [illegible] ، [illegible] أكون إنساناً [illegible] ..
[illegible] .. [illegible] .. إن الإنسان العظيم هو الذي يستطيع أن [illegible] إلى
[illegible] ، [illegible] .. [illegible] أعظم إنسان .. [illegible] أن في
[illegible] في [illegible] ، ولا في [illegible] .. [illegible] أن [illegible]
في [illegible] .. [illegible] إلى [illegible] الحياة ، [illegible]
[illegible] الصغيرة التي [illegible] إنسانية [illegible] .. [illegible]
[illegible] .. [illegible] .. [illegible] ، أو [illegible] .. [illegible]
[illegible] ..
[illegible] ..
[illegible] ..

[illegible] يوم [illegible] إحساساً بعطفك .. وكلما ازددت إحساساً بعطفك ، ازددت إحساساً [illegible]
[illegible] لا أستطيع أبداً أن أصل إلى مستواك .. [illegible] أراك [illegible] من سلسلة جبال [illegible]
[illegible] .. [illegible] أن [illegible] إلى [illegible] الجبل .. [illegible]
[illegible] أن أستطيع [illegible] ، [illegible] .. وكلما [illegible] ازداد

URNAL
ue Illustre
ue Dakhla
CAIRE

جريدة سياسية مصورة

عزيزي الأستاذ احسان

وصلنا خطابكم وسررنا بوصولكم سالمين ونرجو

ألا يتسرب اليأس الى نفسكم كما ارجو ان تتصلوا بالأستاذ

محمد نجيب مراسل المصري وان تترددوا على النادي المصري

كما ستقابلون كل الشخصيات المصرية التي يجوز ان تنفعكم في [illegible]

وانني اقترح دفع مبلغ ٢٠ جنيه [illegible] من جانبي لـ

ماركوني كتأمين لبرقياتك التي سترسلها الينا اذا

حدث حادث هام فارسله الينا في يوم السبت فقط

وانني انصحك بتتبع كل اخبار الصحف الانجليزية وا[illegible]

لمعرفة مجرى الحوادث واعلمك بان المفتي في [illegible]

تأثيرها في الاوساط الانجليزية الرسمية وغير الرسمية

واعمل كل جهدك ولا تيأس . والجميع يهدونك تحياتهم

جميعا . وتقبل شوقي وقبلاتي

امك
فاطمة اليوسف

١٩٤٦/٦/٢٢

- **الورقة الثانية**

القائم مقام يوسف صديق .. بطل ثورة يوليو لزوجته :

تعبت من إرسال قبلاتي إليكِ ..

أريد تقبيلك بالفعل!

حاولت أن أرتدي ثوب قسوتك .. ولم أستطع

هو الذي لولاه ما ارتدت مصر ثوب الحرية.. ولا حدث استقلال في الدول العربية.. فهو صاحب الشرارة الأولى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التي نادت بحرية البلاد واستقلالها، وبالمبادئ الستة المعروفة لثورة يوليو، ومن ثم نحت أغلب الدول العربية منحى هذه الثورة لأجل الحصول على استقلالها.

كان يحمل بين يديه ثوب عرسها، بينما نزيف الرئة اليسرى يهاجمه كذئب بري جائع أصابه بالسرطان بعد قيام الثورة بعدة سنوات.
كان القائمقام يوسف صديق ليلة الثورة ممنوعًا من التحرك من الفراش بأمر الأطباء لكنه لم يكن ممنوعًا من ممارسة طقوس الحرية ولا من إنهاء عصر كامل من الظلم والملكية.

كما أنه شاعر القلم والبندقية الذي احتل مقر قيادة الجيش ليلتها والسادات في السينما وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا يحومان حول المنطقة بالملابس المدنية.

أنقذ الحركة فاعتقله عبد الناصر، وخرج يدافع عن القاهرة أثناء العدوان الثلاثي رغم الاعتقال وتحديد الإقامة، وهو من زاوية المصلوب - مركز الواسطى محافظة بني سويف جنوب مصر..

ويروي يوسف صديق دوره التاريخي في مذكراته بقوله:
(...أسرعت بقواتي نحو مبنى القيادة ففوجئت بنيرانه توجه إلينا.. لم يكن في أرض المعركة ما نحتمي به من هذه النيران سوى سور من الأشجار لا يكاد ارتفاعه يبلغ المتر -وهو يحمي من النظر ولكنه لا يحمي من النيران- ولما ردت قوتنا على نيران الحرس بنيران حامية

عرف الحرس أنه أمام قوة تفوقه عددًا فبدأ يتراجع، وبعد لحظات توقفت نيرانه تمامًا فعرفت أن ذخيرته قد نفدت فأمرتُ بإيقاف النيران، ثم أصدرت أوامري إلى قوة الحرس بأن تلقي أسلحتها على الأرض ففعلت، ثم أمرتها بالسير بعيدًا عن الأسلحة فنفذت الأمر. وتركت حراسة عليها وعلى المدخل ولم يبق أمامي سوى الصعود إلى الطابق العلوي لمهاجمة الاجتماع -يقصد اجتماع اللواء أركان حرب حسين فريد وقادة الوحدات الذي كان منعقدًا لإجهاض حركة الضباط الأحرار-.

يقول: (وتحركت على رأس هذه القوة الصغيرة في منتصف ليل ٢٣ يوليو فقابلت في طريقي من معسكر هايكستب إلى إدارة الحرس قائد فرقة المشاة العسكرية، فاعتقلته وأخذته أسيرًا، ثم قابلت القائد الثاني المساعد في الطريق فاعتقلته كذلك).

وتأتي جرأة يوسف صديق حين يعرف من البكباشي جمال عبد الناصر والصاغ عبدالحكيم عامر أن أمر الضباط الأحرار قد كشف وأن رئيس أركان حرب الجيش يعقد اجتماعًا في الجيش من أجل أن يصدر أوامره لمقاومة الحركة.. فيسرع يوسف صديق إلى مقر الاجتماع فور سماعه هذه الكلمات منهما، ويهاجم القيادة، ويقبض على رئيس أركان حرب الجيش وعلى معظم القادة والذين كانوا في طريقهم إليه... ولا يسكت ولا يتوانى بعد هذا بل يقبض على القوات التي أرسلت لتعزيز الحراسة على رئاسة الجيش.. وبذلك يقضي البكباشي يوسف صديق على المقاومة، وهنا يصبح للضباط الأحرار الأمر في البلاد.

وتحدث كثيرون عن دور يوسف صديق في ثورة يوليو وتعرضوا لحياته بطرق مختلفة، لكن ابنته "سهير" لها رأي آخر، حيث تقول:

(تعرض عدد كبير من الكتاب والمؤرخين على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والسياسية منذ فترة كبيرة للدور التاريخي الذي قام به والدي ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حتى أصبح هذا اليوم من كل عام مهرجانًا كبيرًا يكتب فيه عن البطل "يوسف صديق" كما كتب عن دوره بعد انضمامه إلى مجلس قيادة الثورة من أجل قضية الديمقراطية؛ وهي أحد مبادئ الضباط الأحرار الستة التي قامت الثورة من أجل تحقيقها، وعن أنه الوحيد الذي استقال من مجلس قيادة الثورة في وقت مبكر عندما رأى انحراف هذا المجلس وبُعده عن الخطة التي كان الثوار قد رسموها في منشوراتهم قبل الثورة.. حيث كانت صدمته الأولى إعدام العاملين "خميس والبقري" رغم عدم الموافقة الجماعية للمجلس فقد عارض والدي ذلك مع خالد محي الدين وجمال عبد الناصر، وعندما كان يذكرهم بما كان يكتب في منشورات الضباط الأحرار قال بعضهم (انسى المنشورات.. الظروف تغيرت..) وبدأت تتنافر وجهات النظر مع أعضاء القيادة حول أسلوب الحكم وصدور قوانين تنظيم الأحزاب ثم حلها وإلغاء الدستور وإعادة الرقابة على الصحف واعتقال ضباط المدفعية ودخولهم السجن بملابسهم العسكرية... مما أدى إلى تقديم استقالته مضحيًا بوضعه في مجلس قيادة الثورة وبوظيفته في الجيش، وحتى بحريته الشخصية، وقبل راضيًا أن يوضع في السجن الحربي وأن يوضع

معه أبناؤه وأقرباته وزوجته مفضلاً ذلك على الاشتراك في الحكم على حساب حرية وكرامة الشعب المصري. وقد عبر عن ذلك في قصيدته (استقبالِ الصديق) التي كتبها في السجن الحربي بتاريخ ١٩٥٥/١/١٥ عندما أتى إلى الحياة حفيده (يوسف صديق) في ٤ يناير سنة ١٩٥٥ تعبر بعض أبيات هذه القصيدة عن هذا المعنى:

إن الرســـالة فـــي أســـمائنا لمعـــت
فحملتنـــا ثـــواب الهـــدى بـــالنور

ونحـــن نعلـــم أن الســـجن منزلنـــا
حتى تـــدك حصـــون الإفـــك والـــزور

ونحـــن نعلـــم أن المـــوت موردنـــا
نلقـــاه فـــي الله فـــي بشـــر وتكبيـــر

... وسأحاول أن أتذكر تفاصيل المواقف التي حدثت لوالدي، وكنت شاهدة عليها ومصاحبة له فيها، وهي كلها مواقف عصيبة لم يُكتب عنها من قبل، فقد تعرض والدي لكثير من المحن والاضطهاد والظلم لسنين طويلة...

في ليلة ٢٣ يوليو حضر أبي إلى منزلنا في حلمية الزيتون، وعلمت منه أنه في طريقه إلينا كان معه الأستاذ محمود توفيق ابن خاله (الذي تزوجني بعد ذلك) وأخذه إلى الدكتور عبدالعزيز الشال بشبرا حيث أعطاه حقنة لوقف النزيف الذي كان يخشى أن يعاوده ليلاً لأنه سيقضي الليل في المعسكر، وأنه جاء ليسلم علينا ويعطي والدتي

بعض النقود ويسألها إن كانت تحتاج لشيء، وكان والدي دائمًا يتفاعل بها قبل قيامه بأي شيء، ولاحظتْ والدتي أنه كان في حالة انفعال شديد وفي عينيه بريق غريب وشعره مهوش والبوشيرت الرسمي مفتوح الصدر فقالت له: "مالك يا يوسف عامل كده، ما تكونش رايح تفتح عكا؟" وكان قد نزل من سلم التراس فاستدار راجعًا إليها وسألها باستغراب - لأنها لا تعرف شيئًا عن موضوع الانقلاب - ماذا قلتِ؟ فأعادت ما قالته، فرد عليها قائلاً: نعم سأفتحها. وانصرف.

وفي صباح اليوم التالي أرسلت حرم محمد نجيب تطلب والدتي للزيارة وكانت صديقتها وجارتها. فلما ذهبت والدتي إليها سألتها عن والدي فقالت لها إنه في المعسكر، فأخبرتها بأمر الانقلاب العسكري والبيان الذي أذيع في الراديو، ولم تكن والدتي تعرف عنه شيئًا، فعادت مسرعة إلى المنزل وأخذنا في الاستماع إلى البيان وإلى أخبار الانقلاب.

في أوائل سنة ١٩٥٣ كنت متزوجة حديثًا من الأستاذ محمود توفيق ابن خال والدي، وكنا نعيش في بداية حياتنا في منزل والده بقريتنا (زاوية المصلوب) بالواسطى، حيث كان يعمل زوجي محاميًا، وكنت في شهور حملي الأولى، جاء أبي لزيارتنا وقضاء عدة أيام معنا بعد خلافه مع زملائه بمجلس قيادة الثورة. وبعد أيام جاء إلى منزلنا بعض ضباط الصف الثاني لمقابلة والدي، أذكر منهم عبد الحميد شديد والسقا ووحيد رمضان وآخرين، جاءوا لمقابلة والدي والاجتماع به

لمحاولة تخفيف حدة الخلاف بينه وبين زملائه، وتم الاتفاق على أن يسافر أبي إلى أسوان لفترة قصيرة في محاولة لتهدئة النفوس، وكان زوجي طوال اليوم يقوم على ضيافتهم واستقبالهم وإكرام وفادتهم وحسن وداعهم عند الانصراف.

وسافر والدي إلى أسوان، وفي فجر اليوم التالي حضر رجال البوليس إلى منزلنا حيث تم القبض على زوجي وإرساله إلى معتقل جبل الطور، وعرفت في نفس اليوم أنه قد تم القبض على عدد من شباب العائلة.

سافرت إلى أسوان لأكون مع والدي إلى أن يتم البت في أمر زوجي. فوجدته يعيش في أحد الاستراحات الحكومية ويرافقه ضابطين هما محمد السقا ووحيد رمضان وكنت أعرفهما حيث كانا يأتيان كثيرًا لزيارة والدي بمنزلنا بالعريش قبل أيام الثورة بشهر. وبالطبع علم والدي بقصة القبض على زوجي وعلى أقربائه. وفهم أن هذا الإجراء يمثل نوعًا من الضغط عليه لكي يتراجع عن موقفه.

وفي هذه الفترة التي قضيتها مع والدي في أسوان – صدر عدد من مجلة المصور في فبراير سنة ١٩٥٣ وبه هدية عبارة عن صورة أعضاء مجلس قيادة الثورة هم: الرئيس اللواء محمد نجيب – بكباشي جمال عبد الناصر – بكباشي أنور السادات – بكباشي حسين الشافعي – بكباشي يوسف صديق – بكباشي عبد المنعم أمين – بكباشي زكريا محي الدين – صاغ صلاح سالم – صاغ عبد الحكيم عامر – صاغ خالد محي الدين – صاغ كمال الدين حسين – قائد جناح عبد

اللطيف البغدادي - قائد جناح جمال سالم - قائد أسراب حسن إبراهيم... ولكن الهدية الموجودة داخل العدد أمر جمال عبد الناصر بمصادرتها، وفعلاً تم جمعها من داخل العدد؛ ولكني حصلت عليها وهي تحت يدي الآن؛ حيث علمت بعد ذلك بسنوات في حديث للكاتب حلمي سلام في مجلة صباح الخير العدد ١٤٩٢ يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٨٤ قال فيه "أذكر أنني بعد فترة قصيرة من قيام الثورة، أقنعت جمال عبد الناصر أن يقوم مصور دار الهلال بالتقاط صورة جماعية لأعضاء مجلس قيادة الثورة ونقوم بتوزيعها بمثابة هدية مع مجلة المصور ووافق جمال عبد الناصر على الاقتراح ورحب به أصحاب دار الهلال، وتم تصوير أعضاء مجلس قيادة الثورة، وأعدت الصورة الهدية. وذات مساء، وقبل نزول المصور إلى الشارع بيوم واحد، اتصل بي جمال قائلاً: يا حلمي الغي فكرة الصورة الهدية، فقلت بدهشة: لكن إحنا طبعناها فعلاً وجاهزة للتوزيع مع المصور غدًا. فرد بحدة: لا، الغي الهدية وتعال حالاً عندي هنا. وذهبت في الحال إلى جمال عبد الناصر وشرح لي الأسباب التي دفعته إلى إلغاء الصورة الجماعية قائلاً: ما تتضايقش يا حلمي لأن فيه اثنين من الذين يظهرون في هذه الصورة وسيراهم الناس غدًا سوف يختفون بعد فترة وأنا لا أريد الناس أن ترانا اليوم وبعد فترة يجدونا وقد نقصنا اثنين.. وسألته عن الاسمين فقال: يوسف صديق و عبد المنعم أمين".

من هنا نرى النية كانت مبيتة للتخلص من والدي رغم أن الاتصال به كان مستمرًا في أسوان في محاولة؛ أو للتظاهر؛ بأن هناك جهودًا تبذل لتقارب وجهات النظر.

بعد عودتنا من أسوان والإفراج عن زوجي كان رفقاء والدي من مجلس قيادة الثورة يحضرون إلى منزل والدتي بحلمية الزيتون لمقابلته ومواصلة المناقشات حول الموقف السياسي، وكان صلاح سالم يتناقش بعصبية قائلاً: "إيه يعني لما نعدم مليون شخص في سبيل نجاح المسيرة وحتى لا تنتكس ثورتنا كما انتكست ثورة ١٩١٩".

فقال له أبي إننا لم نقم بالثورة من أجل إعدام المصريين والتنكيل بهم وليست هذه المبادئ التي قامت من أجلها ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وعلى العموم شد حيلك يا صلاح.

المهم أن أبي وجد المناقشات تدخل في طريق مسدود.

ثم تم الاتفاق على سفره إلى سويسرا للعلاج، ولم يعلم إنما هو إبعاد عن وطنه. وجاء جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ومعهم وحيد رمضان ومحمد السقا ومحمود الجيار لوداعه قبل سفره فكانت الصورة (على سلم الفيلا بحلمية الزيتون) وكانوا جميعًا بالملابس العسكرية وهو بينهم بالملابس المدنية (مارس ١٩٥٣).

بعد قبول استقالته من مجلس قيادة الثورة سافر والدي إلى سويسرا في مارس سنة ١٩٥٣ وبعد ٣ شهور طلب العودة إلى وطنه ولكنهم رفضوا فسافر إلى لبنان في شهر يونيه سنة ١٩٥٣..

وقد وصف في قصيدته (من الجنة) إحساسه المرير بالمنفى والإبعاد والغربة خارج البلاد بعد قيامه بالعمل البطولي في ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. حتى وصف نفسه بالشهيد الذي دخل الجنة. وطلب العودة مرة أخرى من لبنان فرفضوا وأرسلوا له زوجته السيدة علية توفيق وطفليها حسين ونعمت. ولكنه عاد سرًا وفجأة في أغسطس سنة ٩١٥٣ حيث جاء إلى بلده (زاوية المصلوب) وأرسل برقية إلى الرئيس محمد نجيب قال له فيها (أنا وصلت مصر) حيث قرر المجلس تحديد إقامته في بلدته حيث حوصر المنزل بعدد كبير من الجنود والمخبرين، ثم سافر إلى القاهرة في أوائل العام الدراسي مع استمرار تحديد إقامته بالمنزل.

رغم تحديد إقامة والدي إلا أنه في خلال أزمة مارس سنة ١٩٥٤ قام بكتابة خطاب سلمه بنفسه للرئيس اللواء محمد نجيب ونشرت جريدة "المصري" نصه اقترح فيه قيام وزارة ائتلافية عن الوفد والإخوان والاشتراكيين والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رأفت، تحدث فيها بصراحة عن ضرورة تخلي الجيش عن السلطة ونقلها إلى الشعب من خلال إجراءات ديمقراطية، فقد تمسك منذ البداية بالديمقراطية نظامًا لحكم البلاد... في هذه الفترة أخبرني أبي أنه يريد مقابلة الصحفي "أمين عبد المؤمن" ليعمل معه حديثًا في جريدة المصري -وكنت أعرف هذا الصحفي حيث كان يتردد على منزل والدي بثكنات العباسية في بداية الثورة- والمشكلة أن والدي لا يستطيع الخروج من المنزل لأن إقامته محددة بالمنزل الذي يوضع

عليه حراسة ٢ مخبرين، فرسم لي أبي الخطة للقيام بهذا العمل، وقد نفذت هذه الخطة بنجاح.. ذهبت في الموعد المحدد لمقابلة الصحفي "أمين عبد المؤمن" الذي كان منتظرًا ظهرًا أمام "حلمية بالاس" وهو الملهى الذي كان يسهر فيه الملك فاروق قبل الثورة وكان مكانه المفضل للسكر والعربدة وكان هذا الملهى قريبًا من منزلنا في حلمية الزيتون، قابلت الصحفي وطلبت منه أن يتبعني لأنني سأدخله الفيلا بطريقة سرية حتى لا يراه الحرس الواقف أمام الفيلا، وكان بحديقة الفيلا الخلفية مكان مفتوح بين الأشجار يسمح بمرور فرد واحد بشرط أن يكون مثني القامة -تطل هذه الفتحة على ممر بين فيلتين خلفيتين ويقود إلى الشارع الرئيسي- دخلت من الفتحة التي بين الأشجار بسهولة لأنني صغيرة وجسمي رفيع وتبعني الصحفي بصعوبة حيث أنه كان بدين الجسم ولكنه استطاع الدخول إلى داخل الحديقة الخلفية ثم إلى داخل المنزل من الخلف، وكان لقاؤه بالوالد والحديث الذي نشر بعد ذلك في جريدة "المصري".

وتم بعد ذلك محاصرة الفيلا بعدد كبير جدًا من جنود البوليس الحربي المسلحين؛ وكأن الحرب قد قامت؛ وحاول رئيسهم منعي من الدخول، فأخبرته أنني ابنة يوسف صديق فأخبرنا أنه قد تم تحديد إقامته بالمنزل وأنه ممنوع الدخول أو الخروج منه فطلب مني زوجي الدخول ومضى هو راجعًا حتى لا تحدد إقامته بالتالي.

وجدت والدي في حالة عصبية شديدة من هذا الإجراء الفاشستي العنيف الذي إن دل على شيء إنما يدل على ترسيخ الحكم الفردي

الدكتاتوري الذي ستراه البلاد قريبًا على يد هؤلاء الأحرار الذين عزلوا الملك الفاسد وجاءوا ليخلصوا مصر وشعبها من الطغاة والظالمين، خاصة وأننا علمنا أن الفيلا التي كان يسكنها الرئيس محمد نجيب والتي كان شارع طومانباي يفصلها عن فيلتنا. قد تم تغيير الحراسة حولها بحراسة أخرى تنتمي إلى التيار المعادي للرئيس محمد نجيب مما جعل والدي يصف رسالته إليه بأنها رسالة من "الحرّ المعتقل إلى المعتقل الحر".

وفي هذه الفترة حدث أن مرضت ابنتي الرضيعة فخرجت لأشتري لها دواءً من الصيدلية المجاورة، وتسللت خارجة حتى لا يشعر أبي بأي احتكاك محتمل مع الحرس، فتصدى لي رئيس الحرس قائلاً: ممنوع يا افندم الخروج فأخبرته بهدوء أن ابنتي الرضيعة مريضة وإني ذاهبة لأحضر لها الدواء فقال إذا خرجت لن أسمح لك بالدخول.. هذه هي الأوامر فقلت بانفعال: "سأرجع بالدواء وسأرى كيف ستمنعني من الدخول" وفعلاً أحضرت الدواء ولم يحتك بي.

وفي هذه الفترة أيضًا في مساء أحد الأيام جاءتنا مكالمة تليفونية من مجهول يخبرنا أن هناك مؤامرة ستتم لاغتيال كل من محمد نجيب ويوسف صديق. فما كان من والدي إلا أن قام وارتدى ملابسه الكاملة وجلس في التراس ينتظر تنفيذ الاغتيال، وشبّه ذلك برجال الملك من الحرس الحديدي الذين كانوا يغتالون الوطنين مثل "عبدالقادر طه" قبل الثورة وكانت ليلة من أسود أيام حياتنا، جلسنا كلنا حوله في التراس، تتوقف قلوبنا عند سماع صوت سيارة يقترب

من الفيلا، إلى أن طلع النهار ونحن في أسوأ حال، وفي أثناء الليل حاولت والدتي الاتصال بزوجة الرئيس محمد نجيب وكانت صديقتها محاولة أن تلقي الضوء على هذا الحدث ولكنها أخبرتها أن الرئيس ذهب إلى مطار القاهرة لتوديع الملك سعود الذي كان في زيارة لمصر.

وفي إبريل سنة ١٩٥٤ قام الرفاق بإصدار الأوامر للقبض على والدي، وأرسلوا له أحد تلاميذه ظنًا منهم بأن هذا يحط من قدره ليقوم بعملية القبض، عليه فما كان من هذا الضابط إلا أن يقوم بالتحية العسكرية وأن يحمل لوالدي الحقيبة التي بها ملابسه ويوصله إلى سجن الأجانب، حيث قمت بزيارته في اليوم التالي مع شقيقي محمد وأخبرنا أن بالسجن عددًا كبيرًا جدًا من رجال السياسة والفكر والصحافة، ثم نقل بعد ذلك إلى السجن الحربي حيث وجد الأميرالاي أحمد شوقي وعدد من ضباط الإخوان المسلمين مثل عبدالمنعم عبد الرؤوف ومعروف الحضري وأبو المكارم عبد الحي وحسين حمودة، وكانت الفوضى متمثلة في اعتقال الإخوان إلى الحد الذي كانت إدارة السجن توزع على المعتقلين أوراقا لتسجيل أسمائهم وتاريخ حضورهم، وقد أمضى والدي سنة وشهر في السجن الحربي، وفي هذه الفترة عاصرت التعذيب الشديد الذي وقع على قيادات الإخوان المسلمين وأعضاء جماعتهم، وكنت أزوره كل أسبوع فكان يقص علينا ما يحدث من أبشع أنواع التنكيل ما فاق كل تصور وما لا يتصوره عقل. وفي إحدى هذه الزيارات لوالدي بالسجن الحربي بعد

أن اعترف أعضاء الجهاز السري بأسماء زملائهم وبالتنظيم قائلاً وتم القبض على جميع الأعضاء وكان الناس يلومون القيادة لهذا الاعتراف، قال أبي أنه رأى بنفسه العذاب الشديد الذي وقع على هؤلاء القادة من الجلد الذي كان يتطاير فيه لحمهم، إلى إطلاق الكلاب التي تنهشهم، إلى سحلهم بالخيل، ولم ينطقوا بحرف واحد ولم يعترفوا، إلى أن جاءوا بزوجة (هنداوي دوير) وكان شابًا صغيرًا وكانت زوجته ببلدتها لتضع مولودها فأتوا بها إلى السجن الحربي وخلعوا ملابسها أمامه ووضعوها على العروسة وقالوا له إنهم سيفعلوا معها ما فعلوه به، فطلب منهم أن يرجعوها إلى بلدتها وقام بالاعتراف الكامل على النحو المعروف بعد ذلك.

وفي آخر كل زيارة لأبي في السجن الحربي كان يعطينا كيسًا كبيرًا به عدد كبير من الخطابات التي كتبها المعتقلون إلى ذويهم لكي أرسلها عن طريق البريد حتى يعرفوا مكان الاعتقال...).

بعد ذلك تم القبض على زوجة يوسف صديق توحيدة صبري ووجهت لها تهمة حيازة منشورات شيوعية ثم أعادوها بنفس المنشورات إلى البيت حيث أخطأوا، فقد كانوا يقصدون الزوجة الثانية ليوسف صديق علية توفيق.

في مايو سنة ١٩٥٥ أفرج عن يوسف صديق وتقرر تحديد إقامته في منزله بحلمية الزيتون إلى أن أفرج عن علية توفيق فذهب ليعيش معها وأولادها حسين ونعمت في عزبة النخل مع استمرار تحديد إقامته، إلى أن وقع العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ فقاد يوسف

صديق المقاومة الشعبية في عزبة النخل، ورفعت بعد ذلك الحراسة عنه لكن لم يسمح له بالعمل في أي مجال من المجالات المدنية أو الأدبية حيث رفضت جميع الطلبات التي تقدم بها للعمل سواء مدير لدار الكتب المصرية أو أن يرشح نفسه في مجلس الأمة عن محافظة بني سويف. ولم يدع مرة واحدة لحضور احتفالات ثورة يوليو.

في صيف ١٩٧٠ أمر الرئيس عبد الناصر بسفر يوسف صديق إلى الاتحاد السوفيتي وكان يعاني من مرض السكر وارتفاع الضغط ولغط في القلب.

تقول سهير:

(في أثناء فترة العلاج، وفي يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ توفى الرئيس جمال عبد الناصر وتولى الرئيس أنور السادات الحكم في البلاد، فأرسل والدي من موسكو برقية عزاء للرئيس السادات وفي نفس الوقت تأييد له في الرئاسة، كما كتب قصيدة رثاء في جمال عبد الناصر بعنوان "دمعة على البطل" نشرت في ذكرى الأربعين للرئيس جمال عبد الناصر.

وابتداء من هذا الوقت أخذ المرض الذي عانى منه طيلة حياته يعاوده، وظل يقاوم المرض والألم خمس سنوات، وأجريت له عملية استئصال للرئة اليسرى في لندن لإصابته بسرطان الرئة، حتى سقط يوم ٣١ مارس سنة ١٩٧٥ بعد نقله من منزله بالمهندسين إلى مستشفى القوات المسلحة بالمعادي حيث كان في غيبوبة.

وفي ١٩٧٥/٤/١ شيعت جنازة البطل يوسف صديق عسكريًا.. وكتب الشاعر الكبير كمال عبد الحليم أبيات نحتت على رخامة قبر يوسف صديق تقول:

هــا هنــا يرقــد مــن أيقظنــا

وافتدى مصــر بصــدرٍ ينــزفُ

هــا هنــا فارســنا شــاعرنا

رافع الرايــات حمــرا يوســفُ

فــإلى يــوم حســاب صــادق

ســيظل الشــعب عينًــا تــذرفُ

ويتضح من رسائل يوسف صديق كم هو إنسان رقيق وحساس يحب بكل خلجة من خلجاته، ويذوب رقة وفروسية وبطولة، ولا يهاب شيئا... وسنجد في رسائله عالم آخر من الحب والجمال والإبداع.. وهي رسائل كتبها في منتصف الثلاثينيات لزوجته السيدة توحيدة صبري، ولا أدري كيف يحب رجل امرأة بكل هذا الحب، ثم يتزوج عليها امرأة أخرى هي السيدة علية توفيق.

بالتأكيد سوف تدهش مثلي إذا قرأت الرسالة التالية ليوسف صديق..

قبلاتي إلى شفتيك الفاتنتين

الدخيلة ٢٦/٦/١٩٣٦

زوجتي..

إنني تعبت من إرسال قبلاتي إليكِ، وأود أن أقبلك فعلاً - فليس القول كالعمل..

كلما نظرت حولي بالإسكندرية رأيت الناس أزواجًا أو جماعات - ولم أر، فردًا وحيدًا غيري.

أرى الزوج يسير مع زوجته - أو الأخ مع أخته - أو الولد مع أمه - أو الوالد مع أبنائه - أو العشيق مع عشيقته - أو الخطيب مع خطيبته وكل هؤلاء لهم مبرر فيما يفعلون - فللأخ أن يصحب أخته للنزهة - وللولد أن يسير بجانب أمه - وللوالد أن يمرح في السعادة بأبنائه - وللعشيق أن يختلس ساعات الهناء والصفو مع عشيقته وللخطيب أن يبني آمال المستقبل مع خطيبته - ولكن أنا فلا مبرر لي لصحبة هؤلاء - فلا أختي ولا أمي ولا ولدي هنا - وليس لي ولا قدر الله خطيبة ولا عشيقة - فنصفي الآخر.. هو أنت يا تو.. وهكذا شطرني الدهر شطرين وجعل بينهما شوطًا بعيدًا..

لكل هذه العلل والأسباب... وأمام صلابة الضمير الحي - الذي عاهد الله أن يخلص إلى توتو ما دام حيًا... وأمام الرأي الذي لا محيد عنه بأن أفني زهرة حياتي لحب واحد.. وسعادة واحدة هو حبك الغالي..

وسعادتك الطاهرة.. أجل لكل تلك العوامل - لا أرى مفرًا من الوحدة القاتلة..

لعل لك من أسباب التسلية بين أهلك وصحبك.. ما يهون عليك مرارة ما ألاقي من عذاب الوحدة التي تحكي صمت القبور.

إلى هذه الساعة لم أنزل إلى إسكندرية - بل ولم أفكر في ذلك - وربما لا أفعل ذلك إلا لاستقبالك في اليوم من الشهر - وفي أول قطار ممكن. وكل ما يغريني في وحدتي هنا - هو أنني أشعر بتقدم غريب في صحتي - وليست صحتي هي سر سعادتي - بل لأنني واثق من أن صحتك ستكون هنا على أحسن حال وكذلك الحنتوسو ستكون سعيدة معنا - وهل لي مطمع في الحياة أكثر من أن أراكما تمرحان في بحبوحة الصحة والعافية؟؟..

أنا اليوم نوبتجي وأكتب إليك هذا وأنا بالأوضة - ولذلك فاليوم راحة من عناء العمل من توضيب العفش - وعندي أمل كبير أن أنتهي منه باكر مساءً - وابتدئ في إعادة النظافة التي ستستمر لحين حضورك بإذن الله - والبيت نظيف ولا بأس به - وأنا متأكد أنك ستحضرين لتري أنني عملت كل ما يمكن عمله لراحتك - إلى أقصى حدود الراحة.. أو إلى أبعد حدود الراحة.. مش فاكر.

إذن سنبدأ شهر العسل من جديد - وسنبدأ حياتنا الزوجية من جديد فكل ما مضى لا أعترف أنا به ولا أسجله على نفسي مهما كان فيه من مزايا وعليك أن تعتبري نفسك الآن خطيبتي وأن موعد زفافنا هو أول يوليو ١٩٣٦ لا ٤ إبريل ١٩٣٥ - بس على فكرة وأنت جية

(قادمة) أبقي هاتي عشاك معاكِ لأن هنا الحالة كرب بالنسبة لوجودي لوحدي - أو إن كنت عايزة حفلة جبنة وبسطرمة أو غير ذلك مما يمكنني تحضيره بنفسي فأنا مستعد لأحياء ليلة الدخلة.. ولأن لم أكتب لمخلوق آخر غيرك.. وربما أتمكن من الكتابة اليوم إلى جهات متعددة أولها طبعًا إلى محمود - وعلى فكرة - أحسن قطار ممكن أن تحضروا به هو الذي يقوم من مصر الساعة ٣ بعد الظهر أو ٣,٣٠ لا أدري تمامًا - ويحضر إسكندرية الساعة ٦,٤٥ وهذا هو أنسب قطار لحضوركم بالسلامة بعد تأدية جميع طلباتكم في الصباح - واعملي ترتيبك أن لا تحضري يوم ٢ في الشهر أو كلام من ده...

وسأكتب لمحمود عن موعد قيام القطار من مصر - وطبعًا سأكون في انتظار الركاب الغالي ومعي علي خشبة باشا لحمل ما يمكن حمله - وسأقاول تاكسي معتبر لنقل جلالة الملكة - ملكة القلب ومعبودة الفؤاد.

ولعل سهير تكون الآن بتمشي حتى تتمكن من النط والعفرتة على شاطئ البحر في الهواء الطلق - وكم أنا مشتاق لرؤياها وتقبيلها.. ولي زمن ما حدش "شخ عليًّ" وهذه طبعًا حالة لا ترضي.

إن هذا الورق من نوع رديء وقد يتعبك في قراءة الخطاب، ولكن معذرة لأنه هو الممكن الحصول عليه الآن ولا مؤاخذة.

وسأحدثك عن شيء غريب لاحظته منذ وجودي بالإسكندرية وطبعًا سيفرحك هذا النبأ السار - فإنني لا أنام بالنهار - وإن فرضنا ونمت فأنني لا أزيد عن ساعة واحدة على الأكثر ولعل السبب في ذلك هو

حسن الجو وعدم الحرارة - وتصوري إنني بالأمس نمت بعد الظهر بحكم العادة - الساعة ٣ بعد الظهر - ولما صحيت (لوحدي طبعًا) وكنت قد استرحت تمامًا نظرت في الساعة فوجدتها.. تفكتري كام..؟ كده بالضبط وبدون مبالغة.. ولو أنك سوف لا تصدقي الساعة ٣,٤٥.. فتصوري أن زوجك عاشق النوم يشبع نوم بـ ٣٥ دقيقة.

إن السر في ذلك بدون شك هو انعدام حالة الإمساك التي كانت مبهدلة صحتي ومعكرة دمي.

والغريب المدهش أنني هنا مرتبك النظام في مواعيد الأكل والراحة ومع ذلك فلا إمساك ولا يحزنون.

النهاية يا توتو - ربنا يعوض صبرنا خير - فلقد تعبت جدًا في مصر أكثر من اللازم - وهنا الحالة عال من حيث العمل فمواعيد الطوابير الساعة ٨ صباحًا ليس ٧ كمصر - والجو في منتهى الإبداع لدرجة إني أروح من طريق الجبل الساعة ٢ بعد الظهر ومسافة ٢٠ دقيقة تقريبًا.. ومع ذلك لا أشعر بأي حرارة بالمرة.

صعبان علي إن الورقة خلصت - وعلى فكرة حسين لم يرسل لي خطاب للآن فهل تعرفي عمل إيه - وأنا كنت قلت له إن لم تفلح حكايته يحضر معكم بالتذكرة درجة ٣.

وأخيرًا .. يا خسارة... الجواب انتهى - وأخيرًا - قبلاتي إلى شفتيك الفاتنتين وشوقي لعينيك الساحرتين.. ولسوسو المحبوبة واحترامي الزائد للوالدة وللأخ محمود.

الدايب

يوسف

لا تعودي إلى صمتك المزعج

زوجتي العزيزة

اطمأنت نفسي بعد استئناف رسائلك وسررت لوجودك والأولاد بصحة كاملة – لم أكتب إليك بالأمس لأني كنت نائمًا في خط الدفاع حيث انتظرت هناك مدة ٤٨ ساعة.. وفي الفرصة الأولى التي تمكنت من الكتابة كتبت هذا إليك شاكرًا لك استئناف الرسائل راجيًا أن لا تعودي إلى هذا الصمت المزعج مرة أخرى.

وقد كنت ألوم مصلحة البريد في التأخير لولا أن خطاباتك الخالية من التاريخ تتحدث عن مواضيع قديمة وتدل على أنها الرد على خطابات كتبتها إليك منذ أيام طويلة – حتى أنني أصبحت أشك في وصول كل خطاباتي إليك – فمثلاً كتبت لك مرة على ظهر جواب وصلني من المناديلي ولم تذكري لي للآن ما الذي تم في هذا الموضوع.

الحالة هنا لا تشجعني على طلبك للحضور الآن رغم شدة شوقي إليك وإلى الأنجال وأغلب ظني أننا قد نتمكن بعد يوم ٢٨ الجاري من البت في هذا الموضوع فلننتظر إلى ما بعد هذا التاريخ الذي ينتظره العالم أجمع..

بلغي مزيد شكري لحضرة الوالد الشفوق محمد أبو البيه على هذه العاطفة السامية التي أبداها نحوي والتي إن دلت على شيء فإنما على ما تنطوي عليه نفسه العالية من السمو والعظمة وبلغيه وجميع أهل منزله العامر تحيتي وسلامي.

قبلاتي لك وللأنجال الأعزاء خصوصًا محمود وأرجو أن تكونوا على خير حال

وسلامي إلى الوالدة وأرجو أن تكون صحتها جيدة.. والسلام

زوجك يوسف

مرسى مطروح ٢١/٤/١٩٣٩

خانتني إرادتي في الانتقام منك

زوجتي القاسية

لست أدري كيف يطيب لك يوم لا تكتبين إلي فيه.

لو أنك تتصورين مدى شغفي ولهفتي ساعة ورود البريد ومدى خيبة الأمل التي تتولاني حين أجده خلوًا من رسالة منك لما ذهبت معي إلى هذه القسوة القاتلة – وما حيلتي ولك في الحياة مشاغل أهم مني شغلتك عني.

كثيرًا ما حاولت الانتقام منك بمثل عملك فخانتني إرادتي فها أنا أكتب إليك كل ساعة في حين لا أتلقى منك ردًا إلا بالرجاء والإلحاح – حتى مللت ذلك الأسلوب من التقريع ولا حياة لمن أنادي.

قد أكون قاسيًا ولكنني لن أكون أشد قسوة منك فإنني هنا وحيد منعزل عن العالم فلا أقلَّ من أن أقرأ حديثًا عن أولادي كل يوم يعوض عليّ فراقهم الذي حكمت - الظروف في قسوة عنيفة ولم تجعل له أجلاً معلومًا – ولو أن سهير تستطيع الكتابة لما أهملت أباها يومًا واحدًا كما تفعلين.

على الرغم من كل هذا لا زلت أبعث إليك قبلاتي وإلى الأنجال الأعزاء، وأرجو أن تكونوا جميعًا على خير حال وسلامي إلى الوالدة وإلى خالك محمد أبو البيه وجميع أهل منزله. والسلام عليكم

زوجك يوسف..

مرسى مطروح ١٩٣٩/٤/٢٣

الصراحة منعتني من الكتابة إليك

زوجتي الحبيبة توتو

لم يمنعني عن الكتابة إليك طول هذه المدة غير أنني صريح كما تعلمين ولا أحب أن أخفي شيئًا - وقد كانت حالتي في هذه الأيام ولا تزال حتى كتابة هذا غير سارة لأن المرض لازمني بشدة من يوم ١٣ رمضان حتى أنني اضطررت للإفطار من هذا التاريخ للآن وحتى أصبحت نتيجة لهجمات المرض ولعدة عوامل أخرى وحالتي في تدهور سريع مستمر - وكنت أحب أن لا أكتب إليك حتى لا أذكر لك شيئًا من ذلك قد يؤثر في صفو حياتك أو حياة أولادك في وقت أحب لكم فيه تمام الهدوء والسعادة والاستجمام.. ولم يدفعني للكتابة إليك الآن إلا شدة قلقي على حالة سهير لأنني أشعر أن الأمر أكبر مما وصفتيه فأرجو بمجرد وصول هذا سرعة إفادتي بالتفصيل عن حالة سهير وأسأل الله أن لا يكون بها أكثر من أثر ماء البحر.

كنت في زيارة بيت خالك أمين أمس بمناسبة قبض الماهيات يقصد (المرتبات) ولم أزرهم طول هذه المدة وقد لاموني لومًا شديدًا إلا أن آثار المرض الظاهرة شفعت لي عندهم، وقد وجدت هناك بثينة وولدها الظريف عادل وهو مخلوق في منتهى الظرف حتى أنني أصبحت لا أسميه حلواظو لأنه أرق من ذلك جدًا وجميعهم في شوق إليك، وقد علمت أنك أرسلت إليهم خطابًا وجميعهم يهدونك السلام.

هذا وقد تألمت لعدم كتابة سهير وأرجو أن تكون أصبحت في حالة تمكنها من مشاركتكم في الرد.

وأنني أرجو أن لا تزعجك أخبار مرضي لأنه مرض تافه.. فمثلاً أكتب إليك الآن وأنا في حالة شديدة جدًا من الأنفلونزا منذ ثلاثة أيام ودماغي في شدة التعب وهكذا كلها أمراض لا خطورة فيها ولكن فيها عكننة ولعل أوضاع الحياة التي وصلنا إليها معًا بالاشتراك والتضامن تجعل حضرتك مسرورة لوجودي في هذه العكننة ما دمت بعيدًا عنك وأنني أحب لك أن تكوني مسرورة دائمًا ولو على حساب مزاجي.

وختامًا قبلاتي لوجناتك ووجنات سوسو ومحمد ومحمود وأحمد وإلى أيادي السيدة الوالدة وسؤالها الرضا والدعاء وسلامي للأخ محمود بك وأولاده وخالك عباس بك وأولاده ونعيمة هانم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يوسف

سلامي إلى والدتك مع التحفظ الشديد ..!!

زوجتي العزيزة

قبلاتي وأشواقي لك وللأنجال الأعزاء وبعد فلقد وصلني خطابك الذي كنت أنتظره بفروغ الصبر كي أطمئن على سلامة وصولكم.

أما ولدي العزيز محمود فإنه وحشني جدًا، وقد تألمت لعدم ضحكه ولعله اكتشف في مصر أخيرًا من مضحكاتها الكثيرة ما يبعث في نفسه البريئة الضحك والسرور، وأما عن سهير فهي ابنتي العزيزة فلا عجب أن سألت دائمًا عن وعلى رأي المثل من القلب للقلب رسول - وأما الشيخ حيوان فإنه لم يوحشني أبدًا وقد استرحت من دوشته وغباوته - وإذا كان ممكن أتركيه في مصر أو اشحنيه للزاوية أو سلميه للأزهر أو شوفي رأيك فيه.

سلامي إلى أهل منزل خالك محمد أبو البيه جميعًا حتى صلاح كمان وإلى السيدة الوالدة مع التحفظ الشديد - ووالله أنا ما عملت لها حاجة وأنت شاهدة كمان - وأنني أكون سعيدًا لو تكرمت بالحضور معك لقضاء فصل الصيف البديع على ذلك الشاطئ الجميل.

هناك شيء آخر كنت لا أريد أن أحدثك عنه ولكن من باب العلم بالشيء وهو أني مريض ولا أذهب للأورطة من اليوم التالي ليوم سفرك مباشرة، وعندي أنفلونزا شديدة جدًا نتيجة برد أظن أني أخذته في الليلة السابقة لسفرك عندما كنت أبحث عن العربات في

الجبل فقد كانت ليلة شديدة البرد وملابسي كانت خفيفة ولكن الآن صحتى آخذة في التقدم والحمد لله.

وختامًا أرجو لك وللأنجال الأعزاء مقامًا سعيدًا بمصر وعودًا حميدًا إلى مطروح.. ولك قبلاتي الحارة.

زوجك يوسف

ملحوظة: بعدما كتبت الجواب - أرسلت حامد لشراء ورقة بوسته فعاد وقال - حذري إيه - ما لجيتش يا أفندي وأمري لله في ابن المركوب إللي مالقاش ورقة بوستة في مطروح وعلى فكرة أنا مستنيله على غلطة علشان أنفذ رغبتك.

أشكر عناية محمد نجيب لك في غربتي

بكفيا في ٢٣ يونيو ١٩٥٣

ولدي العزيز محمد

سرني تماثلك للشفاء بقدر ما ساءني نبأ مرضك – شفاك الله وعافاك وكل ما أحبه لك الآن هو أن تكون رجلاً أمام أحداث الزمن فإن الحياة ليست كلها صفوًا... وقد أضحكني منك أن تسمي هذه كارثة وأن تذكر المدرسة والمذاكرة في هذا المجال.

أي بني

إنني أعلم أن نفسك الكبيرة ستغريك بالعمل للنجاح وفي هذا تعريض بصحتك الغالية – فما قيمة الشهادات في يد رجل مريض عليل؟؟.. فأرجو إلى أن أصل أن تتفرغ تمامًا للعناية بصحتك فهي كل شيء لك ولي ولا تجعل للمدرسة والنجاح أو الرسوم أي موضوع لتفكيرك – فخذ بحقك كاملاً من الراحة والغذاء ونفذ تعليمات الأطباء بدقة.

وإنني أشكر الأخ اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية على عنايته بك في غيبتي إلى هذا الحد وأرجو أن تبلغه شكري.

وأما عن (ليلى) فهي بشرى طيبة وقد جاءت في الوقت المناسب لتجعل منك خالاً فتشعرك برجولتك. وأما عن محمود توفيق فهذا تصرف طبيعي من الرجل الذي اتخذته أخًا لك وأنا أعلم به وبمروءته وأرجو أيضًا أن تبلغه شكري.

وإنني أكرر لك النصيحة بالاهتمام بصحتك حتى أراك عند عودتي القريبة بإذن الله كما أود أن أراك في صحة كاملة.
وسلامي إلى الجميع، والدك يوسف

وبعد ذلك يكتب في نفس الخطاب

عزيزتي توحيدة.. أقبلك على البعد قبلة المشتاق وأتمنى لك كامل الصحة - أما أخباري فهي أنني مشغول عن الكتابة إليكم وإلى الكثيرين الذين ينتظرون أن أكتب إليهم بما سبغه الله على هذه البلاد من جمال - متى نرى مصر كما ينبغي أن تكون؟!
إن لبنان كله سحر وجمال ولولا بعدي عنكم لما فكرت في العودة.
سلامي إلى الأهل والجيران وشكري لأخواني الضباط وللرئيس على عنايته بكم ومبروك حفيدتك ليلى. وإلى اللقاء أقبلك على البعد والسلام.
زوجك يوسف

- مع ابنه حسين -

- مع زوجته في عمرين مختلفين -

قضى معظم حياته فى كفاح مستمر بعيدا عن اسرته وفى الصورة اكبر الأبناء محمد الذى توفى وسهير ابنته الكبرى وابنته نعمت وزوجته علية وابنه حسين

الأربعاء ٢٦/٦/١٩٣٦

زوجتي ...

إني تعبت من إرسال خطاباتي إليك - وأود أن أقبلك فعلاً - فليس القول كالفعل ..
كما أنني ضقت بالإسكندرية - رأيت الناس أزواجاً أو جماعات - ولم أر فرداً وحيداً غيري

رأيت الزوج السعيد مع زوجته - أو الأخ مع أخته - أو الولد مع أمه - أو الوالد مع أبنائه - أو العشيق مع عشيقته - أو الخطيب مع خطيبته - وكل هؤلاء لهم من [illegible] يفعلونه - فللأخ أن يصحب أخته للنزهة - وللولد أن يسير بجانب أمه - وللوالد أن يحس بالسعادة بأبنائه - وللعشيق أن يقضي ساعات النهار والمساء مع عشيقته وللخطيب أن يبني آمال المستقبل مع خطيبته - ولكن أنا فلا [illegible] لي لأصحبه للنزهة - فلا أخت ولا أم ولا ولد ولا زوجة هنا - وليس لي ولا [illegible] ولا عشيقة - [illegible] المتنزه .. [illegible] بالنزهة ... وهكذا ستمضي الأيام [illegible] [illegible] سقوطاً بعيداً ...

[illegible] ... وأمام [illegible] - [illegible] [illegible] إلى [illegible] ما دام حيا ... وأمام [illegible] [illegible] أن [illegible] حياتي [illegible] واحد .. والسعادة [illegible] [illegible] ... [illegible] [illegible] [illegible] ...

[illegible] [illegible] .. [illegible] [illegible] الروح التي [illegible] ...

[illegible] لم أنزل إلى الإسكندرية - بل ولم أفكر في ذلك [illegible] في اليوم الأول من الشهر - وفي أول [illegible]

وكل ما [illegible] هنا - هو أنني [illegible] في صحتي - وليست صحتي [illegible] - [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكذلك [illegible] [illegible] [illegible] - [illegible] في الحياة أكثر من أن [illegible] الصحة والعافية ؟؟..

أنا اليوم [illegible] وأكتب إليك هذا وأنا [illegible] - ولذلك فاليوم [illegible] [illegible] - [illegible] أن [illegible] [illegible] - [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] - وأنا [illegible] أنني [illegible] أنني [illegible] كل ما [illegible] إلى أقصى حدود [illegible] ... أو إلى [illegible] الأمر .. [illegible]

إذن [illegible] من جديد - [illegible] حياتنا [illegible] من جديد فكل ما مضى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن [illegible] [illegible] [illegible] وأن [illegible] [illegible] يوليو ١٩٣٦ لا ٤ أبريل ١٩٣٥ - [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للأخبار [illegible]

والآن لم أكتب لحضرتك آخر شهر - وربما أتمكن من الكتابة اليوم إلى [illegible]
أولاد طبعا [illegible] - [illegible] - أحسن قطار يمكن أن تحضروا به [illegible]
[illegible] من مصر [illegible] بعد الظهر - أو [illegible] - [illegible] إسكندرية
[illegible] - وهذا هو أنسب قطار - [illegible] بالسلامة بعد تأدية جميع طلباتكم
في الصباح - وإذا [illegible] أن لا تحضروا يوم ٢ في الشهر أو [illegible]
وسأكتب لحضرتك [illegible] من موعد قيام القطار من مصر - وطبعا سأكون في انتظار
الركاب [illegible] [illegible] - [illegible] أحاول [illegible]
[illegible] - [illegible] وضرورة [illegible]
ولعلي سعيد تكون الأسرة [illegible] من [illegible] [illegible]
الجو في الهواء الطلق - وكم أنا مشتاق لرؤياها وتقبيلها .. ولي [illegible]
ما [illegible] («[illegible]») ولكنه طبعا [illegible]
إن هذا [illegible] وقد [illegible] في قراءة الكتاب وكلمة [illegible]
[illegible] الحصول عليه [illegible]
وقد [illegible] منذ وجودي بالإسكندرية وطبعا
[illegible] هذا النبأ [illegible] - [illegible] - [illegible]
و[illegible] ساعة [illegible] الأكل ولعل السبب في ذلك
[illegible] الجو وعدم الراحة - والصورة إنني بالأمس [illegible]

زوجتي العزيزة

قبلاتي واشواقي لك وللأطفال الأعزاء وبعد
فلقد وصلني خطابك الذي كنت انتظره بفروغ الصبر
كي اطمئن على سعيد وصحتكم .

أما ولدنا العزيز محمود فانه دهشني جداً وقد
كانت لديه صحته ولعله اكتشف في مصر أخيراً
من مضايقات الكثيرة ما يجعله في نفس البرية [illegible]
والسرور . وأما عن سهير فهي ابنتي العزيزة
[illegible] انتم الله [illegible] وعلى [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] – وأما الشيخ [illegible] فانه لم يدهشني
بها وقد استرجعته من دمشق [illegible] – ولذا كان
[illegible] التركيه في مصر أو [illegible] للزواج أو [illegible]
بالأزهر أو [illegible] رأيك فيه

[illegible] الى أهلي [illegible] [illegible] [illegible]
جميعاً [illegible] [illegible] كتابه – والى السيدة الوالدة
مع [illegible] [illegible] – والله انا ما [illegible] الا [illegible]
[illegible] [illegible] – واني [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]
[illegible] الجميل

هنا لا [illegible] آخر كنت لا أريد ان اتحدث عنه ولكنه [illegible] [illegible]
وصلت الى [illegible] وانا الآن ذاهب [illegible] من اليوم التالي ليوم سفرك مباشرة
[illegible] [illegible] [illegible] جداً [illegible] [illegible] الى [illegible] في [illegible] السابقة
[illegible] عندما كنت [illegible] في الجبل [illegible] [illegible] [illegible]
كانت خفيفة ولكن الآن صحتي آخذة في التقدم والحمد لله
وقبلاتي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
جميعاً الى [illegible] [illegible] [illegible]

زوجك
[illegible]

[illegible] [illegible] – [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] في ٢٧ نوفمبر ١٩٥٦

ولدي العزيز يحيى

سرني تماثلك للشفاء بقدر ما ساءني نبأ مرضك - شفاك الله
وعافاك - وكل ما أرجوه لك الآن هو أن تكون رجلا في
أحداث الزمن فإن الحياة ليست كلها صفوا ... وقد أصبحت منذ
أمس [illegible] هذه كارثة؟ ولا تتذكر المرضة والمذاكرة في هذا المجال
أي بني

أنني أعلم أن نفسك الكبيرة ستغريك بالعمل للنجاح
ومن هنا تعرضت لصحتك الغالية - فما قيمة الشهادات في يد رجل
مريض عليل ؟!.. فأرجو إلي أن أصر أن تتفرغ تماما للعناية
بصحتك فهي كل شيء بعد ذلك. ولا تحفل للمدرسة والنجاح أو
الرسوب أو موضع لتفكيرك - فخذ بحقك كاملا من الراحة والغذاء
ولقد تعلمنا في الأخبار بدقة

وإنني أشكر الفريق اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية على عنايته
بك حتى يشفى إلى هذا الحد وأرجو أن تبلغه شكري

وأما عن (ليلى) فهي بخير طيبة وهي جادة في الوقت المناسب
لتجعل منك خالا [illegible] . وأما عن محمود فهو
فهذا وقت لجميع من الرجل الذي اخترته أخا لك وأنا أعلم
به [illegible] وأرجو أيضا أن تبلغه شكري

وإنني أكرر لك النصيحة بالاهتمام بصحتك حتى أراك [illegible]
[illegible] بإذن الله كما أود أن أراك - في صحة كاملة
وسلامي إلى الجميع

والدك

تحياتي وتهنئتي - أحمد الله على العودة قبل الشتاء وأتمنى لك كامل الصحة - أما
مبارك فهو الآن مشغول عنا بكتابة [illegible] وإلى [illegible] الذين [illegible]
إليهم بما [illegible] الله على [illegible] من جمال [illegible] مصر كما يليق أن [illegible]؟!
إن ليلى [illegible] ولولا بعدي عنكم لما [illegible] في الغربة
سلامي إلى الأهل والجيران وشكري للإخوان الضباط والرئيس على عنايتهم
وبدولة [illegible] ليلى وإلى اللقاء [illegible] على [illegible]

زوجتي العزيزة

اطمأنت نفسي بعد استلامي رسالتك وسررت لوجودك والأولاد بصحة جيدة - لم أكتب إليك بالأمس لأنني كنت نائماً في خط الدفاع حيث انتظرت هناك مع ٤٨ ساعة من الزمن وهي الأولى التي تمكنت من الكتابة كتبت هذا إليك شاكراً لله استلامي رسائل راجياً أن لا تترددي إلى هذا المكان المزعج مرة أخرى وقد كنت اليوم صباحاً السعيد في الشاطئ لولا أن حظاً أسك الخالية من السائح تحدثنا عن مواضيع عديدة وحتى عن الأشياء التي هي طعام كنت لديك منذ أيام قليلة - حيث أنني أصبحت احتمل في وصول كل طلبات الليل - فلم أكتب لك بريد إلى هذه هذا ووصلني من المنازل ولم تذكري لي العزيز ما الذي تم في هذا الموضوع

الحالة هنا لا تشجعني على العودة للعمل الذي بعثت منه إليه والى المنزل والنهب ظني أننا نستقيم بعد ٢٨ الجاري من البت في هذا الموضوع فلننتظر الى ما بعد هذا التاريخ الذي ينتظره العالم أجمع

بلغي مزيد تحياتي لخطيب الوالد المشترك محمد أحمد أبو الليل عن هذه المساعدة الأساسية التي أبداها نحوي والتي أدت إلى حل مشكلة ما على ما تنطوي عليه نفسه العالية من السمو والعظمة والنخوة وجميع أهل منزله العامر تحية وسلامي

فبورك لله والإقبال الدائم حصولنا محمود وأرجو لكم دائماً التوفيق على خير حال وسعادة الوالدة وأرجو أن تكون صحتك جيدة والسلام

زوجك

مدين مجيد
٢١/٦/٢٩

زوجتي القاسية

لست ادري كيف يطيب لك ان لا
تكتبي الي فيه

لو انك تتصورين مدى شغفي ولهفتي
ساعة ورود البريد ومدى خيبة الأمل
التي تتولاني حين اجده خلوا من رسالة
منك لما ذهبت معي الى هذه الصورة
القاتمة — وما حيلتي ولك في الحياة
مشاغل أهم من شغلك عني

كثيرا ما حاولت الانتقام منك بجعل
عملك فخانتني ارادتي فرأيتني اكتب اليك
في كل فرصة وادرك لو اكتب اليك لم
[illegible] في حين لا ألتقي منك ردا إلا
بالرجاء والالحاح — حتى مللت ذلك
الاسلوب من التقريع والرجاءات لم تناديني
قد اكون قاسيا ولكنني لن اكون
[illegible] فاني هنا وحيد
[illegible] اكلت [illegible]
[illegible] اولادي كل يوم [illegible]

عن ذاتهم الذي [illegible] الحرب في شهره [illegible] ولم
تتجاوز [illegible] مطلوبا — ولو انك [illegible] تستطيع الكتابة
لما اهملت اباها يوما واحدا كما تفعلين
على الرغم من كل هذا لا زلت ابعث اليك شوقي
والى الاطفال الاعزاء وارجو ان تكونوا جميعا على خير حال
وسلامي الى الوالدة والى خالتي [illegible] ابراهيم وجميع
اهل المنزل والسلام

زوجك
[signature]

[illegible]
٢٩/٤/٤٢

زوجتي الحبيبة لوتو

لم يمنعني عن الكتابة إليك طول هذه المدة غير أنني صممت كالعادة ولا أحب
أن أخفي شيئاً - وقد كانت حالتي في هذه الأيام ولا تزال حتى كتابة هذا غير
سارة لأن المرض لازمني بشدة من يوم ١٢ رمضان حتى أنني اضطررت للإفطار
من هذا التاريخ للآن وحتى أصبحت نتيجة لوجعات المرض ولعدة عوامل أخرى
وحالتي في تدهور سريع مستمر - وكنت أحب أن لا أكتب إليك
حتى لا أذكر لك شيئاً من ذلك قد يؤثر في صفو حياتك أو وحياة
أولادك في وقت أحب تكون فيه تمام الهدوء والسعادة والانسجام
ولم يدفعني للكتابة إليك الآن إلا شدة قلقي على حالة سهير
لأنني شعرت من الأمر أكثر مما وصفته فأرجو بمجرد وصول هذا
سرعة إفادتي بالتفصيل عن حالة سهير وأسأل الله أن لا يكون
ما بها أكثر من أثر ماء البحر

كنت في زيارة بيت خالك أمين أفندي أمس بمناسبة قبض الماهيات
ولم أزرهم طول هذه المدة وقد لاموني لوماً شديداً إلا أن آثار
المرض الظاهرة شفعت لي عندهم وقد وجدت هناك بثينة وولدها
الظريف عادل وهو مخلوق في منتهى الظرف حتى أنني أصبحت لا أسميه
حلواظو لأنه أرق من ذلك جداً وجميعهم في شوق إليك وقد طلبت
أنك أرسلت إليهم خطاباً وجميعهم يهدونك السلام

هذا وقد تألمت لعدم لقاء سهير وأرجو أنه تكون أصبحت في حال
تمكنها من مشاركتكم في الرد

وإنني أرجو ألا تزعجك أخبار مرضي لأنه مرض تافه فقط
فمثلاً أكتب إليك الآن وأنا في حالة شديدة جداً من الانفلونزا
منذ ثلاثة أيام ودماغي في شدة التعب وهكذا كلنا أرجو
لا خطورة فيه ولكنه فيلم عكننة ولعلها وضاع الحياة لكن وصلنا
إليها معاً بالاشتراك والتضامن تجعل حضرتك مسرورة
لوجودي في هذه العكننة ما دمت بعيداً عنك وإنني أحب
~~[illegible]~~

وختاماً قبلاتي لوجناتك ووجنات سوسو ومحمد ومحمود وأحمد
وإلى أيادي السيدة الوالدة وسؤالها الرضا والدعاء وسلامي
للشيخ محمود بك وأولاده وخالك عباس بك وأولاده وللجميع
خاص والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص
يوسف

إلى الأولاد
سلامي إليكم جميعاً وكل عام وحضرتكم بخير

يوسف

ولكن لم أكتب لحضرتك أو لغيرك - وربما أتكلم من التليفون اليوم إلى جلالة [illegible]

أدرك طبعا أنك مسرور - ولكن فكره - أحسن قطار يمكن أن تركبوه هو القطار الذي

يقوم من مصر الساعة ٢ بعد الظهر - أو ٢ ونص للإسكندرية تماما - ويصل إسكندرية

الساعة ٦ ٤٥ - وهذا هو أنسب قطار لحضرتكم بالسلامة بعد تأدية جميع طلباتكم

في الصباح - والحمد لله [illegible] أرجو أن لا تتأخر يوم ٢ في الحضور أو كلام من ده ....

وسأكتب لحضرتك [illegible] عن موعد قيام القطار من مصر - وطبعا سأكون في انتظاركم -

[illegible] رفض الملك [illegible] باشا لحمل ما يمكن حمله - إني سأحاول [illegible]

[illegible] لنقل جلالة الملكة - فلك الفضل ومغفرة [illegible]

ولعل سيكون تكون الأسرة بخير حتى تتمكن من النزول والمشي على شاطئ

البحر في الهواء الطلق - وكم أنا مشتاقة لرؤياها وتقبيلها .. ولو أنه

ما [illegible] "[illegible]") ولكنه طبعا حالة [illegible]

إن هذا [illegible] وقد [illegible] في وزارة الخارجية ولكنه [illegible]

لأنه هو [illegible] على الأسرة ولا [illegible]

وسأحدثك عن [illegible] بالإسكندرية وطبعا

سيغير هذا النبأ السار - فإني لم أنم بالليل - وإن [illegible]

وثقت فإني لا أريد [illegible] والطلب [illegible] ولعل السبب في ذلك

[illegible] الجو [illegible] - والضروري أنني بالأمس [illegible]

[illegible]

■ الورقة الثالثة

محمد أنور السادات في رسائله الخاصة لبناته :

وحشتوني جداً يا غجر يا أولاد الغجر!

سأفسحكم بسيارة عمكم جمال عبد الناصر

كنا بحاجة إلى فرْح.. كنا بحاجة إلى قطرة ماء تروي الشفاه الظمأى.. كنا مجروحين مكسورين.. مهزومين.

كانت مصر بحاجة إلى يد صادقة تمتد لتداري جسدها العاري وتلبسها ثوبًا وتتمقه.. وكنا بحاجة إلى إخراج العروبة من ترملها.

وجاء أنور السادات (١٩١٨-١٩٨١) ذلك الطفل الذي كان ينام فوق الفرن ملتمسًا الدفء في ليالي الشتاء، وكانت -وظلت حتى مات- جدته هي قدوته.. وهي نفس المرأة التي أهانها هيكل في كتابه "خريف الغضب" لأنه كان يعرف أنها كانت عزيزة على قلب السادات.

راحت هذه الجدة تحكي للطفل محمد أنور عن أدهم الشرقاوي ومصطفى كامل و"الفتى زهران" الذي شنقه المستعمر الإنجليزي في حادثة دنشواي، وراح محمد أنور السادات يحلم بأن يكون "زهران" وكره الإنجليز قبل أن يراهم..

استطاع هذا الفلاح الأسمر أن يبهر العالم كله بانتصاره، كما استطاع أن يصدمنا بكامب ديفيد وسلامه.

جاءت كامب ديفيد ففتحت داخلنا نهرًا من الأحزان ما زالت أصداء بقاياه راسبة داخلنا حتى الآن.

لكن ابنته الكبرى "رقية" تخالفني الرأي، بل وتقول لي إن العالم العربي كله لم يعرف أن السادات على حق إلا الآن..

ورقية تشبه السادات في كل شيء.. في صلابته وفي عناده.. في جرأته وطريقة كلامه، بل وحتى مشيته.. هي عاشقة لأبيها إلى حد الاندماج.. متمسكة بمبادئه وآرائه إلى حد الانتصار.. تزهو وتفخر

به وبانتصاره كما يفخر أي عربي بأنه دحر المحتل وحرر الأرض التي أريق عليها دم أولادنا الطاهر.. وهي لا تعمل.. ربّت أولادها محمد أنور وأشرف وسها على القيم والتقاليد الأصيلة.

وقد أعطتني خطابات والدها قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ وبعد ثورة يوليو.. رسائل تضمها إلى صدرها وتخاف على ضياعها.. تحتويها حين تشتاق إلى لقاء والدها.. وكان لابد أن تمتلئ هذه الخطابات بالحنية والدفء والاهتمام بأطفاله الصغار، وذلك لأن محمد أنور السادات نشأ وتربى في القرية، وابن القرية تمنحه البيئة الهادئة الدافئة الممتلئة احتواء لأهلها "حنية" وطيبة وود.. والمتأمل لسيرته الذاتية في كتابه "البحث عن الذات" الذي أعده موسى صبري - الذي لم يكتب اسمه على الكتاب- يرى اهتمامه بالحديث عن نشأته من خلال قوله :

(... كل شيء في القرية كان في الحقيقة مصدر سعادة لي لا تماثلها سعادة أخرى.

عندما نخرج لنشتري الجزر، لا من بائع الجزر، بل من الأرض نفسها.

عندما أضع بصلة في محمى الفرن وهم يخبزون العيش ثم أعود آخر النهار فأخرج البصلة وآكلها..

وحينما كنت ألعب مع أقراني في القرية في ليالي القمر أو نسهر على المصطبة نحن والطبيعة من حولنا والسماء فوقنا لا فاصل بيننا وشروق الشمس..

عندما كنت أسير مع عشرات الصبية والفتية والرجال أصحب الدواب والبهائم في موكب خروج الفلاحين للعمل وسط خضرة لا يحدها البصر وبسطة الأرض التي تبدو كأن لا أرض بعدها.
كل شيء كان يسعدني في ميت أبو الكوم قريتي الوديعة القابعة في أحضان دلتا النيل.. حتى برودة الماء في الشتاء عندما كنت أخرج في الفجر لأن الترعة قد امتلأت بالمياه ولكن لفترة لا تتعدى الخمسة عشر يومًا هي (النوبة) أو نصيب قريتنا في القرى.. ولذلك كان الإسراع بالعمل والمشاركة فيه أمرًا ضروريًا فنحن كل يوم في أرض واحد منا نرويها بطنبوره أو بطنبور غيره لا يهم.. المهم أنه بانتهاء النوبة تكون أرض القرية كلها ارتوت.
هذا العمل الجماعي مع الغير ومن أجل الغير دون أن أنتظر منه ربحًا أو فائدة لي جعلني أشعر أني لا أنتمي إلى أسرتي الصغيرة في دارنا أو أسرتي الكبيرة في قريتنا.. بل إلى شيء أكبر وأهم هو الأرض.. ولذلك ففي رحلة العودة مع الغروب والدخان ينبعث من البيوت مؤذنًا بعشاء شهي ينتهي بعده اليوم في القرية.. والهدوء يخيم على الجميع والسلام يعمر قلوبنا.. كنت أتأمل الشجر والزرع وأحس برباط خفي من الحب والصداقة تربطني بكل ما حولي...).

وكانت تربط السادات بجدته "ست البرين" علاقة من نوع خاص.. وكان دومًا يردد قولها: "لا شيء يساوي أنك ابن الأرض.. فالأرض هي الخلود لأن الله أودعها كل سره..".

وكان يصفها :

(كم كنت أحب هذه السيدة.. كانت شخصية في غاية القوة بالإضافة إلى الحكمة.. حكمة الفطرة.. والتجربة.. والحياة.. وطوال فترة نشأتي في القرية كانت هي رأس العائلة، فقد كان والدي يعمل مع الجيش في السودان.. وكانت هي ترعانا وتخرج وراء الأنفار كأي رجل تتعهد الفدانين والنصف التي اقتناها والدي..

أم الأفندي.. هكذا كانوا يطلقون عليها في القرية.. ولهذا قصة).

ويروي السادات القصة بقوله:

(كان منتهى أمل القروي عندنا أن يدخل الأزهر.. ولكن جدي الذي كان يعرف الكتابة والقراءة؛ وهو أمر نادر في وقته.. أراد أن يشق لأبي طريقًا آخر.. فأدخله التعليم العام حيث حصل على الشهادة الابتدائية.. وكانت في ذلك الوقت تعتبر مؤهلاً هامًا.. فالاحتلال البريطاني كان في أول مراحله.. وجميع المواد كانت تدرس باللغة الإنجليزية... كان والدي أول من حصل على الشهادة الابتدائية في قريتنا.. ولذلك رغم أن بقريتنا الآن مهندسين وأطباء وأساتذة جامعات إلا أنه عندما يأتي ذكر الأفندي وأولاد الأفندي يعرف كل إنسان أنه والدي وأبناؤه).

وقد أدخلت "ست البرين" حفيدها محمد أنور كتاب القرية فحفظ القرآن الكريم، ثم نقلته إلى مدرسة الأقباط بطوخ حيث يوجد دير قديم مشهور مطرانه هو نفس مطران دير وادي النطرون..

واستمع الطفل إلى حكايات جدته عن أدهم الشرقاوي وبطولاته وكفاحه ودهاءه في محاربة الإنجليز والسلطة...

(لكن لعل مما ترك في نفسي أثرًا عميقًا موال زهران بطل دنشواي.. وأنا استمع إليه من أمي وقد اعتليت سطح الفرن الدافئ وإلى جانبي الأرانب وإخوتي الصغار.. وقد استغرقوا جميعًا في النوم أما أنا فكنت بين اليقظة والمنام.

كان هذا الموال يستهويني كل مرة أستمع إليه.. فدنشواي قرية لا تبعد عن قريتنا بأكثر من خمسة كيلو مترات.. والموال يحكي كيف أن عساكر الإنجليز عندما شاهدوا أبراج الحمام في دنشواي أطلقوا عليها الرصاص.

وطاشت طلقة أحرقت جرنًا من أجران القمح.. وتجمع الفلاحون فأطلق عليهم الرصاص أحد عساكر الإنجليز وجرى.. جرى الفلاحون وراءه وأمسكوا به وحصلت معركة مات فيها العسكري الإنجليزي.. وفي الحال قبضوا على الأهالي.. وشكلت محكمة عسكرية في القرية.. وعلقت المشانق قبل صدور الأحكام التي قضت بجلد عدد من الفلاحين وشنق عدد آخر.

وكان زهران بطل المعركة التي قامت مع الإنجليز وكان أول من حكموا بشنقه.. ويحكي الموال عن شجاعة زهران وصموده في المعركة وكيف أنه تقدم من المشنقة مرفوع الرأس فخورًا مزهوًا بنفسه لأنه استطاع أن يتصدى للمعتدين وأن يقتل أحدهم.

كنت أستمع إلى الموال ليلة بعد ليلة وأنا بين النوم واليقظة -كما قلت- ولعل هذا ما جعل عقلي الباطن يختزن القصة.. وأطلق العنان

لخيالي فكم رأيت زهران وعشت بطولته في الصحو وفي المنام.. وكم تمنيت لو كنت زهران.

وهكذا أدركت من فوق سطح الفرن في دارنا بالقرية أن هناك خطأ ما في حياتنا.. وقبل أن أرى الإنجليز.. وأنا ما زلت داخل قريتي.. تعلمت أن أكره المعتدين الذين قتلوا وجلدوا أهلنا.

ولكن لم يكن هذا كل ما تعلمته في ميت أبو الكوم فقد تعلمت ما بقي بعد ذلك معي طول العمر وهو أنني أينما ذهبت وفي أي مكان كنت فسوف أعرف دائمًا أين أنا.. لن أضل الطريق أبدًا.. لأني أعرف أن جذوري هناك حية متأصلة في أرض قريتي التي أنبتتني كما تنبت الزرع والشجر.

هكذا قضيت السنوات الأولى من حياتي في قريتي الوادعة إلى أن كان يوم وجدت نفسي فيه أنتقل فجأة مع أسرتي إلى القاهرة لأن والدي -كما قالوا لي- قد عاد من السودان).

وانتقل السادات إلى القاهرة عام ١٩٢٥ في أعقاب مقتل السردار الإنجليزي سيرل ستاك في سنة ١٩٢٤.. واستقر مع أسرته في بيت صغير بكوبري القبة.

وبدأ وعيه السياسي يتشكل أثناء دراسته في المرحلة الثانوية لدرجة أن غاندي مرّ بمصر في طريقه إلى إنجلترا.. وأعجب السادات بغاندي لدرجة أنه خلع ملابسه وغطى نصفه الأسفل بإزار وضع مغزلاً واعتكف فيه فوق سطح بيتهم بالقاهرة عدة أيام إلى أن تمكن والده من إقناعه بالعدول عن هذه الفكرة خاصة أن الوقت كان شتاءً.

(وعندما زحف هتلر من ميونخ على برلين ليخلص بلاده من آثار هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ويعيد بناءها كنت في ذلك الوقت أقضي الصيف في القرية.. فجمعت أقراني وقلت لهم إننا يجب أن نفعل كما فعل هتلر وإنني أنوي الزحف على القاهرة من ميت أبو الكوم.. كان عمري في ذلك الوقت ١٢ سنة، فضحكوا مني وانصرفوا عني).

كان السادات يبحث عن ملهم أو زعيم يأخذ منحاه ليخلص بلاده من المستعمر.. وجاء دخوله الكلية الحربية التي كانت تعتمد على "الواسطة".. ولكن من أين له بالواسطة ووالده مجرد باشكاتب بالقسم الطبي.. واستطاع التوصل إلى اللواء إبراهيم باشا خيري رئيس اللجنة التي تقبل الطلبات بالكليات الحربية.. كما توصل والده إلى حكيمباش الجيش المصري وهو إنجليزي يدعى فيتس باتريك.. وتخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ وكان موضع إعجابه في هذه الفترة أحمد عرابي ومصطفى كامل وأتاتورك.. وانتقل إلى منقباد وكانت تتم اجتماعات معه وزملائه الضباط لمناقشة أوضاع البلد والقيام بدور لأجل تحررها من الاستعمار.. وكان ينقلهم أتوبيس عسكري خاص منقباد إلى أسيوط، والتقى هناك لأول مرة بجمال عبد الناصر... (وكان انطباعي عنه أنه شاب جاد لا يميل إلى المزاح مثل غيره من الزملاء ولا يقبل أن يضاحكه أي إنسان لأنه كان يرى في هذا مساسًا بكرامته، مما جعل أغلب الزملاء يبتعدون عنه، بل ويتحاشون الكلام معه حتى لا يسيء فهمهم.. كان ينصت إلى

مناقشاتنا باهتمام ولكنه لا يتكلم إلا في القليل النادر.. وقد توسمت فيه الجدية لأول وهلة، وكنت تواقًا إلى المزيد من التعرف عليه.. ولكن كان من الواضح أنه يقيم بينه وبين غيره من الناس حاجزًا من الصعب اجتيازه.. فقد كان منطويًا على نفسه بشكل يلفت النظر ولذلك فكل ما قام بيننا - في تلك المرحلة - لم يخرج عن نطاق الاحترام المتبادل ولكن عن بعد...).

وأعتقل السادات أكثر من مرة، إذ أتهم في قضية مقتل أمين عثمان الشهيرة وهرب من المعتقل أكثر من مرة.

وقامت ثورة يوليو فأججت نيران الثورات في العالم العربي...
وقد سألت رقية أنور السادات كيف ترين دور والدك في ثورة يوليو؟
قالت:

(بعد أن خرج والدي من السجن الذي قضى فيه ٣١ شهرًا متواصلاً بدأ مع زملائه في الإعداد للثورة بعد أن عاد إلى القوات المسلحة في ١٥ يناير ١٩٥٠ برتبة يوزباشي، وهي نفس الرتبة التي خرج بها، وكان أول من زاره وفرح بعودته إلى الجيش جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأخذهم الحديث عن تنظيم الضباط الأحرار ومدى قوته واتساعه، وكشف له عبد الناصر عن خريطة الضباط الأحرار في وحدات الجيش وقامت بينهم علاقات وطيدة.
بدأ عبد الناصر في تكوين الهيئة التأسيسية واختيار أعضائها ممن اقترب منهم شخصيًا في حرب فلسطين مثل كما الدين حسين وصلاح سالم وعبد الحكيم عامر، وكذلك قادة التنظيم قبل أن يتسلمه وهم..

عبد المنعم عبد الرؤوف وعبد اللطيف بغدادي وخالد محي الدين وحسن إبراهيم ووالدي، نظرًا للعلاقة القوية التي كانت بينهم، لذا كان والدي يقدم النصح لعبد الناصر ومساندته في مواقفه المختلفة من الصراعات القائمة في الهيئة التأسيسية وتوزيع منشورات الضباط الأحرار في المناطق الخاصة به.. كما أن والدي استطاع اختراق القصر الملكي ومعرفة خبايا الملك ونواياه عن طريق صداقته بيوسف رشاد.. وأخبر عبد الناصر أن الملك بدأ ينهار بعد حريق القاهرة.. وقد سافر والدي إلى العريش لكن عبد الناصر أرسل له رسالة مع حسن إبراهيم يطلب منه فيها النزول إلى القاهرة يوم ٢٢ يوليو لأن الثورة تحدد قيامها بين ٢٢ يوليو و٥ أغسطس، وعليه أن يعود في ٢٢ يوليو.. ولما عاد أبي لم يجد عبد الناصر يستقبله كالعادة فأخذ طنط جيهان وذهب إلى السينما، ولما عاد وجد بطاقة يطلب فيها لقاءه في منزل عبد الحكيم عامر في الحادية عشرة مساء، وقد أخبره البواب أن الذي ترك البطاقة عاد مرتين لزيارته.

ووصل لعبد الحكيم عامر بصعوبة وتوجه إلى رئاسة الجيش حيث طلب منه عبد الناصر الاتصال تليفونيًا بجميع الوحدات ليعرف أن كل شيء يسير حسب الخطة الموضوعة حتى قاموا بثورتهم وحرروا البلد التي حلموا بها خالية من المستعمر).

وعن رؤيتها للسادات الإنسان والأب تقول:

(محمد أنور السادات الأب محفور في وجداني وذاكرتي لا أستطيع نسيانه لحظة واحدة.. هذا الأب الذي وهب نفسه للأمة كلها، أول ما

وعيت على هذه الدنيا لم أجده.. كان غائبًا عني هناك خلف الأسوار حيث المعتقلات والمطاردات لأجل هذا الوطن.. أذكر والدي الذي يحاول بكل الطرق أن يجرد وطننا من محتليه وأن يزيح الغبار عنه.. وقد حكت لي أمي أنه بعد ميلادي بعام دخل والدي معتقل "ماجوسة" في المنيا عام ١٩٤٢.. أما إدراكي الكامل لاعتقاله فكان أثناء دخوله معتقل "قرة ميدان" حيث اتهم في مقتل أمين عثمان وكانت حياة صعبة جدًا.. وكنا نعيش مع جدي في بيت العائلة في كوبري القبة.. وكان كلما اعتقل والدي في مكان ننتقل للإقامة في بيت بجوار هذا المعتقل.. فأقمنا في الزيتون في فيلا أمام كنيسة العذراء.. ولما هرب من المعتقل انتقلنا للإقامة في المرج.. وكان قد امتهن عدة مهن كشيال ومقاول وخلافه.

كان في والدي حنان الدنيا كلها، لم تعرف القسوة طريقها إلى بيتنا.. كنا حين نخطئ يقومنا، لو أخطأت في شيء كانت أمي هي الحازمة أما هو فكان دومًا الذي يغفر لنا.

وعن أقسى اللحظات التي مرت بها تقول رقية:

("قره ميدان".. وقد حكى لي والدي عنه حكاية "تشيب".. وكنت أعتقد أن أبي حرامي، فما سر وجوده في السجن؟

تساؤلات عديدة كنت أطرحها على نفسي وأنا طفلة، وأخبره عمي طلعت أن حالتي النفسية سيئة جدًا وأريد رؤيته، وجاءوا لي بتصريح زيارة، وأثناء زيارتي قلت له: "بابا.. هو أنت مسجون لأنك حرامي"؟

وكان لديه شموخ فقال لي لا يا رقية يا بنتي أنا مسجون سياسي.. أنا مسجون فداء مصر.. ولم أستطع أن أنسى هذه الكلمة أبدًا.. هي محفورة في ذاكرتي حتى الآن).

وترى رقية أن رسائل والدها تاريخ ينضم إلى تاريخه العريق والطويل ويوضح مدى حنانه وحبه لأولاده ووطنه الأكبر مصر.

وفي الرسائل رسالة من جيهان رءوف الزوجة الثانية لأنور السادات حيث كان متزوجًا قبلها من السيدة إقبال ماضي والدة رقية.. وكان السادات يحرص على أن تظل العلاقة بين أسرته متماسكة حتى لو كانتا زوجتين لذا نرى كيف تطمئن جيهان على رقية وإخوتها.. وكيف تتحدث عن أولادها وأولاد إقبال ماضي دون تفرقة.. فالسادات مثل أي رجل ريفي يحرص على تماسك أسرته..
ونرى في الرسائل الخاصة والتي كان يرسلها لأولاده من المصيف قبل ثورة يوليو، ويتضح فيها أسلوبه الساخر وطريقته الجميلة لمصادقة أولاده وتبسيط العلاقة بينهم.

هذه الرسائل هي عالم السادات السري الرائع الذي نحاول اكتشاف أشياء عديدة من خلال قراءة رسائله بالتأني.

حبيبتي راكا وراوية وكاميليا

أقبلكم جميعًا يا أولادي وأدعو الله لكم بالصحة والسعادة، لم أتمكن من أن أجد لكم عربة لكي تتفسحوا فيها وأرجو إنشاء الله أن أتمكن من ذلك في المرة القادمة بعربة عمكم جمال.

يا ست راكا ذاكري دروسك كويس وكمان عايز خطك يتحسن لأنه عامل زي نغبشة الفراخ..

أما حضرتك يا راوية بنتي يا غجرية فلازم تاكلي كويس علشان صحتك وبلاش غلبة وشقاوة، وإنشاء الله في الصيف تيجي مع أختك وتركبي العربية مع بلية والعجوزة كاميلينا لازم تاكلي كويس علشان تكبري وتروحي المدرسة مع أختك الغجرية راوية.

ختامًا تقبلوا تحياتي وقبلاتي لكم ودعواتي مع تحياتي لوالدتكم.

والدكم

١٩٥٢/٢/٢٢

حبيبتي راكا وراوية وكاميليا

أقبلكم يا أولادي وأدعو لكم بالصحة والسعادة

وحشتوني جدًا يا غجر يا أولاد الغجر وإنشاء الله سأحضر حوالي يوم ١٠ في الشهر الحالي وأتعشم أن أراكم في أحسن صحة وأتم سعادة.

يا ترى يا ست راكا بنتي حضرتك مجتهدة في المدرسة ولا لأ؟ وأنت كمان يا راوية بنتي يا غجر صحتكم كويسة ولا لأ.. وبتاكلي كويس ولا لأ.. إذا حضرتك وسمعت عن شقاوتك رايح أموتك.

وأنت يا كاميليا يا غلباوية بنتي اتجدعني علشان تروحي المدرسة مع أختك راوية وتبقي كبيرة.

ختامًا يا أولادي أقبلكم وأرجو أن أراكم في القريب إنشاء الله.

تحياتي لكم ولوالدتكم مع أطيب تمنياتي.

والدكم أنور

١٩٥٢/٤/١

حبيبتي راكا

أقبلك أنت وأخوتك وأدعو لكم يا أولادي بالصحة والسعادة..

لم أتمكن من أن أراكم قبل سفري لأنني عدت إلى رفح بسرعة لأعمال مهمة.

إن شاء الله تكون صحتك كويسة يا راكا وحافظي على نفسك من البرد يا بنتي وإنشاء الله سأعمل لك عملية اللوز في الصيف.

واظبي يا راكا على دواء الكحة.

وأنت يا راوية بنتي لازم تأخذي الدواء النقط المقوي، ولازم تأكلي كويس أحسن بعدين أسيبك في مصر من غير تصييف معايا هنا في رفح.. وكمان دوار الحبوب والكحة وحافظي على نفسك من البرد يا غجرية يا بنت العجوز.

وأنت يا كاميليا أوعي البرد أحسن الدكتور قال إنك تعبانة أكثر من أخواتك وداومي على الدواء المقوي والحبوب ودواء الكحة.

إنشاء الله سأحضر لمصر في الشهر القادم وسأكتب لكم عن تاريخ حضوري وأرجو أن تكونوا في أحسن صحة.

ختامًا أقبلكم يا غجر يا أولادي وأدعو لكم بالصحة والسعادة.. وأرسل لكم تحياتي وللسيدة والدتكم مع التمنيات.

والدكم أنور

رفح في ١٩٥٢/٤/١٥

بنتي الحبيبة روكية

طبعًا يا سافلة انتظرتي كل هذه المدة الطويلة قبل أن تكتبي لي لأنك مشغولة فيما هو أهم من أبوكي.. فأنا أفهم أن يتأخر أمين قليلاً بالنسبة لظروفه.. ولكن ما عذرك أنت.. يا ....

المهم أنني سامحتك بالنسبة لظروفكم التي حكى لي عنها أمين – أما عن صحتي فاطمئني فهي بخير ولله الحمد.. وحكاية الحلم بتاع حضرتك دي قديمة لأنك مش فاضية لي..!

كما قلت لأمين سأعمل إنشاء الله تحاليل هذا الأسبوع ورسم ولكن المهم أنني منتظركم ومنتظر العمل الجديد..

إنشاء الله سأعمل جهدي أنا وجيهان لكي نمر عليكم في الصيف إلا إذا انشغلت هنا – وأرجو أن لا تتأخروا في إدخال حمادة المدرسة وأن تهتمي أنت أيضًا بشغل وقتك والاستفادة من وجودك لتساعدي أمين في عمله وفي البيت وأرجو أن تساعديه بكل طاقتك وتوفري له الراحة والسعادة لكي يستطيع أن ينجز عمله.

ختامًا تقبلي مني قبلاتي لك وللكلب حمادة وأخلص دعواتي وتمنياتي لكم بالسعادة والتوفيق.

والدك

أنور السادات

٢٥-٥-١٩٥٤

عزيزتي روكية:

سلامي وتحياتي لك ولأمين وحمادة..

وصلنا خطابك وسررنا جدًا لأنكم استقريتم كما أرجو

لا تضيعي وقتك يا روكية أحسن كل يوم تستفيدي به سينفعك فيما بعد...

أخذنا نضحك أنا وأنور على حكاية التفاح الذي بنصف سعره والخوف يا روكية إنك توفري في طوابع البريد وترسلي لنا كل شهر خطاب ربنا يستر.. المهم أنكم وحشتونا خالص.. ويا ترى حمادة عامل إيه مبسوط ويا ترى دخل المدرسة ولا لسه، ولا تنسي أن تكتبيه عري قدر استطاعتك للمستقبل.. إنشاء الله إذا كان أنور فاضي في الصيف سنأتي لكم طبعًا من غير إخواتك للـ"توفير".. نوسة تسأل دائمًا عن حمادة.. كذلك الأولاد دائمًا يسألون عنكم، ولبنى تسأل عنك بالذات.. ختامًا لك مني ألف ألف قبلة وسلام وكذلك سلامي لأمين وربنا يوفقه.. وبلغي حمادة إنني ببرقله عيني..

وأخيرًا سلامي وتحياتي وإلى أن ألقاك لك دعائي بالتوفيق.

جيهان

- الرئيس السادات مع ابنته وبجواره والدته وشقيقه -

- أثناء عقد قران ابنته -

- مع المصور فاروق إبراهيم -

حبيبتي إلها

أقبلك أنت وأخوتك وأدعو لكم يا أولادي بالصحة والسعادة
لم أتمكن من أن أراكم قبل سفري لأنني عدت الى الريف بسرعة
لأعمال مهمة

ان شاء الله تكون صحتك كويسة يا إلها وحافظي على نفسك من
البرد يا بنتي وان شاء الله سأعمل لك عملية اللوز في الصيف .
واظبي يا إلها على دواء الكحة

وأنت يا راوية بنتي لازم تأخذي الدواء المقوي ولازم
تأكلي كويس أحسن نبعدك أسيبك في مصر من غير تصييف
معانا هنا في الريف وكمان دواء الحبوب والكحة وحافظي على نفسك
من البرد يا مجرية يا بنت العجوز

وأنت يا كاميليا بنتي أوعي البرد أحسن الدكتور قال انك تعبانة
أكثر من أخواتك وداومي على الدواء المقوي والحبوب و
ودواء الكحة

ان شاء الله سأحضر لمصر في الشهر القادم وسأكتب لكم عن
تاريخ حضوري وأرجو أن تحافظوا على صحتكم يا أولادي حتى
لما أشوفكم ان شاء الله تكونوا في أحسن صحة

ختاما أقبلكم يا مجد يا أولادي وأدعو لكم بالصحة والسعادة
وأرسل لكم تحياتي وللسيدة والدتكم مع التحيات

الريف في ١٠/٤/٩٥٢

والدكم
العزيز

بنتى الحبيبة رقية

طبعاً يا سافلة انتظرت كل هذه المدة الطويلة قبل ان تكتبى لى لأنك مشغولة فيما هو أهم من
ابوكى .. فأنا افهم انه يتأخر اسبوعاً قليلاً بالنسبة لظروفه ولكن ماعذرك انت .. يا ...
المهم انى سأسامحك بالنسبة لظروفكم التى حكى لى عنها اسيه - اما عن صحتى فاطمئنى فهى بخير
ولله الحمد وحكاية الحلم بتاع حضرتك دى قديمة لانك ... فاضية لى ... !
كما قلت لأسيه سأعمل ان شاء الله تحاليل هذا الاسبوع ... ولكن المهم انى انتظركم وانتظر العمل
الجديد .. سأعمل جهدى انا وجيهان لكى نمر عليكم فى الصيف الا اذا انشغلت هنا - وارجو ان
لا تتأخرى فى ارسال عمارة المدرسة وانه تهمنى انت ايضا بشغل وقتك والاستفادة
من وجودك لتساعدى اسيه فى عمله فى البيت وارجو انه تساعديه بكل طاقتك وتوفرى له
الراحة والسعادة لكى يستطيع ان ينجز عمله
خبرينا ما تقبلين منى تبليغه لك ولاطفال عمارة واهله وتمنياتى لكم بالسعادة والتوفيق

والدك

السادات

٢٧/٥/١٩٦٢

عزيزتي روكية

سلامي وتحياتي لك ولأمه وحمادة..

وصلنا خطابك وسررنا جدا لأنكم استقريتم كما أرجو أ؟

لا تضيعي وقتك يا روكية أحسن كل يوم تستفيدي به سينفعك فيما بعد... أخذنا نضحك أنا وأنور على حكاية التفاح الذي ينصف سعره والخوف يا روكية إنك توفري في طوابع البريد وترسلي لنا كل شهر خطاب ربنا يستر... المهم انكم وحشتونا خالص ويا ترى حمادة عامل إيه مبسوط ويا ترى دخل المدرسة ولا لسه ولا تنسى أن تكتبي عربي قدر استطاعتك للمستقبل... إنشاء الله إذا كان أنور ماضي في الصيف سنأتي لكم طبعا من غير إخوانك "للتوفير" نوشة تسأل دائما على حمادة كذلك الأولاد دائما يسألوا عنكم ولبنى تسأل عنك بالذات.. ختاما لك مني ألف ألف قبلة وسلام وكذلك سلامي لأمه وربنا يوفقه... وبلغي حمادة إني بيوحشني عينتي تحشانه وأخيرا سلامي وتحياتي وإلى أن ألقاك لك دعائي بالتوفيق

جيهان

حبيبتي رقية وراويه وكاميليا

اقبلكم جميعاً يا اولادي وادعو الله لكم بالصحة والسعادة

ثم اشكركم عن انه اجد لكم عربة لكي تتفسحوا فيها وارجو

ان تسعد ان اتكلم عن ذلك في المرة القادمة بعربة

عمكم جمال

يا ست رقية ذاكري دروسك كويس ولماذا عايز خطك

يتحسن لأنه مازال زي نعكشة الفراخ

اما حضرتك يا راوية بنتي يا عجرمة فلازم تاكلي كويس

علشان صحتك تبقى غلبة وشقاوة زي

في الصيف تبقي زي اختك وتركبي العربية مع بلية

والعجوزة كاميليا لازم تأكل كويس علشان تكبري

وتروحي المدرسة مع اختك العجرمة راويه

ختاماً تقبلوا تحياتي وقبلاتي لكم ودعواتي مع

تحياتي لوالدتكم

والدكم

انور

٢٢/٢/٥٠

حبيبتي إلها وراوية وكاميليا

أقبلكم يا أولادي وادعو لكم بالصحة والسعادة،
وحشتوني جدا يا أجمل يا أولاد العجز وانشاء الله سأحضر حوالي
يوم ١٠ في الشهر الحالي واتمنى ان اراكم في احسن صحة وأتم
سعادة
إنتي يا ست إلها بنتي حضرتك مجتهدة في المدرسة والا لا؟
وانتِ كمان يا راوية بنتي يا عجوزة صحتك كويسة والا لأ وبتاكلي
كويس والا لأ إذا حضرت وسمعت عن شقاوتك حأجي
أموتك
وانتِ يا كاميليا يا غلباوية بنتي اجتهدي علشان تروحي المدرسة
مع اختك راوية وتبقي كبيرة.
قريبا يا أولادي أقبلكم وأرجو أن أراكم في القريب إن شاء الله
تحياتي لكم ولوالدتكم مع أطيب تمنياتي.

والدكم

١/٤/٩٥٢

■ **الورقة الرابعة**

رسائل أشهر رئيس مخابرات عربي من المعتقل:

صلاح نصر لأسرته:

جمال عبد الناصر لن يمنع لقائي بكم!!

سعاد حسني عميلة مخابرات خايبة!!

التقيت بطبيب العيون الشهير هاني ابن صلاح نصر فاشتعلت الحرائق وفتحت أبواب من الجحيم على تاريخ مطوي ومختبئ ومغلف، كلما جاءت مناسبة اشتعلت ناره، ثم خفتت، لكنها أبدًا لا تغيب، فقد كُتب عن صلاح نصر أطنان من الأوراق وحكايات عن النساء والجنس والفساد والمال، ولم يقترب الكثيرون من عائلة صلاح نصر للإطلاع على مسيرة أحد الضباط الأحرار أركان حرب الكتيبة ١٣ ليلة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ورئيس واحد من أقوى أجهزة المخابرات في العالم.

وحين سألت هاني عن والده وعما قرأه وسمعه عنه قال:

(أحسست بتناقض غريب ووقعت في حيرة، فصلاح نصر الذي رباني وعلمني كان رجلاً طيبًا، حنونًا، وورعًا، يتقي الله، تمتلئ عيناه بالدموع إذا شاهد طفلاً وحيدًا يبكي في الشارع، وكان طوال وقته مشغولاً عنا ومهمومًا بعمله، وفي المرات التي كنا نراه فيها كان يصطحبني للفسحة ويحضر لنا هدايا.. لكن الذي قرأته كان عن رجل لا أعرفه اسمه صلاح نصر، كتبوا عنه كذبًا وتدليسًا وإشاعات مغرضة لا علاقة لها بهذا الرجل الطيب الذكي القوي الذي استطاع أن يدير جهاز مخابرات شهد له العالم كله بتفوقه.. لقد علمني والدي أن أقول الحق وأني أتمسك بمبادئي مهما حدث).

وحين تصفحت وهاني الأسرار الخاصة بوالده ورسائله كان هناك سؤال يطن على أذني.. وأريد أن أسأله له عن فنانة أعشقها وهي النجمة الراحلة سعاد حسني حيث سألته عن علاقتها بالمخابرات.. وهل كانت مجندة حقًا في المخابرات المصرية؟

قال هاني إنها كانت مجندة بالفعل في المخابرات المصرية، ولكنها كانت "عميلة مخابرات خايبة" حسبما يرى أبي، وكان يرى أيضًا أنها لم تكن تؤدي المهام التي أوكلت إليها بكفاءة لأنها كانت تهتم بحياتها الشخصية، ورغباتها أكثر من المهام الموكلة إليها.

ورغم سعادتي بأن هذه الرسائل تنشر للمرة الأولى لصلاح نصر إلا أني عشت أيامًا في حزن وحيرة من أمري لا أدري الحقيقة، فما قرأته كله "كوم" وهذه الرسائل "كوم" آخر.. فهذا صلاح نصر.. وهذا صلاح نصر آخر كما سوف يتضح من رسائله الخاصة والتي كان يرسلها لأهله من المعتقل.

وصلاح نصر نشأ في أسرة ريفية هي أسرة "النجومي".. وقضى أغلب حياته في المدينة، لكنه كان كل صيف في قريتهم، وقد حكى والده عن أصول أسرة النجومي بأنها نزحت من الجزيرة العربية بعد الفتح الإسلامي، واستقر ببعضها المقام في حي شبرا البلد، ونزل آخرين ببلدة "أوليلة" مركز ميت غمر.. وأسرة النجومي تنتمي لقبيلة عربية تدعى "خزامة"، وحين جاءت إلى مصر عرفت باسم أسرة الشويخ نسبة إلى ولي الله الشيخ محمد الخزامي المدفون في ضريحه ببلدة أوليلة وملحق بالضريح مسجده الذي أقيم مكان منزل الأسرة بعد انتقالها للإقامة بقرية "سنتماي"، حسب رواية صلاح نصر في الجزء الأول من مذكراته "الصعود" الصادر عن دار الخيال.. ويكمل: "وحدث أن أحد الأجداد نقل إقامته إلى قرية "سنتماي" لأن الاتصال بالأرض الزراعية المملوكة له في "سنتماي أسهل اتصالاً بها

من "أوليلة" ولا يزال فرع من الأسرة يقيم بقرية "أوليلة" باسم أسرة زايد، أما الذين نزحوا إلى "سنتماي" فظلوا يحملون لقب الشويخ.
وفي عهد محمد علي ظهرت حركة مقاومة له في المنطقة لتمنعه من إرسال جنود مصريين لمحاربة إخوانهم المسلمين في الغزوات التي شنها محمد علي في بلاد العرب وسوريا والسودان، وكان أحد زعماء حركة المقاومة جدنا سيدنا أحمد هلال الشويخ، وتحصنت حركة المقاومة في بلدة كفور نجم من أعمال مديرية الشرقية.. واستمرت الحركة حتى انتهاء حروب محمد علي عام ١٨٤٠، فعاد الجد سيد أحمد إلى "سنتماي" وعرف منذ ذلك التاريخ باسم سيد أحمد النجومي".

إذن فلعائلة صلاح نصر دور وطني ضارب في أعماق التاريخ المصري ومنذ عهد محمد علي.. فهل صعود صلاح نصر لهذه المكانة له علاقة بالجينات الخاصة به؟!
لقد ولد في ٨ أكتوبر ١٩٢٠ في قرية سنتماي، وكان والده أول من حصل من قريتهم على تعليم عال، وعمل مدرسًا حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٥١.. أي قبل ثورة يوليو بعام.. وصلاح كان أكبر إخوته لذا كان مميزًا كابن بكر بالنسبة لأبيه وأمه.. وتلقى صلاح تعليمه الابتدائي في مدرسة طنطا الابتدائية، وتلقى تعليمه الثانوي في عدة مدارس نظرًا لتنقل أبيه من بلدة لأخرى، فقد درس في مدارس طنطا الثانوية، وقنا الثانوية، وبنباقادن الثانوية بالقاهرة.. ونشأ في طبقة وسطى، وأمضى طفولته وصباه في مدينة طنطا.. وكان يرى

حرص أبيه وأمه على الصلاة والصوم فحرص عليهما.. وكان أول هدية حصل عليها من أبيه كاميرا تصوير نوعها "تورتون" ثمنها اثنا عشر قرشًا عام ١٩٢٧..!!

وهناك حادثتان أثرتا في مسار حياته وبقيتا راسيتين حتى رحيله في بداية الثمانينات حيث يذكر:

(في مرحلة دراستي الابتدائية أذكر حادثًا كان له تأثير مباشر على مسلكي فيما بعد، إذ حضر إلينا في مدينة طنطا من القرية بعض أبناء عمومتي الذين كانوا في سن الشباب، ليشاهدوا مولد السيد أحمد البدوي على عادة أهل الريف.. وتعلقت بهم -وكنت في العاشرة من عمري- لأصحبهم إلى ساحة المولد.. ووافق أبي ومنحني خمسة قروش وبالطبع شاهدنا الألعاب المعروفة في الموالد.. وعند لعبة "الأطواق" وقفت أتأمل الناس وهي تقذف أطواقا صغيرة على هدايا رصت على منضدة أمامهم، ومن كان يستطيع أن يحيط الطوق بإحدى الهدايا يفوز بها.. وقررت أن أجرب حظي فربحت هديتين، وفرحت بهما.. ولما عدت إلى المنزل رآهما أبي في صباح اليوم التالي، وسألني كيف أمضيت الليلة السابقة.. فما أن ذكرت له لعبة "الطوق"، حتى نهرني وأخذ يشرح لي أن هذا هو الميسر بعينه الذي حرّمه الله.. وبأسلوب تربوي لا يزال عالقًا في ذهني حتى اليوم، أخذ يشرح لي في بساطة مضار هذا السبيل.

وكان لهذا "الدرس" أثر كبير في حياتي فلم أقرب هذا الأمر طوال حياتي.

ثمة حادث آخر انطبع في ذهني طوال سنين عمري.. ففي السابعة من عمري رأيت أبي وأمي تذرف عيونهما الدمع.. فاستبد بي شيء من خوف وقلق، ووقفت أمامهما واجمًا.. وسألت أمي عن سبب بكائهما فردت في أسى: سعد باشا مات.. عدت فسألتها في سذاجة: أهو قريب لنا؟

وتدخل أبي في الحديث فقال إنه قريب كل مصري وكل مصرية.. سألته ببراءة الأطفال: وكيف كان ذلك؟.. قال أبي محاولاً أن يشرح لي بأسلوب بسيط: سعد باشا زغلول رئيس المصريين، وهو المسؤول عنهم جميعًا، وعن حمايتهم من الإنجليز المحتلين بلادنا، والذين يسلبون خيراتنا، ويجعلوننا نسير في حياتنا وفقًا لمشيئتهم.

وبالطبع لم أفهم أبعاد ما يريد أن يقوله أبي فعدت أسأله:

أليس لدى هؤلاء الإنجليز خيرات ليسرقوا خيراتنا؟

أجاب والدي: لو قابلك صبي أكبر منك سنًا وأقوى منك بنية واغتصب مصروفك اليومي عنوة ماذا تفعل؟

قلت سأحاول أن استرد منه نقودي.

قال والدي: قد لا تستطيع استرداد نقودك منه لأنه أقوى منك، وهؤلاء الإنجليز مثل هذا الصبي الذي سلبك مصروفك عنوة.. قاموا بالهجوم على مصر غدرًا، وأقاموا على أرضها رغم أنف المصريين، وبدأوا ينهبون خيراتنا من حبوب وقطن وكل ما تنتجه أرضنا ليستمتعوا بها.

قلت: إذن فهم لصوص.

أجاب والدي: لا يختلفون عن اللصوص في شيء).

وتأثر صلاح نصر كثيرًا بأمه التي ماتت وهو في السابعة عشرة من عمره، وكانت قد تجاوزت الثلاثين بقليل، وصدم صدمة كبيرة برحيلها.. كانت ينتظر نتيجة دراسته الثانوية، وكانت أمه على فراش المرض جاءها سعيدًا وقال لها إنه نجح فقالت له: الحمد لله.. الله معك. وبعد عدة دقائق فارقت الحياة.

وفي عام ٣٥ و١٩٣٦ كان يدرس صلاح في محافظة قنا - جنوب مصر - وتعرف كثيرًا على الصعيد وبهرته أسوان والأقصر ودندره وأدفو وكوم أمبو، وبعد عام في قنا عاد مع والده إلى القاهرة لينهي دراسته الثانوية ويلتحق بالكلية الحربية - دفعة أكتوبر ١٩٣٦ - ولم يكن والده مرحبًا بدخوله الكلية الحربية.

ومرت في هذا الوقت أحداث عديدة عاصرها صلاح نصر وتأثر بها ومنها نشوب الحرب العالمية الثانية، والوزارة الائتلافية، ووزارة حسين سري، وحادث ٤ فبراير١٩٤٢ والأحكام العرفية وانقسام الوفد وكتابة مكرم عبيد للكتاب الأسود ضد النحاس وإقالة وزارة النحاس واغتيال أحمد ماهر ثم قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين حرب ١٩٤٨ وعودة الوفد للحكم... كانت الحياة السياسية في مصر مضطربة في ذلك الوقت، والشباب ثائر يبحث عن دور، وكان صلاح نصر صديقًا لعبد الحكيم عامر منذ عام ١٩٣٨ أثناء داستهما في الكلية الحربية، وفي إحدى لقاءات عامر ونصر، فاتحه عامر بالانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار فتحمس صلاح نصر للفكرة

وانضم إلى التنظيم، وكان جمال عبد الناصر يدرس لهم مادة الشؤون الإدارية في الكلية الحربية..

وليلة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قاد صلاح نصر الكتيبة ١٣ التي كان فيها أغلب الضباط الأحرار..

وعينه عبد الناصر في ٢٣ أكتوبر١٩٥٦ نائبًا لرئيس المخابرات.. وكان علي صبري مديرًا للمخابرات، وكان زكريا محيي الدين مشرفًا على المخابرات والمحرك الفعلي لها لانشغال علي صبري بإدارة أعمال مكتب عبد الناصر.. ثم عينه رئيسًا للمخابرات في ١٣ مايو ١٩٥٧ وعين علي صبري وزيرًا للدولة وزكريا محيي الدين وزيرًا للداخلية.. وهكذا بدأ صعود صلاح نصر، فتم اعتقاله وقدم استقالته ثلاث مرات..

وكانت الاستقالة الأولى نتيجة استقالة المشير عام ١٩٦٢ لأن صلاح نصر انحاز للمشير، على الرغم من أن صلاح نصر كان وسيطًا نزيهًا في التعامل بين الصديقين ناصر وعامر وهو الذي أقنع عامر بالعودة حسب رواية هاني ابن صلاح نصر.

والاستقالة الثانية كانت بسبب قضية الإخوان المسلمين حيث كان عبد الناصر يريد أن يوكلها للمخابرات العامة.

وبعد ١٩٦٧ أصيب صلاح نصر بجلطة وبعد شفائه كان عبد الناصر يريد أن يوكل إليه مسؤولية وزارة الحربية ورفض لأن صلاح نصر كان قد قرر ألا يضع نفسه في أي مكان كان يشغله عبد الحكيم عامر، فطلب عبد الناصر من صلاح أن يقترح عليه اسمًا، فاقترح عليه الفريق عبد المحسن مرتجى.

وفي رسالة كتبها صلاح نصر إلى زوجته يوم السبت ١٩٦٨/١/٢٠ وتنشر للمرة الأولى.. وقد كتبها في الساعة الثانية عشرة ظهرًا يقول فيها:

(زوجتي الغالية

فلذات كبدي

أهلي وأحبائي

حبي الكبير ينبعث بكل إيمان وصدق لكم جميعًا. وروحي ترفرف عليكم جميعًا. وبعد، فقد حدث ما كنت أتوقعه منذ قررت الاعتزال عن العمل. وكأن الله سبحانه وتعالى قد كشف عني الحجاب فعرفت الصديق من العدو والوفي من الانتهازي. إنه مهما حاول البشر أن يؤذي المؤمن فالله يعلم ما في النفوس ولكل امرئ ما نوى. لست أول من افتري عليه في الأرض، ولكن إيماني بالله سبحانه وتعالى ورضائي بحكمه هو عقيدتي التي لا يمكن أن يزحزحها إنسان على البسيطة.

لقد أخطأت خطأ جسيمًا في حقكم فاغفروا لي.. لقد ضحيت بإسعادكم وراحتكم طوال العشرين سنة الماضية في سبيل محاولاتي للعمل لأبناء هذا الوطن. لقد كانت العبارة التي قلتها أثناء العملية وأنا بالبنج منذ ٣ سنوات والتي عرفتموها من الأطباء وأظنكم تتذكرونها:

"أنني أعيش لأسعد الثلاثين مليونًا.. ومستعد أضحي بحياتي لهم".

إن تاريخ أباكم مهما حاول أحد النيل منه فلن يستطيع، ومهما نبحت الكلاب المسعورة، فالتاريخ لا يمكن أن يزيف وهناك من المؤمنين

الذين سيكتبون الحقيقة. أما المنافقين الذين يعيشون على السحت والذين يأكلون على كل مائدة مبررين تصرفاتهم فلهم يوم الحساب حيث لا يشفع فيه جاه ولا مال ولا بنون. غفر الله لهم أجمعين.

الحمد لله.. لابد أن أكفر عن إخلاصي.. لم أكن اسمع نصائحكم من أن أرحم نفسي من العمل.. ولكي لا يضيع ذلك.. أنا لست مهتمًا بأي شيء لأنني أعرف موقفي تمامًا.. ولكن كان يؤذيني أن يقابل إخلاصي وتفاني بنكران وعدم اكتراث ثم ما لبثت ونظرت بعمق فتذكرت من قراءاتي أن ذلك ليس بغريب أو جديد وهكذا سنة الحياة. هناك من تغريهم الحياة، فالوسادة الناعمة تغري الكثيرين على أن يفقدوا مبادئهم لينعموا ويتمرغوا. ولكن حينما تبلى الوسادة يصبحوا لا شيء. ما أجمل أن تعرف النفس حقيقتها قبل أن تحاسب الآخرين.

لم يصلني المحامي حتى ساعة تاريخه.. أرجو محاولة الاتصال بي كما أرجو أن تأخذوا إذنًا للأولاد لأراهم قبل الجلسة. وأعتقد أن جمال عبد الناصر لن يمانع في ذلك.

أرجو إرسال بدلتين آخرتين ومعهما كرافتات تناسبهما. كذلك الأشياء التي طلبتها من قبل. وعدد اثنين علبة بخور وبن وقميصين بأساور وزراير، طقم لهما.. وشاي وسكر..

وختامًا لكم جميعًا حبي وإخلاصي.

صلاح نصر

يبدو أن جدران المعتقل ولياليه القاسية قد أنسته فأكمل:

لقد تصدق للأولاد بالزيارة وكذا المحامي فيمكنكم الاتصال بالسيد علي نور الدين لأخذ التصريح وأرجو أن يكون ذلك قبل الجلسة).

كان صلاح نصر يفيض أسى بعدما كانت له شخصيته ومكانته وقيمته وإذا به يجد نفسه خلف أسوار السجن، والأسى واضح من رسائله إلى أسرته، فقبل هذه الرسالة بعشرة أيام كتب يوم الأربعاء ١٩٦٨/١/١٠ في الساعة الثانية عشر ظهرًا أيضًا :

(زوجتي العزيزة

فلذات أكبادي

أهلي وأحبائي

الحمد لله الذي لا يطير مع اسمه داء، ولا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.. أما بعد فقد وصلني خطابكم الأخير والذي حسست أنكم كنتم قلقين حتى وصلت الخطابات السابقة. ولكنها لم تكن غلطتي.

وما دامت وصلت الخطابات لكم فنشكر الذين أرسلوها. طبعًا كان تهمني أن تصلكم معايدتي في موعدها ولكن هناك شيء أقوى من الورقة ومن هذه السطور وهو أن روحي وقلبي معكم دائمًا.

أنا بخير والحمد لله ولا ينقصني شيء سوى أن أطمأن عليكم دائمًا. رعاكم الله وحفظكم من تقلبات الزمان وبطش شرور الدنيا الزائلة.

تأكدي يا ابنتي سلوى العزيزة من أن أبيكِ المجاهد صلاح نصر موقفه في أي شيء واضح وضوح الشمس في كبد السماء.. وأنا المؤمن المستعد أن أواجه أي كيد وأن أردّ على كل حاقدًا وحاسد.

أما أنت يا محمد فأرجو أن تجتهد في دروسك وتبذل أقصى جهدك وأن تعدني في خطابك القادم بذلك، ولعلني أسمع ما يسرني عن تقدمك في الدراسة.

سلامي لك يا ناجح وأرجو أن تكون رجل العائلة في هذه الظروف، وأنت نعم من يعتمد عليه، أما أنت يا هاني فقد سرني إيمانك الراسخ ورجولتك المبكرة. وشد حيلك يا حمادة.. وقبلاتي لك يا سهير.. سلامي وقبلات لكم جميعًا فردًا فردًا. كل الأشياء التي جاءت في الخطاب الأخير والخطابات السابقة وصلتني ما عدا التلفزيون.

أرجو أن ترسلوا لي أجندة كبيرة وواحدة صغيرة لعام ١٩٦٨ وبخور وبن على أن يكون ناعمًا وكرافتين كحلي.

ختامًا لكم تمنياتي وقبلاتي وإلى اللقاء).

وكتب في جانب الخطاب: " إذا كان لديكم أو لدى الوالد عصا وجيهة أتوكأ بها كما كان موسى عليه السلام يتوكأ على عصاه فأرجو إرسالها، والطاقية الاستراكان السوداء".

صلاح نصر

بزوغ فجر عيد.. فرحة عيد ميلاد.. ذكرى زواج .. قصة حب يريد الحبيبين تتويجها بالزواج.. ولكن كل هذه الأشياء لا تكتمل ينقصها شيء.. الأب.

الأب الذي في حضوره تكون "اللمة" والصحبة والضحكة والدفء والحنان والأمان.. فما بالك والأب نفسه يحتاج إلى الأمان ويسكن خلف أسوار قاسية وليل لا يرحم وزنزانة موصدة الأبواب بسلاسل لا تفتح.. ووحدة تصيب بالارتعاش.

كان هذا هو إحساس أسرة صلاح نصر كلما اعتقل والدهم، رغم أن اسم صلاح نصر بمفرده - قبل ذلك - كان "يخض".. دنيا..!

والرسائل التالية كتبها لزوجته وأولاده في أيام متقاربة تصيبك بالدهشة - كما ذكرت في البداية - فكلها ورع وتقوى وإيمان وحب في الله، خلاف كل ما كُتب عن صلاح نصر...

فتعالى لتُدهش معي في هذه الرسائل، وبالذات في أول رسالة كتبها لابنته سلوى -تعمل الآن بالجامعة الأمريكية- في عيد ميلادها يحدثها فيها عن الظلم الذي تعرض له والألم والهوان الذي ذاقه والمرارة التي تركت في "حلقه" بسبب أصدقائه.

هناك صور عديدة للغدر والخيانة بين الأصدقاء

السجن الحربي في ٢٣ من يونيو ١٩٦٨

ابنتي العزيزة سلوى

لا أدري لماذا أجد نفسي اليوم مدفوعًا بقوة وعزيمة لأن أمسك القلم وأسطر لك بعض الصفحات؟

أيا ترى هل كان ذلك لتحقيق رغبتك في أكتب لك كما طلبتي مني ذلك بابتسامتك الرقيقة في إحدى زياراتك لي بالسجن منذ شهرين، أم ترى أنها مجرد محاولة عابرة لأن أهنئك بمناسبة عيد مولدك السعيد.

لقد كنت يا ابنتي عازمًا على أن أحقق لك ما تبغين وما أيسره عندي، بل ما أسعد ذلك لديّ. ولم يمنعني أن أكتب لك طوال هذه المدة إلا انشغالي في الفترة السابقة لأجهز دفاعي ضد الافتراءات الصارخة التي حاولت السلطة أن تلصقها بي.

كما كان هناك سبب آخر أخذني عن الكتابة إليك، وهو أنني كنت في حيرة عما أكتب لك.. وفي أي الموضوعات أحاول أن أجهد الفكر.

كنت أبحث عن شيء قد تستفيدين منه أنت وجيلك في حياتكم المستقبلة، ولم أجد عبر التاريخ، وتنظيم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في شكل لا ترضاه شريعة، ولا تقره أبسط المبادئ الخلقية.

وإن كنت قد قرأت عن هذه الصورة الكثير ولمست منها العديد في خضم الحياة بل وفي سن مبكرة لي إلا أنّ تقييمي الحقيقي لها لم

أصل له إلا بعد أن أحشد نفسي المعذبة بانهيار قيم كنت أؤمن بها، وبعد أن مررت بتجربة مريرة من الخيانة والغدر فتكاملت الصورة البشعة أمام عيني، ويا ليتها ما اكتملت، فإنني أخشى على نفسي من أن أفقد الثقة، ولكن إيماني بالله والحق يعصمني ويشد أزري.

هذه الصورة يا عزيزتي الصغيرة والتي أعنيها هي قصة الغدر والخديعة والافتراء على الصحبة والإخوان... لا لسبب إلا شهوة الحكم، والاستماع لأهل النميمة والفجور.

وليست هذه الصورة بجديدة على الحياة، ولا يمكن للسياسة في جل أشكالها أن نتجاهلها. وها أنا ذا أكتب إليك ويمر بذاكرتي حادث بعيد وقصة مروعة.. تلك التي حدثت في عصر إسلامي حين قتل الخليفة هارون الرشيد وزيره وأقرب الناس إليه وزوج أخته جعفر البرمكي لأنه خالفه في أمر شرعي من حق الوزير.. لقد سمح هارون الرشيد أن يتزوج جعفر أخته على ألا يختلي بها.. فلما عرف أن الزوجان خالفا عهده أمر بقتلهما. ما أبشع التحكم في أقدس العلاقات!!

وتذكرني هذه القصة البشعة بما عبر به عزيز أباظة عنها في بيت شعر في غاية البلاغة والتصوير حيث يقول:

إني لأقتله وأرثيه معًا   العرش فوق الأهل والأصحاب

وثمة صورة أرخى للغدر والخيانة ما حدث في صدر الإسلام بين معاوية وعلي بن أبي طالب والتي عرفت في التاريخ باسم الفتنة الكبرى حيث ذهب ضحايا النزاع بين الحق والباطل آلاف المسلمين.. وبالرغم من أن علي رضي الله عنهما وأبنائه قد استشهدوا في سبيل

الحق فإنهم أعطوا لنا درسًا خالدًا كيف يدافع الإنسان عما يؤمن به، وكيف يكون الفداء للمثل والمبادئ في أعظم صوره.

ولقد شاءت إرادة الله يا صغيرتي أن يمر عيد ميلادك الثامن عشر وأسوار الأغلال الغاشمة تفرقنا. وإن كانت قيود الأسوار قد منعتني من الحركة للاجتماع بكم وللاحتفال بعيد مولدك، فإنها لن تستطيع أن تقيد روحي من الانطلاق لتظلك أنت ووالدتكم وأخوتك بأسمى عواطف الحب، ولن تتمكن القضبان من شل فكري أو تغير مبادئي.. فقد عشت حرًا وعملت حرًا.. وسأموت حرًا حسبما يقضي الخالق بالأجل المسمى.

لقد كان في استطاعتي أن أنعم بالوسادة الناعمة كما فعل الآخرون.. ولكنني ارتضيت الوسادة الخشنة داخل السجن، واخترت الطريق الشاق حيث لا أملك معي إلا إيمان بالله وقوة الحق.. ويملك الآخرون كل الأسلحة المادية التي استغلوها معي أسوأ استغلال. ولكن ما أهون ذلك عندي فإنه حينما تبلى تلك الوسادة التي يتمرغون فيها وتنكشف الحقيقة فإنهم يصبحون لا شيء... وحينئذ ينتصر الحق على الباطل. إن التاريخ لا يمكن أن يزيفه بشر لأنه ليس ملك لفرد أو جماعة بل هو ملك للبشرية جمعاء.

إن مولدك يا ابنتي الحبيبة يبعث في نفسي سعادة لا تفوقها سعادة، وشجنًا ملئ بالمرارة والأسى. وقد يبدو لك أن تتساءلين عن هذا التناقض؟ وكيف تجيش في النفس لأسعد ذكرى.

مراتب من الهناء والسرور مع حسرات الألم والأسى؟

أرجو ألا تخطئي الفهم... فقد كان مولدك بمثابة شعاع من النور الوضاء عمَّ وأفاض معه سعادة علينا جميعًا، ولن تنسيني الأيام بمسراتها وآلامها هذا النعيم والفرح حسبما وهبنا الله إياك... ولا يمكن أن تضيع من ذاكرتي هذا الخير وتلك النعم التي أسبغها الله علينا بعد مولدك.. لقد كنت بشير خير ومحبة ووفاء وسلام.

وقد تتعجبين يا زهرتي كيف يصاحب هذه الذكريات العزيزة مرارة الأسى والألم. إن هذه الأحاسيس الأخيرة لا تخصك، ولكنها جالت في خاطري حينما فكرت أن أكتب إليك.

واعذريني إذا كنت قد سرحت بخيالي وأنا أفكر في عيد مولدك بما يكدر عليك صفاء المناسبة، ولكن قد يكون فيها عبرًا ودروسًا اعتبرها خير هدية أقدمها لك في هذه المناسبة.

رجعت إلى الوراء منذ حوالي عشرين عامًا حيث كنت مع صحبة عاشت لا تفكر في أنفسها قدر ما كانت تفكر في سعادة الآخرين.

واجتمعت هذه الصحبة على الخير والمحبة والتضحية والإيمان والتماسك، فاستطاعت أن تقيم صرحًا كبيرًا من بناء أساسه المحبة والثقة والوفاء ليقاوم معاول هدم من الأنانية والطغيان والاستغلال.

وأبحرت سفينة الخير في بحر الغيب والحياة تمخر عبابها حيث تتلاطم أمواجه تارة بعنف جامح وتارة بلطف وهدوء. ولقد هبت على السفينة في مرات عديدة ريح عاتية بعضها من داخل البحر وأخرى آتية من خارجه من اتجاه الشرق والشمال والغرب.. وكادت هذه الرياح تعصف بالسفينة وتغرقها وهي تعبر رحلة المصير. ولكن

تمسك ملاحيها وإيمانهم بتلك الرحلة الشاقة، وثقة من على ظهرها في قيادتها أنقذها من مهالك كادت تحطمها وتحولها إلى هشيم تذروه الرياح، وكادت تحيل من ركابها طعامًا للأسماك والحيتان.

ولم يمنع القدر من مشيئة الإنسان، فقد أشعلت فتنة داخل السفينة من بعض ركابها الدخلاء الذين تسللوا إليها ودخلوها تحت جنح الظلام كما يتسلل اللصوص إلى البيوت من أبوابها الخلفية أو عن طريق تسلق حوائط المنزل.

لم يهدأ بال الدخلاء وأزعجهم استقرار السفينة وهناء ركباها، فدفعهم جشعهم ونذالتهم إلى إشعال بذور الفتنة وخلق جو من الفوضى والاضطراب أساسه الدس والوقيعة بين أعضاء قيادة السفينة.

وانتظرت هذه الفئة الضالة كارثة أحلت بالسفينة فوجدت في هذا البلاء فرصة سانحة للانقضاض على مراكز قيادتها، كما تنقض القراصنة على السفن المسالمة في عرض البحار..

وتوقفت السفينة في عرض البحر تتلاقفها أمواج الغيب، وتهب عليها من كل جانب أعاصير القدر.. ولا يدري غير الله سبحانه وتعالى مصير السفينة والركاب... إن عناية السماء لا يمكن أن تغفل الرحمة بالعباد أو تخفيف ما يلم بهم من كوارث وآلام....

إنما البلاء ما هو إلا اختبار إلهي يذكر الإنسان بأنه مهما بلغ من جاه أو سلطان لا يساوي قيد أنملة في عالم الخلود، دائمًا المصائب ما هي إلا برهان لذوي الصلف والغرور على قدرة الخالق التي لا يعلوها قوة أو سلطان.. كما أنها عبرة لأهل الخديعة والغدر بأن طعناتهم سترتد إلى نحورهم.

هذه مقدمة عما قررت أن أكتب لك عنه يا صغيرتي، وأعتقد أنها خير هدية في أعز مناسبة.

وإلى لقاء في خطاب قادم، أختتم هذه السطور بتلك الصورة الكريمة، فهي في صميم الموضوع من عدة نواح.

بسم الله الرحمن الرحيم. عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذّكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدّى. وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهّى. كلا إنها تذكرة. فمن شاء ذكرَهُ. في صحف مكرمة. مرفوعة مطهرة. بأيدي سَفَرَه. كرامٍ برره. قتل الإنسانُ ما أكفره. من أي شيء خَلَقه. من نطفة خلقه فقدره. ثم السبيل يسَّرهُ. ثم أماته فاقبره. ثم إذا شاء انشره. كلا لما يقضى ما أمره. فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنَّا صببنا الماء صبًا. ثم شققنا الأرض شقًا. فأنبتنا فيها حبًا. وعنبًا وقضبا. وزيتونًا ونخلاً. وفاكهة وأبًا. متاعًا لكم ولأنعامكم. فإذا جاءت الصاخةُ. يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبينه. لكل امرئ يومئذ شأن يُغنيه. وجوه يومئذ مُسفرةٌ. ضاحكةٌ مستبشرة. ووجوه يومئذ عليها غبرةٌ. ترهقها قترة. أولئك الكفرةُ الفجرة. صدق الله العظيم.

سلام على كل من اتبع الهدى... وإلى لقاء.

والدك صلاح نصر

١٩٦٨/٦/٢٣

٥ ديسمبر ١٩٦٧ الساعة الثانية ظهرًا

عزيزتي علية

سلامي وأشواقي وتحياتي لك وللأولاد والأسرة جميعًا، وبعد، فأرجو أن تكونوا جميعًا في أتم صحة وأحسن حال. وصلني الخطاب والأدوية فشكرًا. أنا بخير والحمد لله وعال العال فلا تقلقوا عليّ واتكلي على الله فهو خير نصير. ما أجمل أن يقضي الإنسان وقته في التعبد والتقرب إلى الله يدعو له ولغيره بالهداية والتوفيق، ويسأله أن يحفظ أرض الكنانة من كل شر.

"بسم الله الرحمن الرحيم. وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون".

لقد أرسلت لفاتح التنازل عن التليفون أرجو أن يكون قد وصله، كما وقعت على عقد التليفون الخاص بالمنزل فأرجو دفع الاشتراك، كما أرجو أن تخرجوا الزكاة عني لأن الأطباء منعوني من الصيام لحالتي، ولا تنسي الزكاة التي ترسل في هذه المناسبة لبعض الناس.

أرجو أن ترسلي لي ميزان الحمام وبن و٢ جوز شراب بني، زيتي. وكرافتة بني على الأسود.

ما هي أخبار الوالد كيف صحته، أرجو أن تسألي عنه دائمًا. سلامي إلى أخوتي وأخواتك وأزواجهم وسلامي إلى جميع أفراد الأسرة والعائلة والأقارب والأحباب وكل من يسأل عنا. وإلى اللقاء

زوجك صلاح نصر

القاهرة ١٦ ديسمبر ١٩٦٧ – ١٥ رمضان ١٣٨٧

الساعة العاشرة صباحًا

زوجتي العزيزة – أبنائي الأعزاء

سلامي وأشواقي لكم جميعًا وتمنياتي لكم بالصحة والتوفيق والسعادة وصلني خطابكم بتاريخ ١٠ رمضان، لقد كنت أرسلت لكم خطابي بتاريخ ١١ رمضان. وقد شعرت من الخطاب أنكم قلقين على صحتي. أنا والحمد لله بخير ورجائي أن تكونوا في أنفسكم، وأن تداوموا يا أبنائي الأعزاء على الدراسة والاستذكار وخصوصًا أنني عرفت أنكم في موسم امتحانات، ولا تفكروا في أي شيء فإن الله سبحانه وتعالى يرعانا جميعًا بعنايته الإلهية، والحمد لله فأنا كما تعرفون مؤمن بقضاء الله دائمًا. اللهم انصر الحق، وبرئ كل مظلوم. كل شيء يهون في سبيل البلد، وفي سبيل الثورة التي هي قطعة مني مهما حدث لي.

أدعو لكم دائمًا طوال الليل والنهار بأن يحفظكم الله من كل سوء وأن ينزل السكينة على قلوبنا في هذه الفترة. أرجو ألا تقلقوا أبدًا واعملوا دائمًا بالعبارة التي كنت أرددها لكم في أي ظرف "خليك مع الله". واعتبروا أنني في سفر أو مأمورية.

إن سعادتي هي أسرتي وأن أسمع عنكم كل خير سواء في المنزل أو الدراسة.

لا أحتاج أي شيء غير دعواتكم ووجودي معكم. وما علينا إلا الصبر كقول الله سبحانه وتعالى: "بسم الله الرحمن الرحيم. واصبر ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا." صدق الله العظيم.

سلامي إلى كل أفراد العائلة فردًا فردًا.

حفظ الله أمتنا وشعبنا من كل شر وأيدنا الله بقوته وأرشدنا إلى الطريق السليم وهدانا. إنه على كل شيء قدير.

مع تحياتي

زوجك صلاح نصر

ابني الحبيب هاني

لقد كان يسعدني أن أشاركك عيد ميلادك العاشر الذي يذكرني بعيد النصر، والذي يبعث في قلب والدك ذكريات من كفاحه. ولكن شاءت إرادة الله أن أكون بعيدًا عنك في عيد ميلادك كما بعدت في عيد ميلاد أخيك محمد في أكتوبر الماضي.

ولكن مهما بعدت عنكم بجسدي فإن روحي تلازمكم في غدوي وتروإحي، بل أنا لا أنساكم أبدًا في كل نفس أتنفسه.

ربما تكون هذه التهنئة يا ولدي العزيز لها قيمة أكثر من وجودي معك في حفل عيد ميلادك. إنها تعني الإيمان بالحق، والصبر على الشدائد، والتضحية في سبيل الوطن.

إن الله مع المؤمنين فلنتوكل عليه وهو العزيز القدير على كشف الحق ونصرة كل مظلوم.

ختامًا لك قبلات والدك ودعائه لأن يرعاك الله ويحقق لك كل ما ترجوه.

وإلى اللقاء

والدك صلاح نصر

١٩٦٧/١٢/٢٣

١٩٦٧/١٢/٢٦ ١٩٦٧/١٢/٢٥

زوجتي العزيزة - أبنائي الأعزاء

سلامي لكم جميعًا وحبي ودعواتي أن يحفظكم الله. وصلني خطابكم بتاريخ ١٢/٢٣ أرجو أن تكونوا جميعًا في أتم صحة وأحسن حال.

أنا والحمد لله بخير وقد أسعدني إيمانكم. أرجو أن ينعم الله عليكم وعلينا الصبر. فليس هناك عطاء خيرًا وأوسع من الصبر على الشدائد والنصر.

أهنئكم بليلة القدر فهي خير من ألف شهر. أرجو أن يعيدها الله علينا وعلى أمة المسلمين بما يرضى الله ويرضاه لعباده. لقد أرسلت لكم الشيك الثاني فأرجو أن يكون وصلكم ومعه خطاب.

أدعو لكم وللأهل وللأحباب والمخلصين من كل قلبي أن يحفظهم الله ويجازيهم أحسن الجزاء، وعفا الله وغفر لكل من أساء لي.

لا تقلقوا عليّ فالله معي يرعاني ويحفظني، من كل داء ومكروه وحقيقة فإن إيماني والحمد لله يؤيده الله، نسأله أن يعفو عنا ويغفر لنا ما قدمنا وأخرنا، وما أعلنا وأسررنا، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم. وإن شاء الله سيظهر الحق، فأنا مهما كاد لي أي بشر، فإن الله أمكر الماكرين. وهو خير حافظ

ختامًا لكم جميعًا حبي وأشواقي.

وخليكم مع الله وإلى اللقاء

صلاح نصر

- صلاح نصر يقرأ في كتاب الله -

- د. هاني صلاح نصر -

- سعاد حسنى عميلة مخابرات خايبة !! -

الرطبي ٢٩/٦/١٩٧٦م

زوجتي ...

إني تعبت من إرسال خطاباتي إليك - وأود أن أقبلك فعلاً - فليس القول كالعمل.

كلما ذهبت صوب الإسكندرية - رأيت الناس أزواجاً أو جماعات - ولم أرَ فرداً وحيداً غيري

أرى الزوج يسير مع زوجته - أو الأخ مع أخته - أو الولد مع أمه - أو الوالد مع أبنائه - أو العشيق مع عشيقته - أو الخطيب مع خطيبته - وكل هؤلاء لهم مبرر نحو تصرفاته - فللأخ أن يصحب أخته للنزهة - وللولد أن يسير بجانب أمه - وللوالد أن يهيم بالسعادة بأبنائه - وللعشيق أن يختلس ساعات النهار والسمر مع عشيقته وللخطيب أن يبني آمال المستقبل مع خطيبته - ولكن أنا فلا مبرر لي لصحبة [illegible] - فلا أخت ولا أم ولا ولد ولا ولدي هنا - وليس لي ولا عشيقة ولا خطيبة [illegible] - فنصف المتفرج .. هو أنك بالذات ... وهكذا سأظل أجر [illegible] وحيداً مستوحشاً بعيداً ...

بكل هذه العقل والحساب ... وأمام صورة الضمير الحي - الذي ما عهد الله أنه يتطلع إلى الزوج ما دام حياً ... وأمام الرأي الذي لا أجد [illegible] بأنه أنتِ زهرة حياتي - لحب واحد .. والسعادة دائمة في حبك الغالي ... [illegible] الطاهرة ... أجد لكل هذه المبررات - لا أدري مفراً من الرغبة [illegible] ...

[illegible] أسباب الشجن بين أهلي وصحبي .. ما يهون علي [illegible] رأيتها أبلغ من عذاب الوحدة التي تحكم صمت [illegible]

السجن الحربي في ٢٣ من يونيه ١٩٦٨

ابنتي العزيزة سلوى

لا أدري لماذا أجد نفسي اليوم مدفوعا بقوة وعزيمة لأن أمسك القلم لأسطر لك بعض الصفحات؟

أيا ترى هل كان ذلك لتحقيق رغبتك في أن أكتب لك كما طلبتيه مني ذلك بابتسامتك الرقيقة في إحدى زياراتك لي بالسجن منذ شهرين؟ أم يا ترى إنها مجرد محاولة لأن أهنئك بمناسبة عيد [illegible] مولدك السعيد؟

لقد كنت يا ابنتي عازما على أن أحقق لك ما تبغين وما تريدين، بل ما أسعد ذلك لدي. ولم يمنعني أن أكتب لك طوال هذه المدة إلا انشغالي في الفترة السابقة لإعداد دفاعي ضد الافتراءات الصارخة التي حاولت السلطة أن تلصقها بي.

كما كان هناك سبب آخر أخرني عن الكتابة إليك، وهو أنني كنت في حيرة مما أكتب لك... وفي أي الموضوعات أحاول أن أجيد التعبير.

كنت أبحث عن شيء قد تستفيدين منه أنت وجيلك في مواجهة المستقبل، ولم أجد أحق من أن أكتب عن واقع الحياة عن صورة شهدتها عبر التاريخ، وتتصل بالدقة الإنسانية باطن الإنسان في شكل لا ترضاه شريعة، ولا تقره أبسط المبادئ الخلقية.

وإن كنت تحدثت عن هذه الصورة المظلمة، فليست هي كل الصورة في خضم الحياة بل دفعني [illegible] إليه شعوري الدائم بتقييم الحقيقة لا لم أصل له إلا بعد أن حثت نفسي المعذبة بإخلاص قيم كنت أؤمن بها، وبعد [illegible]

بتجربة مريرة من الخيانة والغدر تتماثل الصورة البشعة
أمام عيني ، وبالرغم ما آلمني ، فإني أخشى على نفسي
من أن أفقد الثقة بالناس ، ولكن إيماني بالله والحب يحميني
ويشد من أزري .

هذه الصورة المحزنة المضنية والتي تشير إلى قصة
الغدر والخديعة والاعتداء على الصحبة والإخوان .... ولسبب
الاستحواذ على الحكم ، والاستماع لأهل النميمة والفجور .

وليست هذه الصورة جديدة على الحياة ، ولا يعرف للسياسة
في جل أشكالها أن تتجاهلها . وهاهنا أتذكر الملك وغريب أكره حادثة
بسبب وقعة مروعة ... تلك التي حدثت في عصر السلاسل حيث قتل
الخليفة هارون الرشيد وزيره وأقرب الناس إليه وزوج أخته
جعفر البرمكي لأنه خالفه في أمر من أمور الوزير ... لقد سمح هارون
الرشيد أن يتزوج جعفر أخته على ألا يختلي بها ... فلا حرمان
الزوجان خالفا العهد أمر بقتلهما . ما أبشع التحكم في أقدس العلاقات!!

وتذكرني هذه القصة البشعة بما عبر به شاعر بلاغة
عمل في بيت شعري غاية البلاغة والتصوير حيث يقول :-

إني لأقتله وأرثيه معا

المرء قوت الذهل والإعجاب .

وثمة صورة أخرى للغدر والخيانة ما حدث في صدر الإسلام
بين معاوية وعلي بن أبي طالب والتي عرفت في التاريخ باسم
الفتنة الكبرى حيث ذهب ضحايا النزاع بين الحق والباطل
آلاف المسلمين ... وبالرغم من أن علي رضي الله عنه وأبنائه
قد استشهدوا في سبيل الحق فإن لهم الخلود لنا درسا في الأكتاف
بأنواع الإنسان بما يؤمن به ، وكيف يكون الفداء للمثل والمبادئ .
في أعظم صوره ..

ولقد شاءت ارادة الله يا صغيرتي ان يجيء عيد ميلادك الخامس
عشر وأسوار السجون الظالمة تفرقنا. وإن كانت قيود الأسوار
قد منعتني من الحركة للاحتفال معكم والاحتفال بعيد ميلادك، فإنها
لم تستطع ان تقيد روحي من الانطلاق لتظللك انت والعائلة بأزهار
بأسمى عواطف الحب، ولم تتمكن القضبان من تغيير أفكاري أو
تغيير مبادئي... فتحملت هذا وتحملت هذا... وسأتحمل هذا
حينما تنتهي الحالة بالأمل المنشود.

لقد كان في استطاعتي أن أنعم بالوسادة الناعمة كما
فعل الآخرون.... ولكنني ارتضيت الوسادة الخشنة داخل
السجون، واخترت الطريق الشاق حسب الأملاء من الايمان
بالله وقوة الحق... وتلك الآخرون من الاسلحة المادية التي استغلوها
من اسوأ استغلال، ولكن ما أعز ذلك عندي بأنه حينما
تبلى تلك الوسادة التي سيتمرغون عليها وتنكشف الحقيقة بأنهم
يصبحون لا شيء... وحينئذ ينتصر الحق على الباطل. إن التاريخ
لا يمكن ان يزيفه بشر لأنه ليس ملك لفرد أو جماعة بل هو
ملك للبشرية جمعاء.

إن عيد ميلادك يا ابنتي الحبيبة يبعث في نفسي سعادة لا تعادلها
سعادة؟ وشعورا مليئا بالمرارة والأسى. وقد يبدو لك ان تتسائلين
عن هذا التناقض؟ وكيف تجيش في النفس لأشعر ذكرى
مراتب من الهناء والسرور مع حسرات الألم والأسى؟

إن جراحي تغطي المرح.... فعيد ميلادك بمثابة شعاع
من النور الوهاج حيث وأنا في سعادة غامرة جميعا؟ ولكن
تنسيني الأيام بمرارتها وقسوة هذا الظلم والنفي حتى ادركها
الا ايامك... ولا يمكن أن يضيع من ذاكرتي هذا اليوم تلك

النعم التي أسبغها الله علينا بعد مولدك... لقد كنت بشير خير
ومحبة ووفاء وسلام.

وقد تتعجبين يا هدى كيف يصاحب هذه الذكريات
العزيزة مرارة الأسى والألم، إن هذه الأحاسيس الأخيرة
لا تفصلها ولكنها جالت في خاطري حينما شعرت أن أكتب إليك.
واعذريني إذا كنت قد سرحت بخيالي وأنا أفكر في عيد مولدك
بما يجدر عليك من أداء المناسبة، ولكني لا أشكو من شيء إن أدرا
ودروساً من أعتبرها خير هدية أقدمها لك في هذه المناسبة.

رجعت إلى الوراء منذ حوالي عشرين عاما حين كنت مع
صحبة عاشت لا تفكر في أنفسها قدر ما كانت تفكر في سعادة
الآخرين.

واجتمعت هذه الصحبة على الخير والمحبة والتضحية
والإيمان والتماسك، فنا.. استطاعت أن تقيم صرحا كبيرا
من بناء أساسه المحبة والثقة والإخلاص ليقاوم معاول هدم الزمان
والطغيان والاستغلال.

وأبحرت سفينة الخير في بحر الغيب والحياة تتقاذفها،
حيث تتلاطم أمواجه تارة بعنف جامح وتارة بلطف وهدوء.

ولقد هبت على السفينة في مرات عديدة رياح عاتية بعضها
من داخل البحر وأخرى آتية من خارجه من اتجاه الشرق والشمال
والغرب .... وكادت هذه الرياح تعصف بالسفينة وتغرق
من تبقى في رحلة المصير.

ولكن تماسك ملاحيها وإيمانهم بتلك الرحلة
الشاقة، وثقة من على ظهرها في قيادة ربانها، من ذلك
كادت تتحطم وتتحول إلى هشيم تذروه الرياح، وكادت تميل

من ركاب طعاما للأسماك والحيتان .
ولم يمنع القدر من مشيئة الإنسان ، فقد اشتعلت فتنة
داخل السفينة من بعض ركاب الدرجات الذين تسللوا إلى الدرج وسلكوها
تحت جنح الظلام كما يتسلل اللصوص إلى البيوت من الأبواب الخلفية
أو عن طريق تسلق جدران المنزل.
لم يهدأ بال الركاب وأزعجهم استقرار السفينة وهناء
ركابها ، فدفعهم جشعهم وحقدهم إلى اشعال بذور الفتنة ،
وخلق جو من الفوضى والاضطراب ساهمه الدس والوقيعة بين
العمال وقادة السفينة .
وانتهزت هذه الفئة الضالة كارثة أحلت بالسفينة ،
ووجدت في هذه البلوى فرصة سانحة للانقضاض على مراكز القيادة ،
كما تنقض القراصنة على السفن المائلة في عرض البحار..
وتوقفت السفينة في عرض البحر تتقاذفها أمواج الغضب ،
وتهب عليها من كل جانب أعاصير القدر...
ولا يدري غير الله سبحانه وتعالى مصير السفينة
والركاب ... إن عناية السماء لا يمكن أن تغفل الرحمة بالعباد ،
أو تخفف ما حل بهم من كوارث وآلام ....
إنما البلوى ما هي إلا اختبار الذي يذكر الإنسان بأنه
مهما بلغ من جاه أو سلطان لا يساوي قيد أنملة في عالم الخلود ،
وإنما المصائب ما هي إلا براهين لذوي العقول والنفوس
على قدرة الخالق التي لا يعلوها قوة أو سلطان... لتكون
عبرة لأهل الخديعة والغدر بأن مكائدهم سترتد
إلى نحورهم .
هذه مقدمة لما تود أن أكتب لك عنه يا صديقي ،

واستفدنا للخصوصية في أمر مناسبة .

وإلى لقاء في خطاب قادم عاجل أختم هذه السطور
بتلك السورة الكريمة ، وهي في صميم الموضوع من عدة نواح .

بسم الله الرحمن الرحيم . عبس وتولى . أن جاءه الأعمى .
وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من
استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من
جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها
تذكرة . فمن شاء ذكره . في صحف مكرمة . مرفوعة
مطهرة . بأيدي سفرة . كرام بررة . قتل الإنسان ما
أكفره . من أي شيء خلقه . من نطفة خلقه فقدره .
ثم السبيل يسره . ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره .
كلا لما يقض ما أمره . فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا
صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها
حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا .
متاعا لكم ولأنعامكم . فإذا جاءت الصاخة . يوم يفر المرء
من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه . وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة
مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة .
أولئك هم الكفرة الفجرة . صدق الله العظيم .

سلام على كل من اتبع الهدى وإلى لقاء

والدك

[توقيع] ١٩٦٨/٦/٢٣

ابني الحبيب هاني

لقد كان يسعدني أن أشاركك عيد ميلادك العاشر الذي يذكرني بصبا العمر، والذي يبعث في قلب والدك ذكريات من الماضي. ولكن شاءت إرادة الله أن أكون بعيداً عنك في عيد ميلادك كما بعدت في عيد ميلاد أخيك محمد في أكتوبر الماضي.

ولكن وربما بعدت عنكم بجسدي فإن روحي لا تزال معكم في غدوي ورواحي، بل أنا لا أنساكم أبداً في كل نفس أتنفسه.

وربما شعرت هذه السنة يا ولدي العزيز الأثير أكثر من وجودي معك في حفل عيد ميلادك. إلا أنني أدعو بالعون، والصبر على الشدائد، والتضحية في سبيل الوطن.

إن الله مع المؤمنين فلنتوكل عليه وهو العزيز القدير على كشف الغمة ونصرة كل مظلوم.

هنيئاً لك بلادك ووالدك ودعائي لك بأن يرعاك الله ويحفظك لكل ما ترجوه.

[illegible]

[illegible]

١٩٦٧/١٢/٢٢

الأربعاء ١٠/١/١٩٦٨ الساعة [illegible] ظهرا

زوجتي العزيزة
فلذات أكبادي
أهلي وأحبابي ....

الحمد لله الذي لا يضر مع اسمه داء ولا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ... أما بعد فقد وصلني خطابكم الأخير والذي حسبت أنكم كنتم قلقين حتى وصلت الخطابات السابقة. ولعل لم تكن [illegible].

وما دامت وصلت الخطابات لكم فنشكر الله على وصولها. طبعا كانت [illegible] أن تصلكم سابقا في موعدها ولكن [illegible] والورقة [illegible] السطور [illegible] وقلبي معكم دائما...

أنا بخير والحمد لله ولا ينقصني سوى اطمئناني عليكم دائما. وعالم الله يحفظكم من تقلبات الزمان ويبطش [illegible] الدنيا الزائلة.

تألمت يا ابنتي سلوى العزيزة من أن [illegible] [illegible] في أي شيء واضح وضوح الشمس في [illegible] ... وأنا [illegible]
~~[illegible]~~

أما أنت يا [illegible] [illegible] في دروسك [illegible] [illegible] وأستمتع في [illegible] القادم [illegible] ولعلي [illegible] [illegible] سعيد من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأولاد

[illegible] [illegible] أما أنت يا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وعقبال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الخطاب الأخير والخطابات السابقة وصلتني ما عدا [illegible] [illegible] [illegible] جامعة [illegible] لعام ١٩٦٨.

[illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible].

حبا لكم تحياتي [illegible] [illegible]

[illegible]

زنزانة الثالثة — السبت ٤/٨/١٩٦٦
ثلاثات كبرى — الساعة الثانية بعد الظهر

أهلي وأحبائي

حبي الكبير، بعثت لكل إخواني وحبه لكم جميعا، وروحي ترفرف بكم جميعا. وبعد فقد صدر ما كانت الترقبه من تنفيذ الحكم الابتدائي بالإعدام، والحمد لله سبحانه وتعالى الذي كشف عني الحجاب فعرفت المصير من البداية والحمد لله الذي كتب لي هذا الذي يحبه ولا يرى المؤمن فالله يعلم ما في النفوس ولكل امرئ ما نوى. لست أول من أفترى عليه في الأرض، ولكن إيماني بالله سبحانه وتعالى وعدله يكفيه من عقيدتي التي لا يمكن أن يزعزعها الساعة على السلطة.

لست خائفا أبدا، حتى تكونوا شهودا لي... لقد ضحيت بأعمالكم ومصالحكم ... في السنوات الماضية في سبيل ما رأيته للعمل لإنقاذ هذا البلد من الفساد ... الذي يعمل لإسقاط ... والتي هي ... من الأعداء ... أعطيكم ... أمس ... المسكين علينا... ودمشق ... عتى حالي ...

إن تاريخ العالم مرهما طال أصبح الشك منه فلن يستطيع أن يحجب وجودها تحت الشكوى الحسورة، فالتاريخ لا يمكن أن يزيف وصاله من الرسم الذين سيكتبونه الحقيقة. أما المنافقون الذين يعيشون على السحت والذين يأكلون على كل مائدة، فسيرون تصرفاتهم عليهم يوم الحساب حيث لا ينفع فيه جاه ولا مال ولا بنون. غفر الله لهم أجمعين.

الحمد لله... لا بد أن أكثر من أعذروني... لم أكن أ... عن عطائكم جميعا أنهم نفسي في العمل.... ولكن لا أستطيع ذلك.... أنا الست مرتاحا أني لا أعرف موقفي تماما... ولكني كأني بأهلي أنه دعا لي الهدى وشاني بكرامة وعزم أكبر. ثم بالبنت ... بعض ... من قرأ لي أن ذلك ليس غريب أو جديد ، وهكذا سنة الحياة. هناك من يغير الحياة

(إمضاء)

[illegible] والسادة النائمة تعرف الكثير على أنه بقصد أو بدون [illegible]

ولكن جميعا قبل السادة نضجوا الذي، ما يجعل الله يصرف المنفى

مستقبلي قبل أن كأسب الأخيرة،

لم يصلني الحاصل حتى ساعة تاريخه ... أرجو محاولة الاتصال بي

كما أرجو أن تأخذوا أننا الأولاد لأنا أهم قبل الجلسة، والمستشار

جمال عبد الناصر لن يمانع في ذلك،

أرجو إرسال بدلتين آخرتين وصورهما كالمقاس [illegible]

السنيا التي طلبتها من قبل، وعدد [illegible]

وتسجيله باسمي [illegible]، [illegible]

متمنيا لكم جميعا حبي واحترامي [illegible]

لقد [illegible] [illegible]

[illegible] الاتصال بالسيد [illegible]

وأرجو [illegible] ذلك قبل [illegible]

زوجتي العزيزة ٢٦/٩/١٣٨٧ ٢٥/١٢/٦٧

أبنائي الأعزاء

سلامي لكم جميعاً وحبي وأشواقي أسعدكم الله، وصلني خطابكم بتاريخ ٢٣/١٢ الذي أسعدني، شكراً جميعاً على الصحة وحسن حال الأبناء الحمد لله. [illegible] وقد سرني إيمانكم أسأل الله [illegible] الله عليكم وعلينا الصبر. فليس هناك عطاء خير وأوسع من الصبر على السراء والضراء.

اغتنموا ليلة القدر وهي خير من ألف شهر. أسأل الله [illegible] الله علينا وعلى أمة المسلمين بما يرضي الله ويرضاه لعباده. لقد أرسلت لكم رسالة الثاني فأسأل الله يكون وصلكم ومعه خطابي.

أدعو لكم وللأهل وللأحباب والمخلصين [illegible] الله [illegible] أحسن الجزاء [illegible] لكل من سأل لي.

لا تقلقوا عليّ فالله معي يرعاني ويكفيني من كل [illegible] ومكروه [illegible] إيماني والحمد لله [illegible] الله [illegible] ويغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا [illegible] ويهدينا إلى الصراط المستقيم.

وإن شاء الله [illegible] الخير [illegible] الله [illegible] الكريم. وهو خير حافظ

[illegible] لكم جميعاً حبي وأشواقي

[illegible] الله وإلى اللقاء

[illegible]

UNITED ARAB AIRLINES

■ الورقة الخامسة

رسائل الرجل الذي يفتح صوته أبواب السماء

قال عنه نزار قباني يومًا: "يفتح صوت الشيخ رفعت أمامي أبواب السماء"..

إنه الصوت الذي إذا غرد سكتت كل أصوات مقرئي القرآن في العالم، وهو الذي يصيب الجسد بالقشعريرة، والروح بالصفاء، والنفس بالسمو، وهو ذات الصوت الذي جعل الأقباط يطالبون بإعادة صاحبه "الشيخ رفعت" إلى قراءة القرآن في الإذاعة -حين تم منعه منها- لأنهم يحبون الاستماع إلى سورة "مريم" بصوته.

تبدأ السيرة الذاتية لقيثارة السماء "الشيخ رفعت" من حي المغربلين بدرب الأغوات في ٩ من مايو عام ١٨٨٢، وقد ذكرت كل المصادر الموجودة تحت أيدينا -وهي عديدة- أن والده كان مأمورًا لقسم الخليفة، لكن حفيدته هناء حسين محمد رفعت وزوجها اللواء محمد سعد ذكرا لي أن والده كان يعمل تاجرًا، ومعهم الحق في ذلك، فلو كان مأمورًا لكان ترك معاشًا لأبنائه، بدلاً من خروج ابنه محمد لقراءة القرآن في المآتم لينفق على إخوته.

وأثناء ولادة محمد رفعت كانت عيناه هما أروع ما فيه، وقد قيل إن امرأة رأته ووالده يحمله على كتفه، حيث لم يكن يتركه يمشي على الأرض من فرط حبه له، فقالت "ده رمشه نايم على صحن خده" ففقد بصره، حيث ذهب به والده إلى طبيب أجرى له جراحة فقد على إثرها البصر، وهو في الخامسة من عمره، وهنا اتجه به والده إلى نور كتاب الله فحفظ محمد رفعت القرآن لدرجة أنه راجع والده حين كان يقرأ إحدى الآيات، وكان في الخامسة من عمره وكان والده

يمشي ويرتل والطفل على كتفه، وهنا أنزل محمود رفعت ابنه محمد ولطمه على وجهه، وعاد الأب إلى منزله غاضبًا ليفـتح المصـحف ويجد ابنه على حق في الآية التي صححها له.

لقد حفظ الطفل القرآن في هذه السن الصغيرة.

وفى التاسعة من عمره رحل الوالد تاركًا له والدته وخالته وأخويـه في دنيا خئون لا ترحم، وهنا انطلق الفتى يقرأ القرآن فـي المـآتم ليوفر لقمة العيش لهم.

وحين أتم الخامسة عشر من عمره عين قارئًا بمسجد فاضل باشـا - جامع بشتك- بدرب الجماميز بالسيدة زينب، الذي كانت المواصـلات تتعطل بسبب تزاحم الناس للاستماع إليه، وظل محمد رفعت ثلاثـين عامًا في هذا المكان يرتل القرآن دون أن يغير موضعه.

وذاع صيت الشيخ رفعت حتى جاء يوم ٣١ مايو عام ١٩٣٤ عـام افتتاح "الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية" ليعرض عليـه سـعيد لطفى باشا -مستشار الإذاعة- أن يفتتح الإذاعة بصوته، وهنا ثـار الشيخ رفعت وغضب وقال: إن كلام الله وقار نزل من السماء لا تليق بمقامه أن تذاع إلى جانبه الأغاني الخليعة التي تقدمها الإذاعة.

ولكن الشيخ كان قد كوّن جمهورًا يريد الاستماع له بأي شكل، وقـد عرضوا عليه أن يسجل الأغاني المأخوذة من الشعر القديم المحتـرم قبل ذلك في الإذاعة الأهلية، ووافق محمد رفعت شريطة عـدم ذكـر اسمه، فغنى "أراك عصى الدمع" و "حقك أنت المنى والطلـب"، وقـد عمل الشيخ رفعت قبل ذلك لجمال صوته منشدًا للمدائح النبوية، كما

أنه كان صديقًا لمحمد عبد الوهاب وزكريا أحمد وصالح عبد الحي ونجيب الريحاني وبديع خيري، لدرجة أن عبد الوهاب قال إنه عندما كان طفلاً واستمع إلى صوت الشيخ رفعت يرتل القرآن بعد صلاة الفجر كانت البلابل والعصافير وعناقيد الكروانات تسبح كجوقة في خلفية صوته.. والشيخ رفعت في جلساته الخاصة كان يتناول العود ويعزف عليه ببراعة، وكانت نغمات "العجم" و"الصبا" و"البياتي" أقرب النغمات إلى نفسه، وكان يلقى النكتة المهذبة في براعة يحسد عليها من منطلق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة فإنها إذا كلت ماتت".

في عام ١٩٣٤ ذهب الشيخ رفعت إلى الشيخ السمالوطي - أحد أعضاء هيئة كبار العلماء - ليقول له إنه بعد الإذاعة الأهلية أنشأوا إذاعة يريدونني أن أقرأ القرآن فيها وقد قلت لهم إن القرآن لم يخلق ليرتل أمام الميكروفونات الصماء، فقال له السمالوطي: إن قراءة القرآن حلال في الإذاعة، وأخذ الشيخ رفعت يلح في سؤاله ويؤكد له السمالوطي أكثر من مرة أنها حلال وعليه أن يذهب إلى الإذاعة ويقرأ القرآن، فأعاد رفعت الكرة قائلاً إنه سيقرأ القرآن والناس سيستمعون إليه في المقاهي والحانات وصالات القمار، فقال له السمالوطي أنت ستتلو القرآن في مكان طاهر.. أليس كذلك؟

فقال له : نعم .. فقال له: لا تخش شيئا... لكن الشيخ رفعت امتلك ضميرًا لا تأخذه سنة واحدة، فذهب إلى شيخ الأزهر نفسه - الشيخ الظواهري - فقال له: "أعرف ما جئت تسأل عنه يا شيخ رفعت،

وتعال معي" وأمسك الشيخ الظواهري بيد الشيخ رفعت وجعله يتحسس جهازًا في ركن بالبيت، إنه الراديو، أجل يا شيخ رفعت لقد جئت به لأستمع لك".

وهنا توجه الشيخ رفعت إلى الإذاعة وصدح بصوته ليستمع إليه الملايين، لدرجة أن طيارًا كنديًا التحق بالجيش الأمريكي ليأتي إلى مصر ليشاهد الشيخ رفعت بعد أن استمع إليه عبر إحدى الاسطوانات التي سافرت إلى كندا.. رغم أن الرجل كان يجهل العربية، فقد كان صوت محمد رفعت يتجاوز البلاد واللغات واللهجات.

لكن الشيخ رفعت لم يرتح لتلاوة القرآن في الإذاعة، حيث كانت تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزي، لدرجة أنه تم منع الرجل من أن يشرب قهوته داخل الأستديو، رغم أنه يظل ساعة كاملة على الهواء يقرأ.. كما أن هناك أحد الإنجليز حاول منعه من الصلاة داخل الأستديو قائلاً له "الإذاعة ليست جامعًا لتصلى فيه"..

وفى عام ١٩٣٨ أو ١٩٣٩ توقف الشيخ رفعت عن القراءة للإذاعة لأن سعيد لطفي باشا رفع أجر الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى من ١٢ جنيهًا إلى ١٤ جنيهًا في التلاوة الواحدة، ولم يرفع أجر الشيخ رفعت إلى الرقم نفسه رغم أن الشيخ رفعت افتتح الإذاعة بصوته، ونحن لا نتكلم من فراغ فلدينا العقود التي تمت بين الشيخ رفعت و"الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية" ووكلائها "شركة تلغراف ماركونى اللاسلكية لميتد لندن" و"شركة راديو هوس شارع علوي بمصر" حيث يقول العقد الأول:

" اتفق فيما بين الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية (نيابة عن الإذاعة اللاسلكية البريطانية بناء على طلبها) طرف أول

وحضرة الشيخ محمد رفعت طرف ثان

على ما يأتي:

أولاً: تسجل الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ما تيسر من القرآن الكريم من سورة مريم لمدة نصف ساعة من الشيخ محمد رفعت تسجيلاً كهربائيًا على شريط ماركوني المسجل ويرسل الشريط بطريق البحر إلى الإذاعة اللاسلكية البريطانية لاستعماله في برنامجها العربي.

ثانيًا: تدفع الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية للشيخ محمد رفعت مبلغ خمسين جنيهًا مصريًا لحساب الإذاعة اللاسلكية البريطانية كأتعاب عن تسجيل الشريط، بما في ذلك أجر إذاعته للمرة الأولى في برنامج الإذاعة اللاسلكية البريطانية.

ثالثًا: تدفع الإذاعة اللاسلكية للشيخ محمد رفعت مبلغ خمسة جنيهات مصرية عن كل مرة يذاع فيها الشريط بعد الإذاعة الأولى.

رابعًا: تقوم الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية بجميع التسهيلات ليسجل الشيخ محمد رفعت عدة شرائط يختار أحسنها ليرسل بطريق البحر إلى الإذاعة اللاسلكية البريطانية وعند إرسال الشريط الذي يقع عليه الاختيار تعطى الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية إقرارًا للشيخ محمد رفعت بأنها قد مسحت جميع الشرائط التي سجلت ما عدا الشريط الذي اختير.

خامسًا : اتفق الشيخ محمد رفعت على أن يقوم بتسجيل شريط آخر بدون أن يأخذ أجرًا إضافيًا ليحل محل الشريط المرسل إلى لندن إذا حدث أن فقد هذا الشريط أو تلف في الطريق إلى لندن.

سادسًا: يصرح للإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية بأن تتفق بالنيابة عن الإذاعة اللاسلكية البريطانية على أن هذه الأخيرة لا تعطى إذنها لأية محطة إذاعة أخرى بأن تنقل إذاعة هذا الشريط عنها إلا إذا اتفقت المحطة التي ترغب في إذاعته على أن تدفع للشيخ محمد رفعت مبلغ خمسة جنيهات مصرية عن كل مرة تنقل فيها إذاعة الشريط.

سابعًا: عندما تقرر الإذاعة اللاسلكية البريطانية أنها لم تعد في حاجة إلى استعمال الشريط في برامجها فإنها تعطى الشيخ محمد رفعت إقرارا بأنها قامت فعلاً بمسح ما سجل على الشريط..

ثامنًا: في حالة وفاة الشيخ محمد رفعت يستفيد من شروط التعاقد ورثته أو من يوصى بهم هو، ما دامت الإذاعة اللاسلكية البريطانية تستعمل الشريط في برامجها.

تحريرًا في أول مارس سنة ١٩٣٩.

والغريب أن الشيخ رفعت ظل يقرأ للإذاعة دون أن تسجل له، لذا حين مرض الشيخ لم تجد الإذاعة شيئًا تقدمه له إلا أنه كان هناك أحد الباشوات ويدعى زكريا مهران كان كلما استمع لصوت الشيخ رفعت قام بتسجيله دون أن يعرف الشيخ رفعت، حيث لم تكن هناك أية علاقة بينهما، ذلك لأن محمد رفعت كان يرفض التسجيل، لذا تعب

أولاده محمد محمد رفعت - الابن الأكبر - وأحمد محمد رفعت وحسين محمد رفعت في جمع هذه التسجيلات، والتي كان زكريا باشا مهران قد نقلها إلى موطنه الأصلي في القوصية - محافظة أسيوط، وحين ذهبوا إليه قال لهم: هذا ما أملكه من تسجيلات الشيخ رفعت وقد بلغ عددها (٢٧٨ اسطوانة) تضم (١٩ سورة) مدتها (٢١ ساعة).

ورغم الأموال العديدة التي عرضت على الشيخ رفعت فإنه كان يرفض رفضًا باتًا التكسب أو السعي وراء المادة، حتى إنه تلقى دعوة من "حيدر آباد" بالهند ليسافر، لكنه رفض رغم الوساطات العديدة ومنها وساطة الموسيقار محمد عبدالوهاب، ولم يسافر إلا إلى المسجد النبوي الشريف.

أما بالنسبة للحياة الشخصية للشيخ رفعت فقد تزوج وعاشت معه زوجته الأولى مع أمة وخالته وإخوته الأربعة، لكنها طالبته بالاستقلالية وأن يشترى لها مسكنًا بمفردها لأن هذا حقها كزوجة، وثار محمد رفعت ورفض في بادئ الأمر لكنه استجاب لها بعد ذلك واشترى لها بيتًا وجمعوا الأشياء الخاصة بهما، لكن محمد رفعت لم يستطع أن يكمل نزول درج السلم، ولم يستطع أن يفارق أهله ورجع إلى البيت، فكان الطلاق هو الحل الوحيد، ثم تزوج للمرة الثانية ولم يكن قد أنجب من الأولى.

وقد ظل محمد رفعت يقرأ في جامع فاضل حتى اللحظات الأخيرة لنهاية صوته، فبعد كل الشهرة التي حققها ووصول صوته إلى معظم أنحاء العالم عبر الإذاعة ظل وفيًا للحصيرة والكنبة في جامع فاضل.

ويروى كمال النجمى اللحظات الأخيرة لصوته بقوله: في سنة ١٩٤٣ رأيت مشهدًا مبكيًا من مأساة القارئ العبقري محمد رفعت صاحب أرقى حنجرة وأسمى فن غنائي في عصرنا يعتمد على بديهة الارتجال.

رأيت مأساته في لحظات رهيبة تشبه الحلم المرعب، وقد أحاط به مئات المستمعين، وكانت عادتي أن أقصد يوم الجمعة مبكرًا إلى مسجد فاضل باشا بالجماميز لأجد مكانًا قريبًا من الشيخ، فقد كان صوته على تعدد مقاماته واكتماله صغير الحجم لا يستوعب دقة نبراته إلا القريبون من مجلسه.

وفى المرة الأخيرة التي سمعت فيها الشيخ كان يتلو سورة (الكهف) في المسجد كعادته فقاوم الفراق أو "الزغطة" التي غص بها حلقة، وقرأ ما سمحت به نوباتها المتكررة ثم سيطرت "الزغطة" على الموقف وملأت حلق الشيخ وحبس صوته تمامًا .

حنى الشيخ العظيم رأسه جريح القلب لا يدرى ما يصنع.. ثم أخرج من جيبه زجاجة صغيرة فيها سائل أحمر يبدو أنه دواء وصفه له بعض الأطباء فأطاعه صوته في آيتين أو ثلاث ثم قهره الداء وتوقف حائرًا لبعض الوقت ثم غادر مجلسه تاركًا إياه لشيخ آخر.

في تلك اللحظة المأساوية انفجر الناس في المسجد بالبكاء وعلا نحيب المقرئين الشبان الذين كانوا يلتفون حول الشيخ رفعت كل أسبوع ليتعلموا طريقته وصناعته.

وتحول الموقف إلى مأتم رهيب للصوت العبقري الذي ضاع.

وهنا نادى الكاتب أحمد الصاوي محمد بعمل اكتتاب شارك فيه مواطنون من مختلف الأديان وقسس ليسهموا في نفقات علاجه، لكن أبناءه رفضوا قبول الاكتتاب الذي وصل إلى خمسين ألف جنيه، فزاد إكبار الناس وإجلالهم له، وظل الشيخ رفعت طريح الفراش ٩ سنوات مرددًا "أراد الله أن يمنعني .. ولا راد لقضائه .. الحمد لله".

لقد ولد في مايو وافتتحت الإذاعة بصوته في مايو، وفي مايو ويوم ميلاده التاسع من الشهر نفسه رحل أجمل صوت ترنم بآيات الله عام ١٩٥٠.

وحاولت أن أجد أحدًا من أسرته، لكن تعرضت للعديد من النصابين الذين يدعون قرابتهم للشيخ.. حتى هداني الله إلى حفيدته السيدة هناء حسين محمد رفعت وزوجها اللواء محمد سعد الذي كانت علاقته الروحية قوية بالشيخ رفعت، وحين دخلت البيت أحسست بأن روح الشيخ رفعت ترفرف حولي.. وسألت حفيدته: متى بدأ اكتشافك للشيخ محمد رفعت فقالت: "لها قصة تبدأ من والدي، حيث حكى لي أنه لم يكن يدرك أن أباه هو الشيخ محمد رفعت المقرئ المشهور ذو الصوت الجميل ووالدي كان الرابع حيث كان مع جدي عمي محمد محمد رفعت وهو بمثابة سكرتيره ودليله الذي يصطحبه في كل مكان، ولم يعمل في أية مهنة سوى عين أبيه التي يرى بها.. ثم عمي أحمد محمد رفعت ثم عمتي ثم والدي، فأبي لم يكن ينظر له على أنه الشيخ رفعت المقرئ رغم توافد الفنانين وإقبالهم عليه مثل: أم كلثوم ورامي وعبد الوهاب والريحاني والشيخ السمالوطي كلهم

كانوا يجيئونه في مندرة البيت ولم يدرك هـذا إلا حـين تـوفى الله الشيخ رفعت فبدأ بي يبحث ويستمع وينصت لصوته باهتمام، وتحول من ابن للشيخ رفعت إلى "مجنون الشيخ رفعت" كان والـدي حـين يستمع إلى الشيخ رفعت يخبط برأسه في الوسـائد إعجابًـا وكـان لوالدي الفضل في تجميع الشرائط التي طبعت.. قاطعتها قائلاً: لكنـي اشتريت أحد هذه الشرائط من الشركة التي طبعتها فوجـدتها سـيئة الصنع؟

فأجابت: ذلك لأن هذه الشركة لم تقم بتنقية الصوت لكنهـا حملـت الصوت من على الأسطوانة على الشرائط مباشرة بضوضـائها ومـا بها من شوائب دون إجراء أية عملية تنقية.

- هل هناك من سجل للشيخ رفعت خلاف زكريا باشا مهران؟

-نعم هناك صديق تاجر اسمه محمد خميس وقـد كانـت إمكانياتـه محدودة، لكن زكريا مهران كان غنيًا وكان لديه جهازان كبيران كان يسجل بهما كل ما يسمعه من الشيخ رفعت، وبعد وفاته ذهـب إلـى الإذاعة وقال إنه على استعداد لأن يهديهم التسـجيلات التـي لديـه شريطة أن يخصصوا معاشًا شهريًا للشيخ رفعت لأنه رجـل رفـض الاكتتاب الذي اقترحوه له.

- لم تجيبيني عن اكتشافك بالشيخ رفعت؟

- مثلما اكتشفه والدي بعد وفاته وأنا أكتشفه بعد وفاة والدي، لأني كنت مرتبطة بوالدي جدًا لذا دخلت هذه الحجرة - التي تجلس فيها- والتي كان والدي لا يتركها إلا لينام، وأخذت أبحـث وأفـتح الأوراق

الخاصة فأرتبط أكثر بالشيخ رفعت، وبدأت أسمعها بأذن جديدة غير التي كنت أسمعها به من قبل، ومن فرحتي بصوته اليوم حيث وجدته يقرأ في معظم محطات الإذاعة بكيت فرحًا.

– هل عرض زكريا مهران بيع الاسطوانات؟

– لا، لم يحدث، ولكن الباشا حين توفى ذهب بالاسطوانات إلى عزبته ولما ذهب والدى وإخوته له وجدوه وقد خبأها عند ناظر العزبة، ولا نعرف هل هي كل ما أعطاه لهم أم لا، لكنه قال لهم هذا ما سجلته، وفى الحقيقة لم يعرض بيعها إطلاقًا حتى إن زوجته كانت ابنة علي باشا مبارك، وهي "هانم" ذات نشأة طيبة قالت لأبى "يا حاج حسين، زكريا باشا مهران رغم أنه رجل اقتصاد ورجل قانون وعضو مجلس الشيوخ، لكن ما شهره أنه جامع لتراث الشيخ محمد رفعت.

– ماذا تريدين أن تفعلي إزاء تراث الشيخ رفعت؟

– أناشد وزير الثقافة أن يمنحنا مكانًا لإقامة متحف للشيخ رفعت يضم مقتنياته الخاصة مثلما حدث مع أم كلثوم خصوصًا أننا كونا جمعية محبي الشيخ رفعت، ومعنا الدكتور محمد محمد غزالي الذي تبرع لنا بألف جنيه لإشهار هذه الجمعية، وهو طبيب بمستشفى المنصورة، وفكرنا أن يكون مقر الجمعية في مدفنه لكننا رأينا أن هذا لا يليق بالشيخ رفعت.

وقد منحتني السيدة هناء حسين –المدير العام بوزارة الثقافة- هدية رائعة وهى الخطابات التي أرسلت إلى الشيخ رفعت من معجبيه فهذه رسالة مكتوب في أعلاها "محمد صابون تاجر حدايد وصاحب ورشة

ميكانيكية ومسبك معادن بالمنصورة بشارعي الكخيا والسلخانة، وتليفونه رقم ٢٦٧١، ويقول نص الرسالة:

("هذا هو السحر الحلال، إنه يقرأ القرآن كما أنزل بقراءته هذه كأنه يفسر لنا القرآن".. حضرة الأستاذ محمد رفعت، هذا قليل من كثير مما كان يردده الناس مساء الجمعة ١٣ الجاري، وفى الحق يا سيدي أنك كنت مبدع كل الإبداع وموفقًا كل التوفيق فقد ملكت القلوب وجعلت الناس يخرون للأذقان سجدًا وكأنهم ما سمعوا القرآن من قبل..)

وتمضي الرسالة في الثناء على الشيخ.

وهناك رسالة أخرى من الأقصر في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٤ هـ من محمد حقي محمود يهنئه فيها بالشفاء حيث يقول:

"لقد سمعت فضيلتكم بالأمس بالراديو من سورة مريم، فوالله لا يملكني أن أصف ما حصل عندي من الطرب والفرح الشديد خصوصًا لتمام صحتكم وشفاءكم الكامل حيث بعد شفائكم من المرض في الأربع قراءات السابقة لم ترى قوتكم كالمعتاد إلا أمس)

عن قراءتكم (كهيعص) هذا شيء من العجائب والغرائب (فالله أكبر) وقراءتكم (فكلي واشربي وقري عينا) (فسبحان الفتاح العليم)."

سبحان اللّه.. عينان رائعتان ولكن لا تريان !!

صورة نادرة للشيخ رفعت

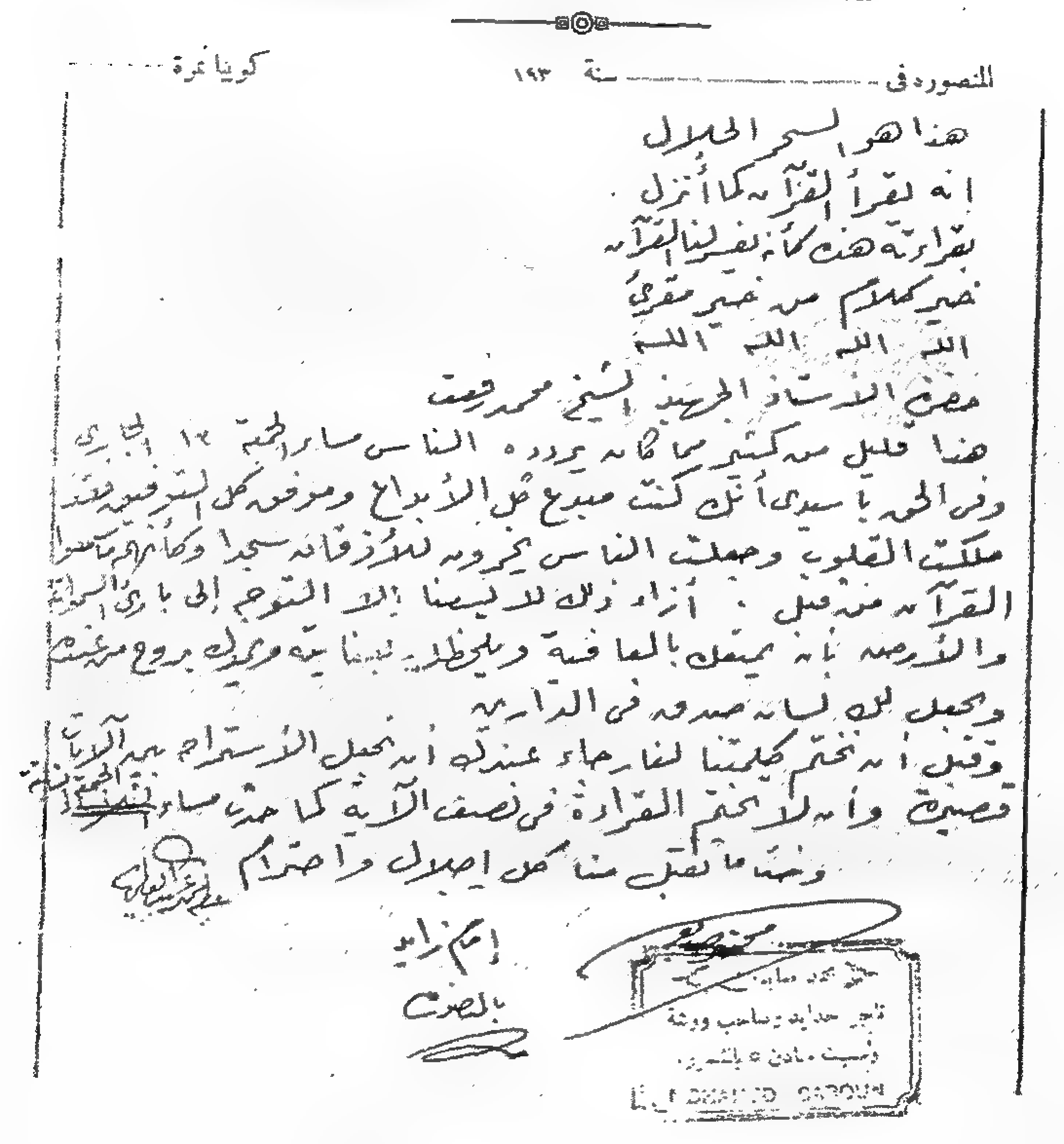

Teleph. No. 2671 — محمد صابون — تليفون نمرة ٢٦٧١

B. P. No. 24 — صندوق بوسته ٢٤

تاجر حدايد وصاحب ورشه ميكانيكيه وسبك معادن

بالمنصوره * بشارعي الكخيا والسلخانه

MOHAMED SABOUN - Mansourah

المنصوره في .... سنة ١٩٣ — كوبيا نمرة ....

هذا هو السحر الحلال
إنه يقرأ القرآن كما أنزل
بقراءته هذه كأنه يفسر لنا القرآن
خير كلام من خير مقرئ
الله الله الله الله

حضرة الأستاذ الجليل الشيخ محمد رفعت

هذا قليل من كثير مما كان يردده الناس مساء الجمعة ١٢ الجاري
وفي الحق يا سيدي أنك كنت مبدع فن الإبداع وموضع كل التقدير فقد
ملكت القلوب وجعلت الناس يخرون للأذقان سجدا وكأنهم ما سمعوا
القرآن من قبل. أزاء ذلك لا يسعنا إلا التوجه إلى باري السموات
والأرض بأن يمتعك بالعافية ويطيل لنا بقاءك ويمدك بروح من عنده
ويجعل لك لسان صدق في الدارين
وقبل أن نختم كلمتنا لنا رجاء عندك أن تجعل الاستراحة بين الآيات
قصيرة وأن لا تختم القراءة في نصف الآية كما حدث مساء الجمعة
وختاما تقبل منا كل إجلال واحترام

محمد صابون

بالمنصورة

محمد صابون — تاجر حدايد وصاحب ورشة وسبك معادن بالمنصورة — M. MOHAMED SABOUN

الأقصر في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٤

[illegible] الأستاذ الجليل الشيخ محمد (زاده الله رفعة فوق رفعته)

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فإني أقبل أياديكم الكريمة وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكونوا
بأحسن صحة وعظيم الرفاهة

سيدي الفاضل لقد سمعت فضيلتكم بالأمس بالراديو من سورة مريم فوالله لا يمكني
[illegible] ما حصل عندي من الطرب والفرح الشديد جدا لتمام صحتكم وشفائكم الكامل حيث بعد
[illegible] المرض في الأربعة قراءات السابقين لم نرَ صوتكم كالمعتاد إلا أمس فالحمد لله
[illegible] صوتكم القديم [illegible] عليكم بالشفاء ثم أقسم لكم بالله ثلاثا أنه في المدة التي
[illegible] أسمع الراديو مطلقا وخاصة في تلاوة القرآن ثم إذا بينت لكم الآيات
[illegible] دهشتني وجعلتني أقول (الله) بدون أن أشعر لطولت عليكم في الكتابة
[illegible] قراءتكم (كهيعص) هذا شيء من العجائب والغرائب (فالله أكبر)
[illegible] (فكلي واشربي وقري عينا) (فسبحان الفتاح العليم) وقراءتكم (ما كان لله
أن يتخذ من ولد سبحانه) (فسبحان القادر العظيم) وقراءتكم (إذ قال لأبيه يا أبت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فبالحال نسأله تعالى أن يسمعنا صوتكم في الجنة
[illegible] أنه من صوت الجنة ثم أطلب من فضيلتكم طلب وهو أن تقرؤوا الصور
الآتية سورة الكهف وسورة النمل وسورة القصص وسورة النجم والقمر وسورة
يوسف وإني أشكركم على إجابة طلبي السابق لا حرمنا الله منكم وكافة الأمة
الإسلامية بجاه النبي الكريم وأهل بيته وحق المشايخ أقبل أياديكم وأطلب
منكم صالح الدعوات ومن هنا محبكم [illegible] الضوي حسن بجهد [illegible] وأفخر تحيات والله يحفظكم
[illegible]

محمد حسني محمود
[illegible]

اتفق فيما بين الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية (نيابة عن الاذاعة اللاسلكية البريطانية بناء على طلبها) طرف اول وحضرة الشيخ محمد رفعت طرف ثان على ما يأتي

اولا — تسجل الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ما تيسر من القرآن الكريم من سورة مريم لمدة نصف ساعة من الشيخ محمد رفعت تسجيلا كهربائيا على شريط ماركوني المسجل ويرسل الشريط بطريق البحر الى الاذاعة اللاسلكية البريطانية لاستعماله في برنامجها العربي

ثانيا — تدفع الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية للشيخ محمد رفعت مبلغ خمسين جنيها مصريا لحساب الاذاعة اللاسلكية البريطانية كأتعاب عن تسجيل الشريط بما في ذلك اجر اذاعته للمرة الأولى في برنامج الاذاعة اللاسلكية البريطانية

[illegible] الاذاعة اللاسلكية البريطانية للشيخ محمد رفعت مبلغ خمسة جنيهات مصر[illegible] عن كل مرة يذاع فيها الشريط بعد الاذاعة الأولى

رابعا — تقوم الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية بجميع التسهيلات ليسجل الشيخ محمد رفعت عدة شرائط يختار احسنها ليرسل بطريق البحر الى الاذاعة اللاسلكية البريطانية وعند ارسال الشريط الذى يقع عليه الاختيار تعطى الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية اقرارا للشيخ محمد رفعت بانها قد مسحت جميع الشرائط التي سجلت ما عدا الشريط الذى اختير

مريم لمدة نصف ساعة من الشيخ محمد رفعت تسجيلا كهربائيا على شريط ماركوني المسجل ويرسل الشريط بطريق البحر الى الاذاعة اللاسلكية البريطانية لاستعماله في برنامجها العربي

ثانيا — تدفع الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية للشيخ محمد رفعت مبلغ خمسين جنيها مصريا لحساب الاذاعة اللاسلكية البريطانية كأتعاب عن تسجيل الشريط بما في ذلك اجر اذاعته للمرة الأولى في برنامج الاذاعة اللاسلكية البريطانية

ثالثا — تدفع الاذاعة اللاسلكية البريطانية للشيخ محمد رفعت مبلغ خمسة جنيهات عن كل مرة يذاع فيها الشريط بعد الاذاعة الأولى

رابعا — تقوم الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية بجميع التسهيلات ليسجل الشيخ محمد رفعت عدة شرائط يختار احسنها ليرسل بطريق البحر الى الاذاعة اللاسلكية البريطانية وعند ارسال الشريط الذى يقع عليه الاختيار تعطى الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية اقرارا للشيخ محمد رفعت بانها قد محت جميع الشرائط التى سجلت ما عدا الشريط الذى اختير

خامسا — اتفق الشيخ محمد رفعت على ان يقوم بتسجيل شريط آخر بدون أن يأخذ أجرا اضافيا ليحل محل الشريط المرسل الى لندن اذا حدث أن فقد هذا الشريط أو تلف فى الطريق الى لندن

سادسا — صرح للاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية بأن تتفق بالنيابة عن الاذاعة اللاسلكية البريطانية على أن هذه الأخيرة لا تعطى اذنها لأية محطة اذاعة أخرى بأن تنقل اذاعة هذا الشريط عنها الا اذا اتفقت المحطة التى ترغب فى اذاعته على ان تدفع للشيخ محمد رفعت مبلغ خمسة جنيهات مصرية عن كل مرة تنقل فيها اذاعة الشريط

../..

EGYPTIAN STATE BROADCASTING
AGENTS
MARCONI'S WIRELESS TELEGRAPH C° L° LONDON
RADIO HOUSE, SHARIA ELWI, CAIRO
TELEPHONE: 46129
TELEGRAMS: KAHIRADIO CAIRO
C. R. No. 11332 Cairo

الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية
الوكلاء
شركة تلغراف ماركوني اللاسلكية ليمتد لندن
راديو هوس شارع علوي بمصر
تليفون رقم : ٤٦١٢٩
العنوان التلغرافي : قاهراديو مصر

سابعا — عند ما تقرر الاذاعة اللاسلكية البريطانية انها لم تعد فى حاجة الى استعمال الشريط فى برامجها فانها تعطى الشيخ محمد رفعت اقرارا منها بانها قامت فعلا بمسح ما سجل على الشريط

ثامنا — فى حالة وفاة الشيخ محمد رفعت يستفيد من شروط هذا التعاقد ورثته أو من يوصى بهم هو ما دامت الاذاعة اللاسلكية البريطانية تستعمل الشريط فى برامجها

- الورقة السادسة

الرسائل الخاصة لأمل دنقل

الذي عاش غريبًا ومات غريبًا :

- تكلم مع خالك الشاذلي يكلم عمك الشاذلي ويرهن الأرض!!
- كسلت عن زيارة خالي فضبطني أتفسح مع فتاة!!
- يكتب لأخيه بأنه يعالج على نفقة الدولة حتى لا يقترض منه!
- تحدى العقاد في قصيدة عمودية وانتصر عليه
- قرر الانتحار ثم تراجع لأجل الكلمة!
- إنني أحس بالملل إذا خرجت للتنزه في القاهرة
- إنني بخير يا أمي .. وشكراً لك على إنشاء دورة المياه!
- اطمئني اشتريت وزوجتي شقة في حي الهرم
- ليس معي سوى ١٥٠٠ جنيه وليس على ديون
- من أين لي بـ ١٥ ألف جنيه خلواً لشقة!!

أستطيع الادعاء بأني لامست جرح أمل دنقل.. شاهدت عذاباته وهي تنزف.. أحسست بالألم.. توحدت معه من خلال أوراق باهتة صفراء قديمة نامت في قلب أمه وأخيه في صعيد مصر.. وها هي تخرج للمرة الأولى إليّ.. ألمسها.. أتحسسها، فأحس بالوجع.

عالم آخر يختفي خلف هذا الشاعر الكبير.. عالم من العذاب والمرار والدموع.. تحمل آلامه بعنف "الصعايدة" وصبر عليها، لكن السرطان اللعين سرق منه بصره وسرق منه جسده وأبقى "روحه الأبدية" خالدة.

لعله الشاعر الذي عاش لمبادئ لم يغيرها.. عاش لأجل كلمة ناطقة لا خرساء " هي كلمة إن قلتها مت، وإن لم تقلها مت"، فقالها ومات.. فهو أول الرافضين للسلام الوهمي مع إسرائيل.. "لا تصالح". وظل على مبدأه حتى رحيله عام ١٩٨٣.. ولم ينافق حاكمًا ولا سلطانًا، مختارًا لنفسه طريقًا أخرى غير التي سلكها المتنبي منافقًا ومتملقًا سلطانًا هنا، وملكًا هناك، فترك لنا ثلاثة أرباع ديوانه من النفاق.

نعم لم يهزم أمل دنقل سوى المرض اللعين الذي ظل ينهش جسده حتى انتصر عليه في الغرفة ٨ في معهد السرطان لينال هذا المرض اللعين الشرف الوحيد للانتصار على شاعر كبير.

وبين أنات الشاعر وعذاباته وآلامه كان يكتب لأمه وشقيقه في جنوب مصر رسائل تكشف آلامه وأحزانه.. كما كان يكتب في رسائل أخرى لشقيقه – الذي كان مسافرًا إلى الكويت– يتحدث فيها عن أحواله المالية الجيدة(!!).

كان يكتب بكبريائه الذي لا يملك سواه، مطمئنًا؛ وهو الذي لم يشعر في حياته بالطمأنينة.. صديق القلق والأحزان والأمراض.
هي رسائل لـ"محمد أمل فهيم محارب دنقل" تنشر للمـرة الأولـى.. كانت تختبئ هناك في جنوب مصر في قلب أمه وشقيقه أنس عضـو مجلس الشعب السابق.

وقبل البدء هناك سؤال يعترضني: هل تسأل عبلة الرويني -زوجـة أمل دنقل- عن والدة أمل دنقل في صعيد مصر، وهى التي كتبت بعد رحيله كتاب "الجنوبى" بكل روعته.. وما الذي فعلته بعد دفـن أمـل دنقل في بيت أهله بقنا؟!
مجرد سؤال طرأ على ذهني؛ خاصة أنه تربطني بعائلة دنقل علاقـة قوية وأعرف والدة أمل دنقل جيدًا -وهناك حكايا أخرى لـيس هـذا وقتها- كما أن أنس وأبناءه أصدقاء لي منذ زمن.. كما إنني واحـد من ملايين العشاق لهذا الشاعر العظيم.. وقد جلست إلى شقيقه أنس في حوار طويل وممتد حول أمل دنقل، وحكيت له قصة حدثت معـي ذات يوم تتعلق بأخيه من قبل بعض مدعيّ الثقافة، فحين كنت أدرس بكلية الآداب بسوهاج؛ كنت عضوًا بنادي الأدب، وكان كلمـا ألقـى أحدنا قصيدة طلعوا فيها القطط الفطسانة، فقررت فضحهم بأن ألقيت قصيدة لأمل دنقل على أنها من تأليفي، وحصلت منهم على معلقـات الذم العشر وأني لا أصلح في كتابة الشعر وعليّ الاتجـاه للسـباكة، قلتُ لهم يسرني أنكم لا تقرأون، فلو كنتم تقرأون لعرفتم أن القصيدة من أشهر وأروع قصائد أمل دنقل، ثم تركتهم في حالة يعلمها الله.

القصيدة التي ألقيتها كانت بعنوان "كريسماس"

(اثنان لم يحتفلا بميلاد المسيح:

أنا .. والمسيح!

غرفتنا لم تنطفئ أنوارها عند انتصاف الليل

لأنها لا تعرف الأنوار!)

ومن يومها هجرت الشعر والأدب.

يقول عضو مجلس الشعب السابق أنس دنقل:

لا أستطيع أن أتذكر أخي دون العودة إلى الجذور التي صنعت منه شاعرًا.. كما لابد أن نتذكر الأب الشاعر أبو القاسم محارب دنقل وهو من مواليد ١٩٠٩ وتوفى في سبتمبر ١٩٥٠ وكان أزهريًا حصل على شهادة العالمية "الليسانس" في اللغة العربية عام ١٩٣٨ من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، ثم حصل على شهادة العالمية في اللغة العربية "الدكتوراه" من نفس الجامعة عام ١٩٤٠ وهو نفس العام الذي ولد فيه "أمل"، لذلك سماه أبى بهذا الاسم تيمنًا وتفاؤلاً.

عمل والدي مدرسًا بمدارس القاهرة بداية هذا العام حتى عام ١٩٤٧ وأمضى أمل هذه الفترة بالقاهرة، والتحق بمدرسة السلطان حسين كامل الأميرية بحي القبة، ثم بعد ذلك انتقل الأب؛ نتيجة لجو القاهرة الرطب الذي لم يكن ملائمًا لصحته؛ إلى العمل بقنا بمدرسة الصنايع الثانوية، ومن بعدها مدرسة فاروق الأول الثانوية بقنا، حتى تاريخ وفاته عام ١٩٥٠.

كان أبى شاعرًا يكتب الشعر التقليدي في جميع أغراضه، وأتذكر مقاطع من قصيدة غزلية كتبها عام ١٩٤٢، عندما أصيب في حادث سيارة في القاهرة، وتولت تمريضه بمستشفى قصر العيني ممرضة اسمها "جمال"!

جمال الدوحة الفيحاء هاتِ
شفاء الجرح من طهر الفتاةِ
وجيئني بالصفاء إلى أديبٍ
رأى فيكِ صفاء الحياةِ
وزيدي مسمعي من لحن صوت
هو الفن الجميل لدى الفواةِ
وجودي من عيونك بالتفات
هو الطب الذي فيه نجاتي
أنا ملك الرقيقة في جروحي
مراهم قد حوت أسمى الصفاتِ
نظرتُ إلى عيونك لا لحظٍ
من الدنيا ولكن للصلاةِ
أرى التسبيحَ في النظرات
يهدي كما تهدي الصلاةُ إلى الزكاةِ
فشكرًا يا فتاة الطب شكرًا
على تمريض عطف والتفاتِ

القصيدة طويلة جدًا ولم يتذكر أنس سوى هذه الأبيات منهـا، لكنـه يؤكد أن لوالدهما قصائد أخرى سياسية كان يكتبها كشكاوى للفلاحين من تعسف الحكومة في الأربعينات في جمع محصول الذرة – الغذاء الرئيسى للفلاح وقتها– لتقدمه كعلف لخيول جيوش الحلفاء... يقول في هذه القصيدة :

لقمـة العـيش الضـروري لنـا
تسـبق الأقـدام بالشـكاوى هنـا
إننـا قـوم نكبنـا فـاعطفوا
يـا أولـي الأمـر داووا جرحنـا
هيئـوا القـوت الـذي نحيـا بـه
واذكـروا المرضـى ولا تنسـوا "قنـا"
أنقـذوا الفـلاح وارعـوا حقـه
إنمـا الفـلاح كنـز يقتنـى
انصـفوه وارحمـوه وانظـروا
حالـه فالحـال بـؤس وعنـا

كما أن لوالده أمل قصائد مبكرة في منتصف الثلاثينيات تنبه للخطـر الصهيوني على فلسطين، ومنها قصيدة ألقيت فـي حفـل للشـبان المسلمين بالقاهرة في ١٩٣٦/٨/٥ يقول فيها :

يـــا فتـــى النيـــل يـــا حفيـــد الحـــروب

هـــذه أختنـــا عـــذت فـــي الكـــروب

فاســـتفق واســـتفق مـــن النـــوم وانهـــض

مســـتميتًا فـــي حقهـــا المســـلوب

مـــا فلســـطين غيـــر روح لجســـم

أيـــن جســـم بغيـــر روح طـــروب

مـــا فلســـطين غيـــر قلـــب لعـــرب

فـــي شـــروق مـــن الـــدنى وغـــروب

فاســـعف القلـــب واحفـــظ الـــروح واهتـــف

لجهـــاد فـــي جيئـــة وذهـــوب

حقـــق النصـــر بالـــدماء وبالمـــال

وبالنـــاس فـــي شـــريف الحـــروب

واحمـــل الســـيف وامـــش فـــي الأرض

بثباتٍ يبعث الرعـــب فـــي جميـــع القلـــوب

كـــن كمـــا كـــان خالـــد فـــي جهـــاد

واشـــتر الخلـــد بالـــدم المســـكوب

مـــا حصـــون الـــبلاد إلا رجـــال

وهبـــوا الـــروح عنـــد كـــر الخطـــوب

- **والد أمل يحرض على الثورة**

يقول أنس: كان أبى منضمًا إلى حزب الوفد، رغم أن الأزهريين بصفة عامة كانوا يكرهون الوفد، لكن يبدو أن أبي كان مخالفًا للتيار، كما أن بذور التمرد كانت موجودة وظاهرة لدى الوالد أبو القاسم دنقل، وهو الذي أورثها لابنه أمل دنقل من بعده، فرغم انتماء أبى لأسرة من أعيان الصعيد وكان أعمامه وأبناء عمومته من بعده عمدًا للقرية وأعضاء في ديوان المديرية وأصحاب مزارع كبيرة وشركات عملاقة للنقل في الصعيد إلا أن انتماء أبي ومشاعره كانت دائمًا مع البسطاء في القرية والصعيد، وكان يخطب الجمعة في مسجد القرية محرضًا الناس على الثورة ورفض الخضوع والمذلة، كما كان أبي وهو العالم الديني الجليل والموظف الحكومي المرموق وقتها يترك ديوان العائلة ليجالس الفقراء في تجمعاتهم، محاولاً أن يوعيهم ويشجعهم على إلحاق أبنائهم بالمدارس مذللاً أمامهم الصعاب، كما كان أبى متفتحًا دينيًا.. كانت في قريتنا ولاتزال عائلة مسيحية كبيرة ومحترمة اسمها "عائلة بشارة"، كان أبي تحلو له المسامرة ولعب الطاولة في ديوان عائلة بشارة مع كبارها ويراسلهم من القاهرة شوقًا للقائهم، لم يكن أبو القاسم دنقل شيخًا بالمعنى التقليدي، ولو تكلمت فالحديث سيطول. وعندما توفى أبي عام ١٩٥٠ ولم يكمل عامه الواحد والأربعين برز دور الأم الأرملة الشابة التي لم تكمل بعد أعوامها الثلاثين لتكمل المسيرة من بعده.

▪ والدته تقرأ ابن الفارض

كانت أمي تحفظ القرآن الكريم، وتولى أبى تعليمها قراءة الشعر وتذوقه وقراءة الجرائد والمجلات السيارة وتثقيفها ثقافة أدبية وعصرية تتجاوز بها خريجي كليات هذه الأيام، فأمنا تحفظ شعر المتنبي وشوقي وابن الفارض، وتقرأ أشعار أمل دنقل؛ بل وصلاح عبد الصبور وحجازي وتعجب بهما.. ربما هذه البيئة التي نشأ فيها دنقل هي التي دفعت الصديق الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي أن يقول عنا إننا نمثل الجناح المثقف المستنير في عائلة "دنقل" الكبيرة.

بمناسبة الحديث عن الأم، أتذكر عام ١٩٥٤؛ وكنت في الخامسة من عمري عندما اصطحبني أمل ومعه زميل دراسته الثانوية الفتى عبدالرحمن الأبنودي إلى السينما لنشاهد فيلمًا لعبد الحليم حافظ - على ما أذكر - عندما شاهدتهما لأول مرة يدخنان داخل دار العرض في الظلام، ولم يكن غريبًا على طفل أحمق مثلي أن يسارع ليخبر أمه بهذه الفعلة الشنيعة من وجهة نظري، لكن الغريب أن أمي ذهبت لأمل بمنتهى الهدوء ووقفت بجوار رأسه وهو مستلقى على سريره وقالت: أمل إن كنت تعتقد أن التدخين عيب فلا تدخن إطلاقًا؛ أما إذا كنت مقتنعًا بما تفعل فلا تخجل وافعله أمام الجميع. كانت أمي تربينا على أن تكون حياتنا تحت الشمس بلا شيء يستحق الخجل أو المواراة، وأن تكون تصرفاتنا مدعاة لفخرنا وليست لانكسارنا، لهذا كان أمل هو الصبي الوحيد في العائلة الذي يدخن في جراءة أمام الجميع - كانوا يسمونها أيامها ومازالوا وقاحة منقطعة النظير -.

تلك هي أمنا السيدة البسيطة ابنة قرية العويضات المجاورة لقريتنا القلعة مركز قفط.

إذن لم يكن انتقال أمل للإقامة في القاهرة هو السبب لاتجاهه اليساري وإيمانه بالتغيير من خلال الثورة واستبكاء السياسة في أشعاره، كانت هناك أرضية في نشأته وتربيته وقف عليها .. فقد كان أبوه – كما ذكر أنس– محرضًا على الثورة ضد تعسف الحكومة واستيلابها لحقوق الفلاحين.

ومن ذكريات أنس عن رحيل والدهما يقول:

(بعد وفاة أبي عام ١٩٥٠ كان أمل في العاشرة من عمره، وكنت في عامي الأول وشقيقتنا الوحيدة في عامها الرابع، وفي هذه السن المبكرة ارتدى أمل قناع الأب الأزهري الشاعر، وامتدت يده بقوة لتلتهم كل كتب والدي، وظل ثلاث أو أربع أو خمس سنوات متكاملة من القراءة المستمرة والمتواصلة والمنهجية والشاقة التي لا تحتمل أي وقت للمزاح أو الراحة.. كانت كتب الأزهر ومجلداته الصفراء وكتب التفاسير ومعاجم اللغة والكتب السماوية وكتب التراث والسير الشعبية وألفية بن مالك ودواوين الشعراء القدامى والمحدثين؛ هي غذاؤه اليومي، وكانت له رحمه الله ذاكرة حديدية لا أعرف لها مثيلاً حتى الآن. واعتلى أمل منبر مسجد قريتنا خطيبًا في الناس وكأنه أبونا يعود من جديد.

كان أمل في هذه الفترة المبكرة شديد التدين ومنتميًا إلى إحدى الطرق الصوفية، وهى الطريقة البرهامية؛ نسبة إلى العارف بالله سيدي إبراهيم الدسوقي،وهى طريقة كانت شديدة الانتشار في قريتنا،

لكن في مرحلة تالية اكتشف أمل التناقض بين ما يقوله الوعاظ فوق منابر المساجد وسلوكيات الناس وانفعالاتهم داخل المساجد وأفعالهم خارج المسجد، وله قصيدة ضاعت ولم ينشرها يصف فيها الناس عندما يسمعون خطبة الجمعة، تقول:

ونهمهم ونتمتم وغمغص

ثم الليمون في المسجد يرعص

وفى آخر القصيدة يقول عن الناس بعد خروجهم من المسجد:

ويعودون إلى كل الفعال الماضية

في حياة قاسية

فاتها الواعظ لم يذكر لظاها

فهي ليست في كتاب

بعد ذلك دخل أمل المدرسة الثانوية بقنا ملتحقًا بالقسم العلمي، بينما كان عبد الرحمن الأبنودي ومحمد صفاء عامر ومحمد سلامة آدم طلابًا في نفس المدرسة بالقسم الأدبي. وفى عام ١٩٥٦ ومصر تغلي بالأحداث الجسام كتب أمل دنقل قصيدة بعنوان "القتال العائد" مما دعا المدرسة لإرساله إلى رحلة في مدينة السويس، وألقى القصيدة أمام محافظ القنال وقتها المرحوم اللواء محمود طلعت الذي صافح الطالب محمد أمل فهيم وشد على يده مهنئًا.

وقبل أن أكمل حديثي أحب أن أشير إلى نقطة مهمة اختلف فيها كل من كتب عن سيرة أمل؛ وهو اسم أبي، هل هو أبو القاسم أم فهيم..

كان اسم أبي الرسمي في دفاتر المواليد أبو القاسم وشهرته في القرية فهيم، ولقد ولد أمل في ٢٣ يونيو ١٩٤٠ في قريتنا بينما كان والدي غائبًا في القاهرة يجتاز امتحان العالمية في الأزهر الشريف، وكان يسجل المواليد في القرى عمال التليفون بديوان العمدة؛ الذي أسرع بتسجيل اسم المولود محمد أمل فهيم، جاهلاً أن اسم أبي الرسمي هو أبو القاسم، ولعل هذا هو سر الخلط بين الكثيرين ممن كتبوا عن أمل دنقل.

والآن نعود إلى حديثنا السابق..

كان عام ١٩٥٦ عامًا حاسمًا لأمل، على المستوى الوطني والشخصي والشعري، ففيه بررزت شخصيته الشعرية الجديدة، محتضنة أحلام الوطن والناس والذات والآخرين، مما أدى لرسوبه في شهادة التوجيهية، أو ما يسمونها حاليًا الثانوية العامة، وفى العام التالي ١٩٥٧ حصل على الشهادة التوجيهية، وارتحل للقاهرة ليلتحق بالجامعة، لكن بدلاً من أن يتفرغ للدراسة اندفع للتجمعات الأدبية في أوج ازدهارها، ليحضر ندوات السحرتي وغنيمي هلال والدكتور مندور وغيرهم، من شيوخ النقد وقتها، ولينشر قصائده في مجلات صوت الشرق؛ التي كانت ولازالت تصدرها السفارة الهندية؛ وفى مجلة العالم العربي، حتى استطاع عام ١٩٦١ أن يصل ببعض قصائده للنشر في الملحق الأدبي لجريدة الأهرام التي كانت وقتها لا تنشر إلا لكبار الكتاب، فنشر قصيدة "مقتل القمر"، "والعار الذي نتقيه" وغيرهما. وفي عام ١٩٦٢ كانت لجنة الشعر بالمجلس الأعلى

للفنون والآداب يرأسها الأديب الكبير محمود عباس العقاد،ولا تعترف بالشعر الجديد، فكتب أمل دنقل قصيدة عمودية عنوانها "طفلتها" وتقدم بها لمسابقة المجلس الأعلى للفنون والآداب، ففازت كأحسن قصيدة لشاعر شاب دون الثلاثين، وألقاها أمل في مهرجان الشعر الرابع والذي عقد بالإسكندرية سنة ١٩٦٢ ولقيت استحسانًا كبيرًا من جمهور الشعر التقليدي، وبعدها عاد أمل دنقل لكتابة القصيدة بشكلها الجديد، وكتب قصائد عديدة منها "كلمات سبارتاكوس الأخيرة" و"العشاء الأخير" و"بطاقة كانت هنا"، والعديد من القصائد. بعدها انتابته نوبة من عدم الارتياح لعدم الإحساس بجدوى الكلمة في مجتمع يستمع لطنطنات الاتحاد الاشتراكي ولا يستمع لأصوات كتابه وأدبائه وشعرائه، فصمت أمل طويلاً مفكرًا بالانتحار، لكنه عاد بعد ذلك عام ١٩٦٥ قائلاً: "أنت إن سكت مت وإن نطقت مت فقلها ومت" وعاد ليكتب العديد من القصائد إضافة إلى قصائده السابقة، مثل قصيدة "حديث خاص معي إلى موسى الأشعري" و"الأرض والجرح الذي لا ينفتح" و"بطاقة سوداء"، وغيرها من القصائد التي نشرت بعد النكسة ضمن ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" واعتقد الكثيرون أن هذه القصائد مكتوبة بعد النكسة لكنها كانت قصائد تتنبأ بما حدث.

نكسة ١٩٦٧ لفتت الأنظار وبشدة، وفى كل التجمعات الأدبية والفكرية إلى شاعر اسمه أمل دنقل، ليتصدر قائمة الشعراء العرب الموهوبين المجددين .

وعن تأثير طفولة أمل دنقل على شخصيته الشعرية يقـول شـقيقه أنس:

عندما وُلد أمل كان أبي موظفًا كبيرًا، حيث كان المـدرس الثـانوي أيامها - في ظل انعدام التعليم- شخصية مرموقة تتقاضى راتبًا يسمح لها بمستوى معيشي لائق، وليس كمثل أيامنا هذه، إضافة لأن أبي له ميراث في الأرض الزراعية ورثه عن أبيه يدر عليه دخـلاً إضـافيًا معقولاً، لكن عندما توفى الأب سنة ١٩٥٠ كانت خدمته في الحكومة عشر سنوات لا تسمح لنا بتقاضي معاشًا شهريًا؛ حسب قوانين مـا قبل الثورة، وانقطع بذلك دخلنا الثابت في الوظيفة مكتفين بدخلنا في الأرض الزراعية.

لكن عام ١٩٥٢ عندما قامت الثورة وأصدرت قانون الإصلاح الزراعي الذي خفض القيمة الإيجارية للأراضي الزراعية وجعل من مستأجري الأراضي الزراعية أشباه ملاك يتحكمون في الأراضي ولا يملك أحـد فعليًا طردهم، حتى لو أخلوا بشروط العقد؛ وهـى شـروط مجحفـة بالملاك، بعدها ذقنا الأمرين من تصرفات المستأجرين، وهم بالمناسبة أعمامنا!! وبدأت تظهر المشاكل التي لا تنتهي في حياتنا، كان هؤلاء الأعمام في حياة أبي إخوته الذين يدللونا، لكنهم أصبحوا بعـد ذلـك سيف عذاب مسلطًا فوق رقابنا.

في تلك الأيام وقفت أمنا تدافع عن أطفالها وحيدة، تلك الأيـام هـي التي ولدت لدينا الإحساس باليتم والقهر والفجيعـة، والتفـرد عـن الآخرين، وعلمت القلب أن يحترس، وصنعتنا شخصيات متفردة عن

باقي الأسرة، وعلمتنا الاعتماد على النفس، وأن أفكارنا الذاتية وليست أفكار الجماعة أو أخلاقيات القطيع، هي التي ستقودنا لبر الأمان... لهذا، وفي هذه السن المبكرة أصبح أمل والدًا وإمامًا وخطيبًا وشاعرًا في سن ما دون المراهقة.

لقد كان أمل طفلاً رجلاً، لقد صنعت القسوة والقهر من أمل رجلاً وشاعرًا وإمامًا منذ طفولته.

وعن ذكريات الطفولة مع أمل يقول أنس:

عندما كنا أطفالاً كانت الحياة شديدة القسوة، ولا تحمل لنا أي لون من ألوان البهجة، كان أمل يأتي بحبال الليف ويصنع أنشوطة، ويربط فيها كرسي حمام صغيرًا، صانعًا أرجوحة جميلة في بئر سلم منزلنا، نتبادل عليها الركوب والضحكات الصاخبة، لكن هذا الطفل المرح الصغير سرعان ما يتحول كهلاً عجوزًا عندما يجالس الكبار.

أتذكر أن أحد أخوالي واسمه أبو الوفا صويني، وكان رئيسًا لنقابة عمال البترول ويساريًا يعيش في مدينة السويس، وعندما يأتي للصعيد يجلس في بيتنا مع أبناء عمه، الأستاذ أحمد شوقي وهو قيادي إخواني وأحد ضحايا المعتقلات، ومعهما شقيقه الثاني واسمه الحاج عبد العزيز شوقي، وكان ناصريًا متحمسًا، وأصبح بعد ذلك عضوًا في مجلس الأمة، وبعد أن يتركهم أمل يتجادلون ينازلهم وهو الصبي الصغير رافضًا كل هذه الأفكار، فبالنسبة لليسار يقول أمل: إن الاتحاد السوفيتي صنع من روسيا سجنًا كبيرًا، أما بالنسبة للإخوان فكان يقول إنهم باسم الدين يخططون ليصنعوا ديكتاتورية كريمة، أما

بالنسبة للناصريين فقد كان أمل يرفض وبشدة حكم العسكر.. ولأمل دنقل مسرحية مبكرة يهاجم فيها الأنظمة العسكرية الشمولية، وقد سلمتها مؤخرًا للدكتور جابر عصفور أمين المجلس الأعلى للثقافة ليتولى نشرها ضمن أعمال أمل دنقل المبكرة.

لقد كان أمل منذ صباه ليبراليًا متحررًا يرفض وبشدة كل أنواع القهر، مؤمنًا بأن حرية الكلمة والفكر هي الطريق الأمثل للوصول إلى بر الأمان.. هذه هي صورة أمل في صباه.

أما الذكرى الأخرى فكانت عام ١٩٧٢ في القاهرة.. كان أمل يعاني أشد العناء من حصار إعلامي وثقافي ومادي، ويعيش أشد أنواع الفقر وعدم الاستقرار، عندما شاهدته يلبس حذاءه بورقة بيضاء مقواة مصقولة، فسارعت بقراءتها فوجدتها خطاب دعوة مفتوحة للإقامة وتقاضى راتب مغرى جدًا من إحدى الدول العربية المجاورة التي كانت ولاتزال تدعى الثورية، وعندما طلبت منه أن يستجيب فهذه الدعوة التي جاءت في أوانها، نظر إليّ نظرة استنكار لا أنساها ما حييت قائلاً: هل تريد لأخيك أن يبيع نفسه؟ إنهم كذابون وجهلة وأفاقون، من يقل أنهم حريصون على شرف الكلمة أو شرف الشعراء؟... قلت: ستخسر نفسك وصحتك ومستقبلك عندها، قال ليّ كلمة غريبة، قال: عندما أنتصر لوطنيتي ومبادئي فأنا أنتصر لنفسي، إن من تراهم الآن على الساحة بارزين ستتكس الأيام شعرهم، وستبقى كلمتي، حتى لو جعت أو تعريت...

وقد أثبتت ليّ الأيام صدق نبوعته دائمًا.

يكتب أمل دنقل لأمه الساكنة في جنوب مصر:

والدتي العزيزة

أرجو أن تكوني بخير، كما أنا كذلك.. أعرفك أن صحتي الآن كويسة وفي تقدم، وقد انتهيت اليوم من فترة العلاج الثانية، وباقي فترتين في خلال الشهرين القادمين. والحمد لله. هناك تحسن كبير -كما أنني آكل وأشرب عادى والحمد لله.

وصلت أحلام وأبو السعود ومعهما أنس الثاني، كما وصل أمس رفعت جاد الكريم -وأرجو ألا تتعبي نفسك بالسفر - يعني على مهلك لأنه لسه قدامي فترة في المستشفى يمكنك الحضور فيها.

تبليغ سلامي لك ولرشدي أبو الصفا وللجميع، كما أرجو تبليغ سلامي للحاجة نعيمة محارب، ومن هنا تهديك عبلة السلام.

- رشدي أبو الصفاء: صديق والد أمل.. ونعيمه محارب إحدى الأقارب، أما أحلام فهي شقيقته وأبو السعود زوجها وأنس ابنهما الذي سمي على أنس شقيق أمل.

وهو يكتب لشقيقته أحلام:

عزيزتي أحلام

تحيتي وسلامي وأشواقي الكثيرة لك خاصة ولوالدتي العزيزة التي اشتقت كثيرًا لرؤيتها، وكذلك للمعلم أنس الذي تصلني عنه أبناء متضاربة من أنه يذاكر ثانوية عامة من تاني، ولا أعرف الحقيقة حتى الآن لأن حافظ أبو الحسن أخبرني أنه يذاكر الثانوية في البلد، ومجلي أمين أخبرني أنه كان يذاكر للكلية.

بشأن أخباري، فأظن أنها تصلكم، وتعرفون أنى عنيت في وزارة الثقافة في الثقافة الجماهيرية بمرتب ٣٠ جنيه في الشهر. وأخذت شقة. قال لكم عنها حافظ أبو الحسن أكيد.. لأنه زارنى فيها مرتين وبات عندي، وكذلك زعيم أبو الصفا الذي طردته بعد الزيارة الأولى لأنني انزعجت من تفتيشه في الأوراق. ولكن هذا الشهر سوف أصل إلى شقة جديدة في مصر الجديدة عبارة عن ٤ غرف وصالة، وإيجارها ٧ جنيه في الشهر. وأرجو أن أوفق إلى فرشها حتى تستطيعوا زيارتي والإقامة فيها بإذن الله.

من جهة أخرى خالي أبو الوفا مريض جدًا وموهوم جدًا من المرض رغم أنه يسكن أمامي على الناحية الأخرى من النيل، فإنني زرته مرتين في مرضه ثم كسلت بعد ذلك وقررت أن أعتذر له عن ذهابي له بأنني كنت مسافر، لكن لسوء الحظ كنت راكب مرة المكيروباص (أتوبيس صغير) الذي يمر أمام منزله.. فوجدت في الميكروباص نسيبه السيد إبراهيم عبد اللاه، وطبعًا زمانه راح قال له وزعل مني

خصوصًا إنه كان معي بنت بنتفسح سوا.. وحيقولك الولد البايظ بيتمرقع مع البنات وسايب خاله عيان ولا سألشي فيه. المهم أنا مؤجل المواجهة لأقصى مدة ممكنة، وربنا يستر.

من جهة أحمد (ع) فأنا لا أقابله، ومن يوم ما قابلته في الأول ما أعرفش هوه فين دلوقت، إنما عرفت انه ساكن في الدقي، ولكن لا أعرف العنوان، وما عنديش أي معلومات عن موضوعه، وما الذي انتهى إليه الرأي فيه؟

على العموم أنا صحتي هذه الأيام بمب، وإن شاء الله سوف أسافر دمشق يوم السبت القادم لحضور مؤتمر الأدب العربي، وسوف أوافيكم بهدايا جيدة.

أما الأخ أنس فإذا كان يرغب في قضاء جزء من الأجازة يعني في القاهرة فأرجو أن يخبرني بخطاب قبل وصوله حتى أستطيع انتظاره، وسوف أعامله معاملة رقيقة والله، لأننى السنة الماضية اتنرفزت كتير عليه لأن ظروفي لم تكن على ما يرام، فليطمئن من هذه الناحية. وأنا أفضل له أن يأتي في أغسطس إذا كان هذا يوافقه.

أرجو إفادتي عن أخباركم جملة وتفصيلاً،وكذلك الخلافات مع أعمامي حول الأرض والإيجار.. وكيف تسير أموركم في هذه الأيام..

وسلامي كثيرًا إلى خالاتي وأخوالي وأولادهم فردًا فردًا..

وكذلك أعمامي وأولادهم. وللعلم الأخ سعد الشاذلي جاءني مع ابن خالته وشرب بيرة، وكان مبسوط من مصر والجيش. بس خايف من الملاح يبوظ الزرع (كما هو متوقع ومعروف).

من هنا يهديكم الجميع السلام خاصة حافظ أبو الحسن الذي أراه، ولا تنزعجوا عليّ إذا تأخرت في إرسال الخطابات فليس هناك أي مـانع غير الكسل الأزلي الذي لا أعرف كيف أتخلص منه؟ ولا تزعلوا مـن هذه العادة السيئة فيّ مع اعتذاري الدائم، وإن كنت سأحاول أن أكون على اتصال بكم بالخطابات في هذه الفترة حتى حضوري للبلـد بعـد عودتي من سوريا إن شاء الله.

مع خالص حبي وتقديري وتمنياتي لكم بالسعادة

أخوك المخلص

أمل

العنوان: ١٠٤ شارع قصر العيني -دار الأدباء

هذا شاعر حقيقي سكن آلاف الأبيات، لكنه لم يجد سكنًا يأويه أو على الأقل يراسله أهله عليه فكتب لهم في نهاية الخطاب عنوان دار الأدباء، وقد كتبها لأخته الكبيرة أحلام.. وهى تكشف وجه آخر وهام لأمل من خلال علاقته بأهله واقتراب كل منهما من الآخر.. كذلك حديثه عن أهله وخاصة خاله وكسله من زيارته وهو مريض ثم كيف ضُبط وهو يتمشى مع فتاة، وجرأة أمل في حديثه لأهله في "الصعيد" عن فسحة مع فتاة.

وقد توقع أمل أن يقرأ أحد الرسالة فأشار لشخص بحرف (ع) كي لا يعرف أحد من هو سوى شقيقته أحلام ووالدته.. وهو يعتذر عن عصبيته على شقيقه أنس - حين كان صغيرًا - وحين زاره في القاهرة، ويطلب أن يزوره في أغسطس.. وكذلك مشاكل أقاربه على الأرض التي تحدث عنها شقيقه أنس.

وهو يكتب لشقيقه هذا قائلاً:

أخي العزيز أنس
تحية طيبة وأشواق حارة
وصلني خطابك، وقد قررت أن تعودوا إلى قنا مادام الأمر لا يتعلق بتوفير مصاريف، أرسلت خطابين للحاج عبد الحليم، والحاج شاذلي، وإذا لم تسافروا أرسل لي خطابًا لأحضر إلى البلد لكي أسفركم.
اتصل بخالك الشاذلي واشرح له الموضوع لكي يوافق، واحصلوا على النقود من أي جهة حتى بالرهن، لازم تتعلم، والطين لا قيمة له.. المهم أن تتعلم أنت، بلغ والدتك أن رهن الطين - يقصد الأرض الزراعية - ليس مشكلة في سبيل أن تكمل تعليمك، حتى أحلام إذا كانت تريد تكملة تعليمها فلتذهب إلى المدرسة، وإن كنت أعتقد أنه لا لزوم لهذا لأنه لا فائدة منه، فهي لن تعمل، وفى الوقت نفسه، هي قد تعلمت حتى الآن ما يكفيها، وتوجيهي لازمة لمن تريد دخول جامعة.
أنا كتبت لعبد الحليم وأفهمته بوجوب ذهابكم إلى قنا. وسأطلب أنا نقلى إلى قنا علشان خاطركم، إذا لم يعطوكم فلوس علشان السفر، خلي الشاذلي خالي يرهن لكم أرض عند عبد النعيم أو أحمد علي.

وأنا مقدر ظروفكم في البلد، لكن هذا الأمر لا يحتمل لأن هؤلاء الناس حيوانات لا يصح أن يعيش معهم أحد. ولا يصح كذلك أن يقول الإنسان إنهم أقرباءه.

من جهة الملاح اشتمه، وفهمه بكده، وخلي الشاذلي خالك يكلم الشاذلي عمك علشان كده، وأنا قلت للشاذلي في الجواب بخصوص هذا الموضوع.

سلامي لوالدتك كثيرًا وأسألها أن تدعي لي .. وسلامي للجميع.

أمل دنقل

يا أقارب أمل لا تلوموه.. هو لم يخطئ.. أنا صعيدي مثلكم وأعرف قصص الطين (الأرض) وما يحدث عليها.. كما أن أمل لم يكن شخصًا ماديًا، كان شاعرًا اهتز طوب الأرض لشعره وعاش خالدًا وعرف الحياة وخبرها لذا فهو يطلب في الرسالة من أخيه ألا يهتم بالأرض وأن ترهن لأجل تعليمه لأن تعليم شقيقه أنس أهم من أي شيء في الحياة.

كما أن "الصعيدي" يظهر داخل أمل في قصة شقيقته أحلام التي لا يريد لها أن تكمل تعليمها لأنه يرى أنه لا فائدة منه لأنها لن تعمل في وظيفة، لأنها ستتزوج أحد أقاربها وتربي الأولاد.. وأمل محق وقتها، ذلك لأن البيئة والمناخ مختلف بالنسبة لعمل الفتاة هناك.. خاصة إذا كانت في قرية.

يكتب أمل لشقيقه أنس:

تحية وأشواقا كثيرة، وأرجو أن تكون أنت وأحلام ووالدتي العزيزة بخير، كما نتمنى لكم ذلك على الدوام.

أبلغني الحاج عبد الحليم نبأ نجاحك. ألف مبروك يا بطل، وقد فكرت أن أشترى لك ساعة هدية. ولكن الحاج عبد الحليم أخبرني أنك متضايق في البلد وعايز تتفسح. لذا أرسل إليك مع أبو السعود مبلغ خمسة جنيهات أجرة سكة إذا أردت أن تحضر إلى السويس، أو تشتري لك ساعة في البلد. وأنا أعتقد أنك ستحضر للفسحة.

المهم إذا حضرت بطريق القاهرة فيجب أن تكون مع أحد حتى تتمكن من التغيير إلى كوبري الليمون في القاهرة حتى لا تتوه...

في كلتا الحالتين احضر بطريق القطار، وانزل في محطة الوراق واسأل أي واحد عن مبنى السنترال (التلغراف) واسأل عني........

باقي الرسالة غير واضح، لكنها تكشف حميمية أمل وطيبته وحنيته، عكس ما كان يقال عن عنفه مع الناس.

▪ إنها مرحلة الآم أمل دنقل

الشاعر العبقري الجريح، المهزوم، المهموم بأمته ووطنه، الباكي على الوطن الضائع أمام أعيننا؛ بينما نحن نشرب نخبه.. وخلف كل هذه العذابات والهموم كانت تختفي هموم عائلية أخرى، يطرحها أمل في رسائله لأمه وأخيه.

وحين وقعت عيناي على خط أمل، أحسست بآلام هذا الشاعر الكبير..

يقول أنس : فترة مرض أمل دنقل فترة قاسية لا أحب أن أذكرها، لكن لدي رسالة من أمل دنقل من أربع صفحات أرسلها ليّ عندما كنت أعمل خارج مصر أيامها؛ يشرح فيها تطورات مرضه.

وقد أعطاني أنس الرسالة، وراحت عيناى تمران على خط أمل دنقل.. رسالة ومازالت تحتفظ بآلامها وعذاب صاحبها وحميميتها.. يصدمك خط أمل في أعلى الصفحة وقد نسي فكتب "عنوان المستشفى: القاهرة - شارع قصر العيني - معهد السرطان - الدور السابع - غرفة ٨ - محمد أمل دنقل.

ويكتب أمل :

القاهرة ١٩٨٢/٦/١٧

أخي الحبيب أنس

تحيتي وأشواقي وسلامي..

أرسل لك هذه الرسالة لكي تطمئن تمامًا من جهتي. فقد وصلتني رسالتك الأولى التي أخبرتني فيها بتركك للعمل وعودتك إليه، ولقائك

مع مطر، وقد جاءتني هذه الرسالة وأنا في الأيام الأولى لوجودي بالمستشفى، لأنني دخلت إليه يوم ١٩٨٢/٣/٨، وقد فضلت منذ البداية عدم إخبارك حتى لا تنشغل. وعندما قيل لي إنك أرسلت رسائل للكثيرين كلفت أبو السعود وأحلام بالرد عليك وطمأنتك. وأخيرًا وصلني خطاب علي عبلة.. واليوم حضر إلي رفعت أمين ومعه خطاب منك وأمر بدفع فلوس لي..

فاسمع يا سيدى الحكاية من البداية للنهاية:

١- منذ شهر نوفمبر ١٩٨١ وأنا أعاني من آلام في الساق اليسرى (الفخذ) وعند ذهابي للدكتور أكد أنه مجرد "انسداد ليمفاوي" أي انسداد في الأوعية الليمفاوية نتيجة للعمليات الجراحية.. وأعطاني بعض المسكنات.

٢- مع ازدياد الألم في الفخذ، الذي وصل إلى حد أنني لم أكن أستطع السير أكثر من عشرة أمتار دون الوقوف والراحة، ذهبت إلى عدة أطباء صرفوا لي علاجات مختلفة لم تغن شيئًا.

٣- في أول مارس ذهبت إلى د. إسماعيل السباعي.. وهو الجراح الذي أجرى لي العمليتين، فأخبرني بأن كل هؤلاء الأطباء جهلة، وأن هناك ورمًا سرطانيًا في البطن (أي في الغدة الليمفاوية بمنطقة البطن وليس في البطن ذاتها) وأن هذا الورم هو الذي يضغط على أحد الأعصاب فيتسبب في الآلام الرهيبة في الساق.. وأوصاني بدخول معهد السرطان حتى أتلقى العلاج العلمي الصحيح على حد قوله..

٤- دخلت المعهد -والحقيقة أني لاقيت اهتمامًا فائقًا من هيئة الأطباء فيه، وتقرر أن تجرى لي جلسة واحدة مكثفة بأشعة الكوبالت على المنطقة المصابة- وهى جلسة شديدة لأنها استغرقت ٤٠ دقيقة. ومع ذلك فقد تمت بنجاح (لأنها كانت المرة الأولى التي يجرى تجربتها في الشرق الأوسط).

٥- بعد ٣٦ ساعة خفت الآلام إلى حدٍ كبير.. ولكن التحسن في الأورام لم يكن مرضيًا للأطباء، مما جعلهم يشكون في صحة التشخيص الأول لنوع الورم الذي أعالج منه. وهذا التشخيص مفروض أنه دقيق جدًا لأنه يتم بفحص باثولوجي (ميكروسكوبي) على عينة مأخوذة من الورم نفسه، وقد شك الأطباء في كفاءة هذا التشخيص فأجروا تحليلاً آخر فثبت أن التشخيص الأول صحيح لكنه يضاف إليه نوع آخر من الورم بسيط لكنه مختلف ويتسبب في عودة الأورام مرة ثانية مثلما حدث قبل العملية الجراحية الثانية وكما حدث هذه المرة، وبلغة علمية مبسطة فالورم الأول من نوع سيمينوما، والثاني من نوع تراثوما، والفارق بين الاثنين: أن الأول يستجيب ويشفى بالأشعة أولاً ثم يستكمل العلاج بالعقاقير، أما الثاني فإنه ينتقل في الجسم عن طريق الدم، ولذلك يعالج أولاً بالعقاقير الكيميائية ثم ينظف بعد ذلك بالأشعة.

٦- في هذه الفترة كنت في قلق بالغ لأن أهم شيء في المرض دقة التشخيص، وعندما ظهرت هذه النتيجة كانت هناك إجراءات لسفري إلى نيويورك لكي أعالج هناك، لكن الطبيب الذي يتولى الآن علاجي

بالعقاقير الكيماوية واسمه الدكتور محمد رضا حمزة كان حاسمًا، فأخبرني أن نفس العقار الذي سوف يعطى لي في أمريكا هو نفسه الذي سوف يعطى لي في مصر، وأكد لي أنه يستطيع السيطرة على العلاج وعلى الحالة.

٧- قررت أن أستمر في العلاج في القاهرة ونظامه كالآتى:

أ- حقن في الوريد مع جلوكوز لمدة خمسة أيام متتالية.

ب- فترة راحة لمدة ٢١ يومًا بعد انتظار فترة العلاج.

ج- يكرر هذا العلاج أربع مرات.

د- ينظر بعد ذلك - على ضوء التحاليل - في تغيير نوع العقار.

٨- الآن انتهى الكورس الثالث من العلاج، وحالتي في تحسن شديد جدًا. وبقي الكورس الرابع الذي يحين موعده أول يوليو، وأنا هنا في المعهد في غرفة خاصة استقبل يوميًا جميع الزوار.كما أن والدتك حضرت هنا مرتين.. وهي هذه الأيام هنا معي ومعها سحر أبو السعود ورشدي أبو الصفا، وقد يسافرون خلال يومين.

٩- مشكلة الفلوس لم تعد مشكلة فعلاجي يتم على نفقة الدولة كاملا كما أنني معي فلوس كثيرة تكفي لعلاجي في حالة تخلي الدولة عني، ولذلك اسمح لي أن أرفض الألف دولار التي أرسلت إليَّ لأنني لست في حاجة إليها.

ختامًا.. أرجو أن تطمئن اطمئنانًا كاملاً.. وعندما تحضر في إجازتك سوف ترى كل كلمة قلتها لك صحيحة، وأن المسألة مسألة وقت، لأن فترات الراحة خلال العلاج هي التي تستنفذ الوقت، بس المهم أن

العلاج ماشي، وأنا مبسوط جدًا في المستشفى .. وأنزل أحيانًا كثيرًا للنزهة.

من هنا والدتك تهديك السلام كثيرًا، وكذلك الآنسة سحر، ورشـدي.. وقد كان عندي هنا الأسبوع الماضي "أنس الثاني" وهو ولـد جميـل جدًا.. كما أن عبلة ووالدتها ووالدها يهدونك أرق التحيات..
واسلم لأخيك".

ما زال أمل دنقل صعيديًا حتى النهاية في كتابة رسائله، فهو يهـدي السلام في نهاية الخطاب إلى الجميع، كعادتنا في الصعيد، وقد أرسل هذا الخطاب لأخيه أنس الذي كان يعمل في العراق وقتهـا.. وعلـم بمرض أخيه وحزن وقلق كثيرًا وطلب من أمل ألا يكذب عليـه وأن يذكر له التفاصيل كاملة، وأخبر أخاه أنه لا يحتاج إلى الألـف دولار التي أرسلها له من العراق..
وتكشف الرسالة أيضًا صلابة أمل دنقل وتفهمـه لحقيقـة مرضـه ولطريقة علاجه وتركيزه في فهم حالته طبيًا كما قرأنا.

وأمل كأي إنسان يخاف أن يقلق أمه وأهله عمومًا عليه، لذا لم يشأ في البداية أن يخبرهم بحقيقة مرضه، كما أن المسافة بـين قريتـه القلعة والقاهرة كبيرة - حوالي ٧٠٠ كيلومتر جنوب مصر - لذا كتب لأمه في ١٩٨١/١٢/١٦ هذه الرسالة، بعد أن نشرت الصحف خبـر مرضه:

والدتي العزيزة

أرجو أن تصلك هذه الرسالة مع الدكتور عبد المنعم وأنت في أتم صحة وعافية.. ومن جهة صحتي فأرجو أن تكوني مطمئنة جدًا والحمد لله.. لقد كان عندي ألم في الساق اليسرى نتيجة انسداد في العروق، وذهبت إلى الدكتور وعملت أشعة وطلعت النتيجة سليمة، وهى حالة تأتي عادة بعد العمليات وتذهب مع مرور الزمن.. ولكنها تتعبني الآن لأني لا أستطيع المشي مدة طويلة.

أنس منذ شهر لم يرسل لي خطابات، وآخر خطاب أرسله كان مع أحد زملائه وهو بخير ويهديك السلام أنتِ وأحلام وأولادها، وسوف أرسل إليه خطابًا قريبًا أستفسر عن أحواله لأني أريد أن أرسل إليه جاكتات للشتاء، وسوف أشتريها له من هنا لأن البضاعة هناك مش قد المقام..(!!)

أخبرني عبد المنعم وعصمت عبد الحليم أنك تعبت نفسك وبنيت دورة مياه فوق، ويا ستي متشكرين جدًا على تعبك، وإن شاء الله سوف أحضر أنا لزيارتك ويمكن أكون وحدي لأن عبلة عندها شغل أولاً، وثانيا هي مشغولة بتأثيث شقة جديدة في الهرم، وهي شقة صغيرة من غرفتين لكنها جديدة ونظيفة وإن شاء الله ننتقل إليها بعد شهر عندما يخلص العفش والفرش.

أرجو أن تطمنيني على أحلام وأولادها وسلامي إلى أبو السعود كثيرا.

وأرجو إذا احتجت إلى أي شيء أن ترسلي لي مع أي أحد..

وسلامي للجميع ومن هنا تهديك عبلة كثير السلام، وهى تسأل عن صحتك دائمًا. ابنك أمل

وواضح من الرسالة حنو أمل على إخوته واهتمامه بهم، فهو يخشى على أخيه أنس من البرد فيريد شراء جاكتات له، ويرسلها لـــه فـــي الكويت، مثلما حكى أنس عن حلوله مكان الأب بعد رحيله، ثم هـــو يطمئن أمه حتى لا تقلق عليه، ولم يكن المرض اللعين قد تمكن منه، فقد اكتشفه في مارس عندما ذهب للدكتور إسماعيل السباعي الـــذي أخبره أن لديه ورمًا سرطانيًا في البطن.

وتعالوا نرى الشاعر العظيم أمل دنقل في رسالة كتبها لأخيـــه أنـــس قبل إصابته بالسرطان.. حيث كتبها يوم الجمعة ١٩٨٠/٩/٥، وكمـــا كتب عنوان معهد السرطان أعلى الصفحة بعد ذلك، كتـــب عنوانـــه أعلى الصفحة في هذه الرسالة " ١٣ شارع الطبـــري - روكســـي - مصر الجديدة - شقة ١ أو شقة ٥ - تليفون ٨٧٢٣٣٦ ..
ويبدو أن هذا عنوان عبلة الرويني، وأرسلها إلى أنس، حيـــث كـــان يعمل في بغداد هذه المرة:

عزيزي الأخ الحبيب أنس

تحيتي وأشواقي وسلامي ..

أرجو أن تعذرني إذا كنت أكتب لك على هذا الورق.. لأنـــي لا أجـــد غيره أمامي الآن.. الساعة الآن الخامسة صباحا، وقد أعدت قـــراءة رسالتك الأخيرة لي. إنني أدرك أنك تريد التخفيف عني، وأن تفهمني أنك مستريح في هذه الغربة القاسية، الأمر يا عزيزي أنس أبسط من هذا بكثير.. كل مكان تعيش فيه لابد أن تشعر فيه بالضيق والملل.. القاهرة مثلاً.. باريس الشرق الأوسط كما يسمونها. هل تصدق أنـــي

أشعر فيها بالملل والضيق المستمر، لدرجة أنني عندما أخرج للتنزه لا أجد مكانًا أذهب إليه، لا تصدق أن المسألة مسألة مكان أو مسألة فلوس.. الراحة تأتي من الداخل، وبما أن هذا "الداخل" لا يمكـن أن يتواءم مع "الخارج" فلابد أن تعيش النفس في غربة مستمرة، أحيانًا نعلق أحزان غربتنا على شماعة المكان.. لكن الحقيقة أن الـروح لا تستريح أبدًا.. لأن ظمأ الروح لا يرويه نهر.. سواء كان هذا النصر هو النيل أو الفرات.

الآن لا توجد مشاكل بالنسبة لي، تركت اللوكاندة في شـارع فـؤاد، واستأجرت شقة مفروشة في نفس العمارة التي تقيم بها حمـاتي.. هناك بعض الصعوبات في استمراري بهذه الشقة، لأن صاحب العمارة يريدها لنفسه.. وصاحبتها سيدة يونانية تعيش في اليونان، وتـأتي إلى القاهرة كل ٦ شهور لكي تقبض الإيجار.. لكن كل هذه الصعوبات لا تمثل مشكلة حقيقة بالنسبة لي، سوف أسكن في أي مكان وفى أي شقة، وهذه عقبة كبيرة في القاهرة لأن الخلوات (يقصد خلو الرجل) بلغت حدًا غير معقول، مثلاً هذه الشقة أو غيرها في مصر الجديـدة خلوها يتراوح بين ٨ - ١٠ آلاف جنيه، ولست مجنونًا لكي أدفع هذا المبلغ، حتى لو توفر لي، لأنه عندما أدفع ١٠ آلاف في شقة فـبكم أؤثثها.. أي كم أدفع ثمنًا للأثاث الذي سوف أضعه فيها.

يا أخي أنس، المفروش هو أحسن الحلول.. لأن الإيجارات العاديـة الآن في شقة ثلاث غرف هي بين ٤٠، ٧٠ جنيهًا في الشهر.

المهم لا تشغل بالك بهذه المشكلة لأنها مشكلة ميئوس منها، لـيس بالنسبة لي فقط، ولكن بالنسبة للجميع .

اشتريت لك جاكت بـــ ٣١ جنيه

على فكرة صديقك إسماعيل هذا شخص في غاية التهذيب.. وقد جاء المرة الأولى فلم أكن موجــودًا، واســـتقبلته عبلـــة يـــوم الأربعـــاء ١٩٨٠/٨/٢٧ ووعدها بأن يمر مرة أخرى يوم الأحد ٨/٣١، ولكنني انتظرته فلم يحضر، وكلمته يوم الثلاثاء، فواعدني على الحضور يوم الخميس ٩/٤، وفعلاً حضر.. واعتذر عن الموعد السابق لأنه كـــان في ميت غمر.. ونزلنا سويًا في هذا اليوم لنشتري لـــك الملابـــس.. لعلمك لم أرض أن أشتري لك بلوفرات.. لأنه:

١ - لا توجد بلوفرات شتوية، في الصيف الآن.

٢ - لو وجدت لك بلوفرات في أي محل فسوف تكون مخزونة، وربما لا تكون جيدة، أي قابلة للعتة بسرعة، ولهذا اشتريت لـــك عـــدد ٢ جاكت أحدهما جلد طبيعي والآخر شمواه، والجلد الطبيعـــي نســـخة مكررة من جاكتتي الجلدية السوداء، أما الشمواه الخضراء فهي شبه سويتر لكنها أنيقة إلى درجة أني سوف اشتري لنفسي واحدة مثلها.

المقاس الذي أحضرته لك هو ٥٤، وأرجو أن يناسبك، وتبقى مصيبة لو أن هذا المقاس لم يكن ملائمًا لك، فأرجو أن تطمئني على هذا.

وسعر الجاكتين ٦٢ جنيها، أي بواقع ٣١ جنيها لكل واحدة منهما .. وإذا احتجت إلى بلوفرات فأرسل لي مقاس الذراعين وعرض الكتاف وطول البلوفر لكي يتسنى لي أن أرسل لك في الشتاء عدد ٢ بلـــوفر صناعة يدوية (صوف إنجليزي) مع أحد المسافرين إلى بغداد وهـــم

موجودون في القاهرة ليس بكثرة، لكن بنسبة تسمح لـــي بإرســـال البلوفرين معهم.

احتفظت بصورك للذكرى

بالنسبة لوالدتك فهي في صحة جيدة.. وقد عملت عمرة للبيت - بلاط وأسمنت وخلافه - بالفلوس التي أرسلتها لها - ولا أعرف مقدارها، وقد أخبرتك أنها كانت عندي هنا في القاهرة هي وأحلام وأولادها مع أبي السعود للاطمئنان عليّ (لأنها عرفت مؤخرًا أني عملت العملية) وقد نزلوا معي في اللوكاندة - حيث كنت ساكنا أيامهـــا - وأمضـــوا أسبوعًا في مصر تفسحوا فيه، وكانت في غاية الانشراح لولا قلقهـــا الدائم على غربتك المزعومة، لأني لا أعتبر أنك في غربـــة.. فقـــد تكون غربتك مع موظفي التأمينات في قنا أشد..

المهم، هي الآن في أتم صحة، وبالصدفة أن أبو السعود في القاهرة هذه الأيام لدورة تدريبية تبع الشركة، وقد أعطيته الجلابية والطرحة اللتين أرسلتهما لها، كما أنني أعطيته الصور الملونة الجميلة التـــي أرسلتها مع إسماعيل لكي يعطيها لأمك ولأحـــلام (شـــقيقة أمـــل).. واحتفظت منهما بثلاث صور للذكرى.. وبهذه المناسبة أرسلت لك مع إسماعيل صورتين إحداهما لي والأخرى لي ولعبلة لكي يكونا عنـــدك للذكرى.. ينفع يا عم؟

- **حالتي مثل شاه إيران**

من جهة المرض لا يوجد جديد.. فقد عملت ما علي، وبذل الأطباء ما عليهم.. أما مضاعفات المرض المستقبلة - إن وجدت - فلا يعلم بها إلا الله، المهم أنه لا يوجد علاج لم آخذه، وحتى الآن أتعاطى "علاجًا كيميائيًا" عبارة عن ٥ حقن كل شهر لمدة ٦ شهور، ومضى منهم شهران، لمقاومة نمو الخلايا.. وهناك احتمال كبير أن أسافر إلى موسكو لإجراء فحوص طبية للاطمئنان.. ولو أن علاج السرطان في مصر متقدم إلى حد كبير.. المهم أن الحالة لم تكن سرطانًا في الدم كما توهم الدكاترة في بداية الأمر، وإنما هو ورم ليفي أو ورم في الغدد الليمفاوية، وبالتالي هو سرطان متوسط يمكن علاجه والسيطرة عليه، وبالمناسبة يا أنس بك هذه الحالة هي نفس الحالة التي كانت عند شاه إيران، لكن شاه إيران كانت مناعة جسمه أقل.. كما أن الجراح الأمريكي د. ديبكي يقال إنه "لط" أي مس البنكرياس أثناء استئصال الطحال، وقد كانت ضجة ونقاشًا حادًا بينه وبين الأطباء المصريين في مستشفى المعادى، وهناك من يقول إن أمريكا أرادت التخلص من وجود الشاه بواسطة هذا الجراح لكي تستطيع التفاوض في مسألة الرهائن.. المهم أن الشاه لو ترك لرعاية الأطباء المصريين فقط لربما كان ينعم بصحة جيدة الآن.. لكن الله.. والولايات المتحدة، لا يريدان إطالة عمره.

- **سأصدر ديوانًا بخط يدي**

الورق الذي أكتب لك عليه تجد على ظهره بعض الأبيات المشطوبة، وهو ورق قابل للتصوير، لأني سوف أصدر ديوانًا في "روز اليوسف" الكتاب الذهبي بخط يدي، وهذا الورق مسودة لبعض الصفحات التي استغنيت عنها، فأرجو أن لا تزعل، لأنه لا يوجد ورق أمامي الآن، أو أنني في حالة نفسية لا تسمح لي بالبحث عن ورق أبيض جديد.. لأن الكلام سوف يطير من دماغي.. آسف مرة أخرى لأنني أكتب لك على هذا الورق، وبهذا الخط الرديء، وأرجو ألا تضع تكليفًا بيننا..

- **معي ١٥٠٠ جنيه وليس علي ديون**

من جهة الفلوس فإن معي حتى الآن حوالي ١٥٠٠.. ألف وخمسمائة جنيه، وهو مبلغ لا يشتري عربية ولا خلو شقة، لكنه مبلغ والسلام، وأريد أن أطمئنك أن أحوالي المادية جيدة جدًا بعد مرحلة المرض - ليس علي أي ديون من أي نوع باستثناء فلوس أحمد أبو الوفا، وأرجو الله أن يمكنني من سدها لك أو عدم سدها، سيان لأن المسألة بيننا ما تفرقش.. لكن الحمد لله الآن إيرادي وإيراد عبلة يغطى ثلاثة أضعاف مصاريفنا الشهرية، ولذلك صرفت النظر عن السفر إلى أي بلد عربي لأن ما أكسبه حاليًا قد يكون أقل قليلاً من المبلغ الذي سوف أكسبه في أي بلد.. لكن الفارق في الدخل يغطيه أنني هنا في مصر وأن زوجتي لا تضطر إلى ترك عملها وأخذ إجازة، بالإضافة إلى مباشرة العلاج المستمر في مصر، وهي هامة في الفترة الماضية.

وتكشف الرسالة كبرياء أمل، فرغم حاجته الشديدة للمال إلا أنه يخبر أخاه أنه بحالة جيدة ومبسوط وهو "إنني أول الفقراء الذي يعيشون مغتربين، يموتون محتسبين لدى العزاء".
لقد رفض بكل كبرياء قرار العلاج الذي أصدره وزير الثقافة عبد الحميد رضوان لكي يعالج بمستشفيات التأمين الصحي بالدرجة الثانية ورفض الألف دولار التي أرسلها له أخوه من العراق، وباع جزءًا من أرضه في بلدهم، وغير حقيقي أن الدولة عالجته على نفقتها، لكنه كان يخبر أخاه بذلك حتى لا يضغط عليه ويأخذ منه مالاً لعلاجه.
إنه شاعر لم يصدق نهر النيل أنه شرب منه ذات يوم، ولا صدقت أرض مصر أنه داسها، لأنه غير كل شعراء الدنيا..

بسم الله الرحمن الرحيم

والدتي العزيزة

أرجو أن تكوني بخير كما أنا كذلك ..

أطمئنك أن صحتي الآن كويسة وفي تقدم

وقد انتهيت اليوم من فترة العلاج الثانية

وباقي فترتين في خلال الشهرين القادمين .والحمد

لله هناك تحسن كبير - كما أنني آكل وأشرب

عادي والحمد لله.

وصلت احلام وابو السعود ومعهما أمس الثاني ،

كما وصل أمس رفعت جاد الكريم . وأرجو ألا تتعبي

نفسك بالسفر - نظراً على ما يظهر أنه لسه

قدامي فترة في المستشفى يمكنك الحضور فيها

سلامي لك ولرشدي ابو العلا والجميع كما أرجو

تبليغ سلامي الحاجة نعيمة من ... ومن هنا ... قبلة السلام

القاهرة في ٦/١٢/١٩٨١

والدي العزيز

أرجو أن تصلك هذه الرسالة مع الدكتور عبد المنعم وأنت في أتم صحة وعافية [illegible] وأرجو أن تكون [illegible]

الله. لقد كانت [illegible] في [illegible] في

[illegible] وذهبت إلى [illegible] الجمعة

[illegible] وهي حالة [illegible] وتذهب مع [illegible]

[illegible] ولكن [illegible] تستطيع المشي [illegible]

[illegible]

أمس [illegible]

[illegible] الله [illegible]

وأولادها [illegible]

[illegible] أن أرسل إليه [illegible]

[illegible] المقام

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] اليوم [illegible]

[illegible]

[illegible] المنشورة [illegible]

[illegible] وأولادها [illegible] إلى

[illegible]

وأرجو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ابنك

أمين

[illegible] أصلان

تحية وسلام وأشواق حقيقية لك خاصة وللوالدة العزيزة التي اشتقت

لها كثيراً. وكذلك للعم [illegible] الذي تحدثت عنه أثناء [illegible] عن أنه

بحالة [illegible] عادية [illegible] ولا أعرف الحقيقة حتى الآن لأنه [illegible]

[illegible] أنه [illegible] الثانوية [illegible] أصدقائه [illegible]

بشأن أصدقائي [illegible] ، [illegible] في وزارة الثقافة في

الثقافة الجماهيرية [illegible] ، [illegible] . وأعرف شقة ([illegible]

[illegible] أبو الحسن [illegible] لأنه [illegible] . وكذلك [illegible] أبو العلا

الذي [illegible] ([illegible]) وعلى هذا

[illegible] سوف أصل إلى شقة جديدة في مصر الجديدة [illegible]

و [illegible] . وأرجو أن [illegible] إلى [illegible] تستطيعوا

زيارتي [illegible] بإذن الله ...

~~[illegible]~~

أنه [illegible] أمامي [illegible] الأخرى [illegible] . فلا [illegible] مرضه

ثم [illegible] بعد ذلك وقررت أن أعتذر له [illegible] . وقال له [illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible]

[illegible] في الكرواسان [illegible] السيد [illegible] الأهرام ، وطبعاً [illegible]

[illegible] قائمة [illegible] أن [illegible] بنفسي [illegible] . و [illegible]

[illegible] ستترتب مع [illegible] ولا [illegible] فيه.

أنا [illegible] المواجهة [illegible] أقصى مدة ممكنة [illegible] .

من جهة أخرى [illegible] ([illegible]) [illegible] في [illegible] أدول

ما [illegible] هذه [illegible] الوقت ، [illegible] أنه [illegible] في [illegible] لا أعرف

العنوان ، [illegible] المعلومات [illegible] موجودة [illegible] فيه

[illegible] أن [illegible] . سوف أسافر إلى دمشق

في [illegible] القادم لحضور مؤتمر [illegible] وسوف [illegible]

عليه [illegible]

في [illegible] فإنهم لن [illegible] [illegible] [illegible]

وسوف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الفنية [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من هذه الناحية وأنا

أفضل له أن يبقى [illegible] أبدا [illegible] هذا [illegible]

أرجو أن [illegible] [illegible] [illegible] وتفصيل [illegible] مع

[illegible] [illegible] وكيف [illegible] أحوالكم في هذه [illegible]

[illegible] [illegible] وأولادي [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] (كما هو متوقع ومعروف)

[illegible] [illegible] خاصة [illegible] إليه [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكلب [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] الدائم [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

الفترة [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

العنوان: ١٠٤ [illegible] [illegible] [illegible]

القاهرة - الجمعة ٥ / ٩ / ١٩٨٠

العنوان:
١٢ شارع الطيب. روكسي. مصر الجديدة
شقة ٤ أو شقة ٤
ت ٨٧٤٤٤٦

لحبيبي الذي أحبه أنا

تحية وأشواقي وسلامي..

أرجو أن تعذرني إذا كنت أكتب لك على هذا الورق.. لأنني لا أجد غيره أمامي الآن.. الساعة الآن الخامسة صباحاً وقد أعدت قراءة رسالتك الأخيرة لي.. إنني أدرك أنك تريد التخفيف عني وأن تقنعني أنك مستريح في هذه الغربة القاسية.. الأمر بالعكس.. إنني أتعذب من هذا كثيراً.. كل مكان تعيش فيه لابد أن تشعر فيه بالضيق والملل.. القاهرة مثلاً.. باريس.. السويد.. الآن ستوكهولم.. بيروت هل تصدق أنني أستغرب بالملل والضيق المستمر لدرجة أنني عندما أفرح الآن لا أجد مكاناً أذهب إليه.. لا تصدق أن المسألة مسألة مكان أو مسألة فلوس.. الأزمة تأتي من الداخل.. وبما أن هذا "الداخل" لا يمكن أن يتواءم مع "الخارج" معناه أن نشترك في الغضب في غربة مستمرة.. أحياناً نعلق أحزان غربتنا على شماعة المكان.. لكن الحقيقة أن الروح لا تستريح أبداً.. لأن هذه الروح لا يريحها شيء.. سواء كان هذا الشيء هو الفن أو الذات..

...

الآن لا توجد مشكلة بالنسبة لي، تركت الشقة في شارع فؤاد، واستأجرت شقة مفروشة في نفس العمارة التي تقيم بها عايدة.. هناك بعض الصعوبات في استمراري بهذه الشقة.. لأن صاحب العمارة يريدها لنفسه.. وصاحبة الشقة سيدة يونانية مقيمة في اليونان وتأتي إلى القاهرة كل ٦ شهور.. لكي تقبض الإيجار.. لكن كل هذه الصعوبات لا تمثل مشكلة حقيقية بالنسبة لي، سوف أسكن في أي مكان مفروش شقة (وهذه مشكلة كبيرة في القاهرة لأن الخلوات بلغت حداً غير معقول، مثلاً هذه الشقة أو غيرها في مصر الجديدة خلوها يتراوح بين ٨ - ١٠ آلاف جنيه) ولست مجنوناً لكي أدفع هذا المبلغ حتى لو توفر لي لأنه عندما أدفع ١٠ آلاف في شقة فبكم أفرشها.. أم كم أدفع ثمناً للأثاث الذي سوف

أضعه فيه .. بإضافة نسخ ، المفروشة هي أحسن الحلول .. لأن الأذى راحة [illegible]
لأن نستطيع شراء غرفة هي ٤٠ ، ٣٠ جنيهاً في الشهر .. المهم لا تشغلي
بالك بهذه المشكلة فلا مشكلة منه ، ليست بالنسبة لي فقط ولكن
بالنسبة للجميع ..

هل تذكرين مسدس الماء؟ هنا تحتفي في غاية التهذيب . وعندما المرة الأولى لم
يكن موجوداً واستقبلته عنه يوم الأربعاء ٢٧/٧/١٩٦٣ ووعدها
بأن يمر لزيارته يوم الأحد ٨/٢١ – ولكنها انتظرته ثم حضر وقابله يوم الثلاثاء ..
فوعدني بالحضور يوم الخميس ٨/٢٤ [illegible] .. واعتذر عن الموعد السابق
لأنه كان في مستشفى .. ونزلنا سوياً في هذا اليوم لنشتري بعض الملابس .. أطلع
لم أرض أن أشتري بلوزات .. لأنه لا توجد بلوزات شتوية وفي
الصيف الآن .. لو وجدت من بلوزات في أي محل سوف تكون مخزونة وربما
لا تكون جيدة ، أو تالفة للعين بسرعة . ولهذا اشتريت منه [illegible] جاكيتة ٢٠,٥ جنيهاً
جلد طبيعي ولا أظن [illegible] الجلد الطبيعي نسخة مكررة من جاكيتي الجديدة
([illegible] سوداء) أما الشواء الحمراء فهي [illegible] أنيقة إلى درجة
أني سوف أشتري لنفسي واحدة مثلها . أما [illegible] الذي اخترته لك هو [illegible]
وأريد أن [illegible] ، ونتيجة لو أن هنا [illegible] لم تكن [illegible] ..
فأرجو أن تطمئني من هذا . و [illegible] الجاكيتين ٦٢ جنيهاً ، بواقع ٣١
جنيهاً لكل واحدة منها .. وإذا أضفت إلى جوزات فأرسل لي [illegible]
وعرض الأكتاف وطول البلوز [illegible] في أثناء [illegible] لشتاء
[illegible] منطقة بدوية (صوفاً جديداً) مع أحد المسافرين إلى بغداد وهم [illegible]
في العراق ليست كثيرة لكن مناسبة تسمح لي بإرسال البلوزات معهم ..

• • •

٦/

بالنسبة للوالدة فهي فاصلة جيدة - وتعد الحملة عمرة طبية - بشرط واضحة وطريفة بالنوس التهاب ٧ - ولا أعرف مقدارها. وقد أفرحتك الحالات عند [illegible] العالمي هي واصلة وأولادها مع ابن السعود [illegible] على (لأنها عرفته مؤخراً أنها حملة الطب) وقد نزلوا معي في الوالدة [illegible] كانت سكاناً [illegible] وأصغوا السعوديين بحر [illegible] فيه وكانت في غاية الانشراح للولاء الملك الدائم على عرشه المزعومة (لأنني لا أعتبر أنه في عرشه.. فقد تكون عرشه مع مؤلفين الثانيات في قنا أشد).. المهم [illegible] في أتم صحة. وبالصدفة ان ابن السعود في القاهرة هذه الأيام لدورة تدريبية تتبع [illegible] - وقد أعطيته الإبريق والطرمة التي أرسلتها لا. كما أعطيته الصور الملونة الجميلة التي أرسلتها [illegible] لتعطيها لأمك والأعمام.. وأحتفظت منهم بعدد 2 صور للذكرى.. وبهذه المناسبة [illegible] مع [illegible] صورتين [illegible] لأمك [illegible] لكم تكونا عندك للذكرى - [illegible] ما هم؟

[illegible] المرض لا يوجد جديد. فقد عملت ما علي. وبدأت [illegible] أما مضاعفات المرض المستقبلية - إن وجدت - فلا يعلم إلا الله. [illegible] لا يوجد علاج لم آخذه، وحتى الآن أنا أتعاطى "علاج كيماوي" عبارة عن ٥ حقن كل شهر لمدة ٦ شهور - مضى منهم شهران، لمقاومة نمو الخلايا.. وهناك احتمال كبير أن أسافر إلى موسكو لإجراء [illegible] لسرطان.. ولو أن علاج السرطان [illegible] تقدم إلى حد كبير.. المهم ان الحالة لم تكن سرطان في الدم كما توهم الأطباء في بداية الأمر.. وإنما هو ورم ليمفي او ورم في الغدد الليمفاوية وبالتالي هو سرطان متوسط يمكن علاجه والسيطرة عليه، وبالمناسبة [illegible] هذه الحالة هي نفس الحالة التي [illegible] ايران. [illegible] ايران [illegible] اسكندر [illegible]
أقل.. كما أن الجراح الأمريكي د. ديبكي [illegible] [illegible] أبناء

٤٦

استئصال الطحال، وقد كانت ضخمة وتكاد تشغل جانبيه وسط الجهاز الهضمي
في مستشفى المعادي. وحضرتك من تعرفين أن أمريكا أرادت التخلص من وجود
الشاه بأراضيها حتى تستطيع التفاوض في مسألة الرهائن. المهم
أن الشاه، وتركه لرعاية الأطباء المصريين [illegible] سيتمتع بصحة جيدة الآن..
لكن الله والولايات المتحدة لا يريدان له الحياة..

الورق الذي أكتب عليه [illegible] بعض الأوراق المستعملة، وهو
ورق قابل للتصوير لأنني سوف أصدر ديوانًا في "روز اليوسف" "الكتاب الذهبي"
جديدًا. وهذا الورق مسودة لبعض الصفحات التي استغنيت عنها فأرجو
ألا تزعلي، لأنه لا يوجد ورق آخر الآن، أو أنني في حالة نفسية لا تسمح
لي بالبحث عن ورق أبيض جديد.. لكن الكلام سوف يطير من دماغي.. آسف
مرة أخرى لأنني اشتريت من هذا الورق وبهذا الخط الرديء. وأرجو ألا ترفعي
تكليفًا بيننا..

بعد بيع [illegible] فإن معي الآن حوالي ١٠ آلاف جنيه [illegible] وهو
مبلغ لا بأس به ولا هو [illegible]. كنت سأبلغ [illegible] وأريد أن [illegible]
أن [illegible] جيدة جدًا [illegible] [illegible] أي [illegible]
[illegible] أعوام [illegible] وأرجو أن [illegible] من [illegible]
أو [illegible].. [illegible] بيننا ما تفرقش. لكن الحمد لله..
[illegible] ثلاثة أضعاف [illegible] و[illegible]
[illegible] إلى [illegible] أكتبه حاليًا قد يكون
أقل [illegible] الذي سوف أكتبه في [illegible].. لكن [illegible]
[illegible] وأن [illegible] لا [illegible] إلى [illegible] وأخذ إجازة
[illegible] العلاج [illegible] في الفترة
الماضية..

٢٦٣

- أمل طفلاً يرتدى جلابية كستور وبلوفر فوقها -

- هل يخفي خجل الطفولة ثورية الشاعر -

- شب الطفل وجاوز أبيه طولاً -

- محافظ السويس يكرم أمل في المدرسة الثانوية -

- والد أمل دنقل -

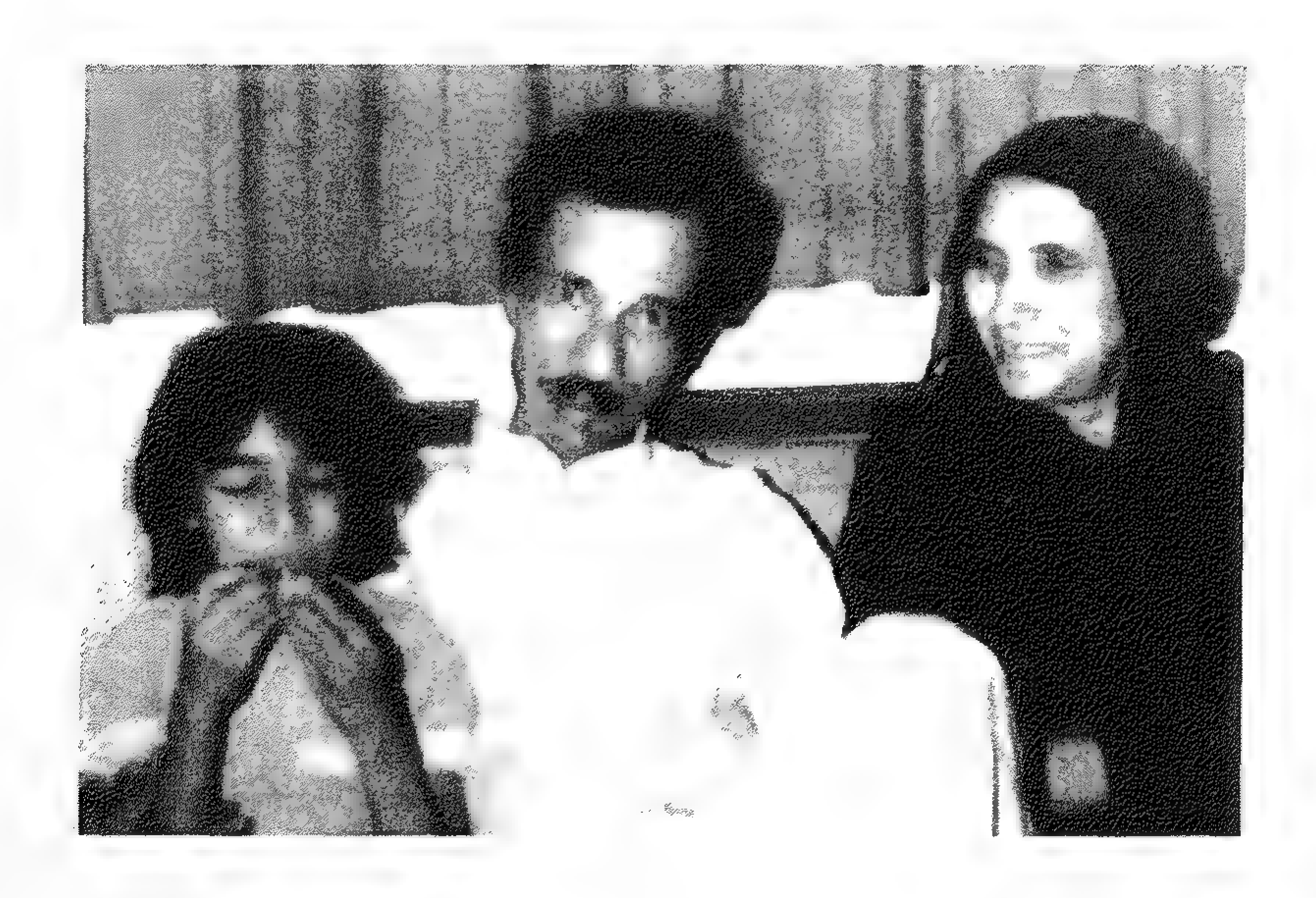

- صورة نادرة لـ أمل دنقل مع أمه وشقيقته -

- **الورقة السابعة**

يوسف وهبي: سلفني ألف ليرة يا كريم!

ديانا محمد كريم: يوسف وهبي ضحك على أبي

هي محاولة للتسلل إلى ذاكرة.. لاختراق تاريخ وإضافة منحى إنساني إليه..

دعك من هذا السطر ولننقل من أوله:

هي مجموعة من رسائل الحنين التي تمنحك عمرًا إضافيًا وتجعلك تشاهد امرأة تستحضر تاريخها من خلال مجموعة أوراق صفراء.. فهذا ما حدث لهذه المجموعة من الرسائل - التي تنشر لأول مرة - التي كانت مختبئة في إحدى الحقائب القديمة في ركام الكراكيب لدى ديانا ابنة المخرج الكبير محمد كريم.. صفارها الباهت يوحي كم هي ثمينة ولا تقدر بقيمة مهما تطاول عليها الزمن، فهي عصبة على الاندثار، تلخص تاريخ تأسيس السينما المصرية بكاملها. فقد كُتبت من وإلى محمد كريم وسليمان نجيب ويوسف وهبي ومحمد كامل حسن المحامي.

ومحمد كريم أخرج كل أفلام الموسيقار محمد عبد الوهاب ومنها "يوم سعيد" و"الوردة البيضاء" و"رصاصة في القلب" و"يحيا الحب" و"ممنوع الحب" و"لست ملاكًا" وفيلم "دليلة" لعبد الحليم حافظ وشادية و"صاحب السعادة" لمحمد فوزي و"قلب من ذهب" لعماد حمدي ومريم فخر الدين وغيرهم... وهو مؤسس المعهد العالي للسينما في فبراير عام ١٩٥٩ وأول عميد له.. كما اختير مديرًا عامًا للمهرجان الأفريقي الآسيوي الثاني للسينما بالقاهرة عام ١٩٦٠..

وهو مخرج فيلم زينب الصامت والناطق.. ومخرج أول فيلم ناطق "أولاد الذوات" الذي لعب بطولته وأنتجه يوسف وهبي.

ومحمد كريم قدم مجموعة من أهم الممثلين في تاريخ السينما المصرية مثل فاتن حمامة وراقية إبراهيم ومحمد عبد القدوس – والد إحسان عبد القدوس – وعبد الوارث عسر ورجاء عبده ومحمد فوزي وسليمان نجيب وغيرهم.

ومحمد كريم عميد السينما المصرية ولد في ٨ ديسمبر عام ١٩٠٠ بحي عابدين بالقاهرة.. وكان يداوم على الذهاب إلى السينما مع أخيه الكبير حسن، كما كان يذهب مع صديق طفولته ورفيق دربه وصباه يوسف وهبي، الذي يروي قصة طريفة حدثت بينهما حيث بدأ التمثيل معًا على أسطح المنازل؛ في البيوت؛ في الشوارع.. وذات يوم.. وكانا كالعادة يمثلان.. وقف محمد كريم على باب بيت آل وهبي وبيده عصا غليظة لكي يمسك بيوسف.. وانتظر طويلاً على الباب، حتى فوجئ بسيدة تخرج وهي تلتف في ملاءة سوداء، وتمشي برشاقة.. لم يهتم بها محمد كريم، وحين ابتعدت هذه السيدة عن الباب عدة خطوات سمع ضحكة يوسف فقفز كريم واقفًا، فألقى يوسف الملاءة وجرى هاربًا فجرى كريم وراءه!

وكان محمد كريم يعشق مشاهدة أشرطة السينما الصامتة، وعشق التمثيل لدرجة أنه طلب من شقيقه الأكبر حسن أن يسافر إلى الخارج لدراسة السينما بعد أن تعب من إرسال صوره وخطاباته لشركات السينما العالمية، فوافق أخوه على سفره بحجة دراسة الهندسة.. لأن التمثيل كان فضيحة كبيرة وعيبًا يسيء إلى سمعة أية أسرة محافظة تحترم نفسها.

لقد عانى الفتى معاناة تفوق أية معاناة أخرى، فذهب إلى الإسكندرية للقاء أحد الإيطاليين القائمين على أمر السينما وقال له: عندما نحتاج إليك سنطلبك.

حتى عبدالله بك وهبي لم يرحمه.. فقد كان يوسف وهبي وكريم في أحد الأيام منهمكين في التمثيل، وكان كريم منهمكًا في إحداث أحد المؤثرات الصوتية ثم فوجئ بهرج مرج.. وفرّ جميع من كانوا بالحجرة ويختفيَ يوسف من وراء ملاءة بيضاء لإحداث هذا المؤثر الصوتي.

رفع كريم وجهه فإذا به وجهًا لوجه أمام والد يوسف "عبدالله بك وهبي" وعيناه ترميان بالشرر.. كان المنظر الذي يظهر على الشاشة في اللحظة التي دخل فيها عبدالله بك منظر قبله بين البطلة والبطل.. وفي اللحظة ذاتها الذي ضبطه فيها عبدالله بك كان كريم يقبّل يده محدثًا صوت القبلة.. ارتفع الدم في رأس كريم وأحمر وجهه، بينما أمسك عبدالله بك بأذنه وقرصه بعنف، واستطاع محمد كريم أن يفر منه.

سافر محمد كريم إلى روما في ٢١ إبريل ١٩٢٠.. وكانت كل الأبواب التي حاول اللجوء إليها تمنعه من الطرق عليها، حتى انتقل إلى برلين.. فهناك أصدقاء من طفولته يتلقون العلم.. حجزوا له في أول يوم فندق درجة أولى.. ظنًا منهم أنه ممثل عالمي كبير.. وأوصاهم ثاني يوم بالبحث له عن فندق رخيص.. واستمر مكافحًا

يتجاوز التعب والإرهاق والأرق حتى حصل علـى عضـوية نقابـة الممثلين الألمانية في أول إبريل سنة ١٩٢٤ برقم "٤٤٤"..

وساقته أيام برلين إلى دار سينما "أوفا بالاس" وهي أفخم دار عرض سينمائية في برلين في ذلك الوقت، وكانت الفرقة الموسـيقية فيهـا تتكون من ١٥٠ عازفا، تظهر من أسفل إلى أعلى قبل عرض الفـيلم بعشر دقائق وتروح تعزف الموسيقى ثـم تصـاحب الفـيلم بعـزف الموسيقى الخاصة به عندما يبدأ العرض.

حين دخل كريم هذه الدار كانت تعرض فيلم "دكتور مابوزا".. خـرج كريم بعد الفيلم مُغيبًا.. حيث اتسعت نظرته للتمثيل والقصة والتصوير والموسيقى، ودخل لمشاهدة الفيلم مرة ثانية وثالثة ورابعة.. كان في هذا الفيلم يراقب وضع الكاميرا والزوايا التي تتحرك منهـا، ويتـابع الممثلين ويراقب انفعالاتهم، وطريقة حركتهم أمام الكاميرا والتجديـد في الحركة والإضاءة والتصوير والمونتاج والموسيقى التصـويرية، وأدرك أن خلف كل هذا الإبداع مخرج يدعى "فريتس لانج".

أصاب كريم إحساس بأنه يريد أن يكون مثل "فريتس لانج"، وسـأل نفسه مرة بعد مرة:

"هل أستطيع؟.. وما كفاءتي لهذا العمـل الكبيـر؟.. وأيـن ثقـافتي وتذوقي، وإحساسي؟.. أين تجاربي واستعدادي لأحاكي هـذا الرجـل العظيم؟.

كنت قاسيًا جدًا وأنا أجيب على نفسي.. كنت أقول مخاطبًا نفسي.. أنا ولا حاجة.. أنا صفر بالقياس إلى "فريتس لانج".. أنا مغرور.. وأتوه

في أفكاري من جديد، ثم أعود إلى مخاطبة نفسي كالحلم، يا محمد فوق لنفسك، خليك ممثل سينما كفاية، أنت دلوقت ناجح كممثل.. لكن يا ترى لو اشتغلت مخرج تنجح.. وكيف تنجح؟".

قرر بينه وبين نفسه الإخراج..

وفي ذات ليلة دعى مع "فراوشتبسا" - التي كان يقيم في بيتها - لحضور حفلة عيد ميلاد.. كان ثلاثة أرباع الحضور من النساء، فالحرب العالمية الأولى أكلت زهرة الشباب الألماني.. ولاحظ بين الموجودات فتاة كأنها ملاك من السماء.. فتاة ذات حيوية ورقة وجمال أخاذ تتحدث بلطف مع صديقة لها دميمة.. ودق الجرامفون على موسيقى راقصة فطلب من هذه الفتاة أن تسمح له بالرقص.. وهو يرقص انتابه شعور جارف بأن هذه الفتاة قدره ومصيره..

رقص مع فتاته أكثر من مرة.. وسُرت كثيرًا حين عرفت أنه مسلم ومن بلاد الشرق.. وبعد عدة لقاءات كان في بيتهم يخطبها.

ورغم كل العقبات التي تعرضت له؛ مثل ما قاله لها أبوها إنه موافق على الزواج، ولكن إذا رجعت مرة أخرى فلا ترجع لبيته، بل تبحث لها عن سكن آخر.

ومرت الحياة وهي تشجعه رغم المعاناة والظروف المادية السيئة جدًا.. فقد انقطع المصروف الشهري الذي كان يبعثه حسن كريم، لأنه اعتقد أن أخاه تزوج.. وهو ليس في حاجة للأموال، لأنه بالتأكيد أصبح ثريًا بالتمثيل..!!

وحين زادت المعاناة اتجه وحبيبته إلى مصر..

ويحكي محمد كريم عن هذه الفترة في مذكراته قائلاً:

"وبعد أن رحلنا عن برلين وعدنا إلى مصر واستقر بنا المقام فيها.. لم أشعر ذات يوم إلا وهي تفاجئني بطلب إعلان إسلامها رسميًا. فهي زوجة لرجل مسلم، وهي تعيش في بلاد الإسلام، ولها طفلة "ديانا" رزقت بها مسلمة.

ولبيت رغبتها.. وذهبنا إلى محكمة الجيزة الشرعية فأعلنت إسلامها واخترت لها اسم (نعمة الله) تقديرًا لنعمة الله الذي وهبني هذه الإنسانة الغالية.. التي قالت لي حين عقد قراننا ببرلين: إني أفكر أحيانًا في أننا على هذا الرباط الوثيق من المحبة المخلصة مع اتحاد قلبينا ينتمي كل منا إلى دين يخالف دين الآخر.

قلت: كلا يا حبيبتي. لا خلاف هناك.. فكلا الدينين يدعو إلى الإيمان بالله والمحبة والسلام بين الناس، وكلاهما لا غرض له إلا أن يتصف الإنسان بمكارم الأخلاق وحسن المعاملة.

قالت: ولكنهما دينان لكل منهما اسمه وطقوسه فأيهما يتبعه أبناؤنا؟

قلت: إن الشريعة الإسلامية التي عقد على أساسها قراننا تجعل الأبناء يتبعون دين الوالد.

قالت: وأنا.. هل أبقى في ناحية.. وأبنائي وأبوهم في ناحية أخرى؟ أريد منك أن تطلعني على تفاصيل الدين الإسلامي. إني لفي شوق لمعرفة كل شيء عنه".

إن عودة كريم إلى وطنه في ٢٨ أغسطس ١٩٢٦ كان لابد منها لرد الجميل لهذا البلد الذي رباه وعلمه.

وكما بدأ حياته الفنية كأول ممثل مصري في روما في فيلم "شرف البدوي" وأول مصري يدرس الإخراج السينمائي في الخارج.. فإذا به أول من يخرج فيلمًا تسجيليًا عن حدائق الحيوان لشركة مصر للتياترو والسينما عام ١٩٢٨.. وأول من يخرج فليمًا روائيًا وهو "زينب الصامت" عن رواية الدكتور محمد حسين هيكل باشا عام ١٩٣٠ وهي رواية "زينب" التي تعد أول رواية في الأدب العربي.. وقدم في الفيلم بهيجة حافظ وسراج منير ودولت أبيض وزكي رستم. استغرق تصوير الفيلم وإعداده ٢١ شهرًا دارت فيه الكاميرا ٦٤ يومًا.. ونجح الفيلم نجاحًا مدويًا لدرجة أن أمير الشعراء أحمد شوقي قال لكريم: "أنت يا كريم أظهرت لنا الشعر على الشاشة، فأهنيك".

وعانى كريم من الفلاحين معاناة لا معاناة مثلها، وأبسط هذه المعاناة قوله في مذكراته التي أعدها الكاتب الصحفي محمود علي:
"حدث يومًا وأنا أقوم بالتصوير في أحد الأزقة؛ بإحدى القرى، أن بعض الفلاحين كانوا يطلون علينا من نوافذ بيوتهم الضيقة.. فكان فضولهم يفسد التصوير، واستعنت بالخفراء الذين قاموا بمساعدتنا تمامًا، وكان أحدهم متحمسًا لعمله فبادر إلى دخول البيت، الذي كان أصحابه مصدر مضايقات لنا، واضطرهم لمبارحة نوافذ البيت – حتى لا يطل أحدهم من النافذة ويفسد التصوير –... ثم انهمكنا في العمل، وإذا بصاحبنا الخفير المتحمس هو الذي يطل علينا من النافذة، فأوقفت العمل، وذهبت إليه أسأله، فقال لي بسذاجة بعد أن فتل شواربه الضخمة:

"مش كويس كده، مفيش حد أبدًا بيطل عليكم غيري أنا"!

لقد تعب كريم كثيرًا حتى يتخيل الأماكن التي كتب عنها الدكتور محمد حسين هيكل روايته "زينب"، لدرجة أن يترك الفلاحين يفسدون عليه كل جهده وتعبه.

لقد سافر كريم في البداية إلى القرية التي وقعت فيها أحداث "زينب" وكان هيكل قد أخبر أخاه بحضور كريم للقرية، مما حدا بآل هيكل أن ينتظروا كريم وأن يرحبوا به.

قابله الأهالي الذين كانوا يعرفون زينب، وأخذوا يقصون سيرتها عليه، وسافر عمدة القرية مع كريم والأهالي في رهبة وخشوع، تملأهم التنهدات والتشهد، وأصوات تعلو بقولها: الله يرحمها.. زينب الإمام.

وإذا بصوت يقطع هذه الأصوات مُخاطبًا كريم بقوله: عارف يا بيه في الدنيا كلها، مفيش واحدة كانت في جمالها، وأخلاقها وأدبها.. الله يرحمها، دي كانت تمشي ما ترفعش عينها من الأرض، والابتسامة.. والابتسامة يا بيه.. ما فارقتش بقها لغاية ما ماتت.

بعد أن طرقوا باب زينب، جاءهم صوت عجوز في نهايات عمرها، ليسألها أحدهم:

ده بيت مين يا خالة؟، فترد: ده بيت زينب الإمام الله يرحمها.. راحت أيامها الحلوة، دي ماتت من ٢٥ سنة يا ولادي.

زار محمد كريم ما تبقى في المنزل، والغرفة التي عاشت فيها زينب بطلة رواية الدكتور هيكل، وخرج والصمت يلف الجميع، وساروا في

الطريق الذي كانت تقطعه زينب حتى تصل إلى شجرة الجميز لملاقاة حبيبها حامد.

لقد ماتت زينب، ولحقتها أختاها؛ بعد زواجهما بثلاثة أشهر، وتبعهما الأب ثم الأم.

كان جميع أهالي القرية ناقمين على أبويها لأنهما زوجاها من حسن الغني.

يصف محمد كريم وصوله للشجرة بقوله:

"وانتهينا إلى شجرة الجميز.. حيث وقفنا أمامها في خشوع، وهبّ نسيم عليل هزّ أوراق الشجرة فسمعنا لها حفيفًا بعث إلى نفوس الواقفين تأثيرًا عميقًا وكأنها شاءت أن تهمس في آذاننا بما شهدته من صحائف غرام زينب البالية وقد طواها القدر.. هذه الشجرة التي أحبتها زينب وحفظت لها في أعماق نفسها أجمل الذكريات فطلبت في ساعتها الأخيرة أن تلفظ أنفاسها تحت أفنانها".

وهكذا زار كريم قبر زينب، وتخيل مسرح الأحداث والأبطال، وكانت المفاجأة أن حبيب زينب ما زال على قيد الحياة، بل وزوجها أيضًا.

وذهب إلى حسن الثري الذي أساء معاملة زينب، حين لم يستطع أن يشتريها بفلوسه ونفوذه.. ورأى محمد كريم نطفة من جهنم، ووحشًا في هيئة كائن بشري، ابتلى الله به هذه القرية الطيبة، حطم حب زينب ليكسر جمالها كعودٍ من الحطب، وليضمها لصدره الصخري.

ولما أراد محمد كريم لخيالاته أن تكتمل التقى شيخًا طاعنًا في السن تجاوز المائة.. إنه والد حسن الذي زوّج له زينب.

وبدأ كريم السؤال عن إبراهيم حبيب زينب، ولم يعرفه أحد من أهل القرية إلا شخص، قال "إن إبراهيم هو أحد أتباع أسرة هيكل، إنه سائق عربتهم، وكانوا قد أوفدوه ينتظر في محطة أبو الشقوق".

جاء إبراهيم وكله خجل وحياء، حين سأله كريم عن غرامه بزينب، لم ينبس ببنت شفة، إنه لا يريد أن يجرح ذكرى حبيبته التي امتلكت عليه فؤاده، واغتاظ إبراهيم من أسئلة كريم له حتى قال بعد إلحاح: "لزومه إيه ننبش الماضي؟".

وزاد إلحاح كريم أكثر وأكثر فاستسلم له إبراهيم وقال له: أحدثك عن كل شيء في أي مكان غير هنا.

وفي الطريق كانت دموع إبراهيم التي يخفيها، والتي تسبق كلماته أقوى من أي تعبير في العالم، وأخذ يقص على كريم كيف كان هذا الحب شريفًا، طاهرًا عفيفًا يزيد مع الأيام، حتى بعد زواجهما زاد هذا الحب، وظل شريفًا وعفيفًا، ولما سأله كريم بالحاح: هل قبلت زينب. أجابه: عيب يا بيه الله يرحمها!!

وهنا يتضح أن حامد الذي جعله هيكل يشارك زينب بطولة روايته ما هو إلا إبراهيم السائق الخاص لعائلة هيكل..

ولقد أسهبنا في هذه القصة - التي ليست أساس حديثنا - لنؤكد أن محمد كريم كان معنيًا بأمرين وهو يضع سينما مصرية خالصة:

أولهما: أن الواقعية، كانت أسلوب العمل في أولى الخطى التي خطتها السينما المصرية نحو الوجود.

وثانيهما: أن الصبر على الدراسة، وتجميع كل التفاصيل التي يصح أن يُبنى على أساسها الفيلم السينمائي، هي أيضًا من عناصر العمل السينمائي السليم.

اختار كريم "أمينة رزق" -والتي كانت تشارك يوسف وهبي مسرحياته وقتها- لتقوم بدور "زينب"، وعدل عن الفكرة لانشغالها بالمسرح، واختار بهيجة حافظ للدور، وكانت فتاة دلوعة من الطبقة الراقية، واختار محمود رشوان لدور البطل، الذي كان طالبًا بكلية الطب، أرشده أحد أصدقاء كريم إليه، ولكن بعد اشتراكه في الفيلم أفسد محمود رشوان بخجله الكثير من المشاهد، مما دعا كريم للاستعانة بسراج منير للدور بدلاً منه، وقد كان سراج يدرس الطب ببرلين، ويظهر في الوقت نفسه في بعض الأفلام بشركة (أوفا).. واختار دولت أبيض لتقوم بدور "أم زينب"، وزكي رستم للقيام بدور حسن "زوج زينب"، وكان زكي من أبرز ممثلي مسرح رمسيس.

كان يتمنى كريم تصوير "زينب" في كفر غنام؛ مسرح الحدث الحقيقي لكنه لم يجد المناظر التي تصلح للسينما، مما جعله يصور الفيلم في إحدى قرى الفيوم، ويختار شجرة جميز بالمرج كالتي كان يلتقي تحتها العاشقان في كفر غنام.

وهناك قصة طريفة يرويها كريم توضح إلى أي مدى تأخر العقول وأسلوب الحياة والبيئة وقتها حيث يقول:

"كنا مرة في الطريق الزراعي، حين شاهدت منظرًا رائعًا لفلاح يحرث الأرض مستعينًا بثورين تبدو عليهما علامات القــوة، ففكــرت فــي تصوير زكي رستم وهو يحرث، وذهبت إلى الفلاح وقلت له:

- السلام عليكم

- سعيدة

- ليه ما بتقولش عليكم السلام؟

- أصلكم خواجات

- لا والنبي أنا مسلم واسمي محمد بس لابس البرنيطة من الشمس.

وطلبت منه أن يسمح لزكي أن يمســك المحــراث لتصــويره وهــو يحرث، وعرضت عليه عشرين قرشًا كأجر من هذه العملية البسيطة، فلم يرد عليّ، وانتحى جانبًا مع بعض الفلاحين الذين كانوا قد تجمعوا حولنا في ذلك الوقت، وبعد المداولة اللازمة أصدر قراره بالموافقة.

وحضر "جاستون مادري" بالكاميرا، وتهيأ لإدارتها، ولكن سرعان ما هجم عليه الفلاح صاحب المحراث ودفعه بعنف وقــوة بعيــدًا عــن الثيران، وقال في سذاجة:

"يا ناس حرام عليكم.. أنتم عاوزين تموتوا لي الثورين اللي عــايش على حسهم؟"

فأفهمته أنه لا خوف مطلقًا على ثيرانه، وعرضت عليه زيادة الأجــر إلى ٥٠ قرشًا.

وبعد أن بدأ مداولاته ومشاوراته مع زملائه سمح بالتصوير.

وما كاد "مادري" يستأنف عمله حتى هجم عليه الفلاح الذي لم يثق بنا وحمله وقذف به بعيدًا، وأمسك بمحراثه وقاد الثورين بعيدًا عنا.. فعدوت خلفه، وحاولت إقناعه وعرضت عليه جنيهًا كاملاً، ولكنه رفض قائلاً:

الجنيه بتاعك حايعمل لي إيه لما تتكهرب الثيران وتموت؟!

... وتذكرني هذه العقبات بمفارقة حدثت بعد ذلك بربع قرن، وقد كنا نعمل في فيلم (زينب) الناطق.. كان ذلك سنة ١٩٥٢ وكنت على جسر السكة الحديد في انتظار مرور القطار لتصويره، ومرّت علينا فتاتان قرويتان مليحتان.. وما أن تفحصتانا حتى توقفتا وقالتا:

صورنا يا خواجة.

فقلت لهما مداعبًا: تدفعوا كام؟

فقالت إحداهما: ندفع؟ ليه دانتوا بتشتغلوا سيما وبتكسبوا منها دواهي!!

حقًا لقد تغيرت الدنيا.. وفتحت أبواب المجتمع في وجه السينما.. أين هذا من ذلك الذي رأيناه عند مولد السينما المصرية؟

لقد أعد الكاتب الصحفي محمود علي جزأين لمذكرات محمد كريم في أسلوب رائع وجذاب، فشبه محمد كريم بـ"جورج ميليسيس" المخرج العالمي.. حيث يقول محمود علي:

" كان رئيس تحرير صحيفة السينما الفرنسية يجتاز فناء محطة سكة حديد "مونبارناس" عندما سمع شخصًا ينادي آخر باسم "ميليسيس"

فاقترب منه وقال له: لا تؤاخذني يا سيدي لقد سمعت اسمك.. فهل أنت قريب لجورج ميليسيس الذي كان يشتغل بالسينما قبل الحرب.
وأجاب الرجل: بالتأكيد يا سيدي.. بل أنا أقرب قريب له.. لأنني أنا جورج ميليسيس!
- لكن لا يمكن أن تظل هنا وأنت في سنك هذه..
(وكان قد اتخذ كشكًا صغيرًا لبيع الحلوى بعد إفلاسه)
أنت فرنسي بارع.. وشخصية معروفة في عالم السينما.. سأشن حملة في الحال وأتعشم أن تكون لها نتائجها..
انهال بعد ذلك الصحفيون والمصورون على ذلك الكشك، واستعاد ميليسيس شهرته وأمكن العثور على بعض أفلامه، وأنعم عليه بوسام الشرف، وأعلن رئيسًا لاتحاد السينما".

وهكذا محمد كريم الذي مات فقيرًا.. وهو أول عميد للمعهد العالي للسينما.. هو الذي أسسه وبناه -فبراير عام ١٩٥٩- واستطاع بجهده أن يجعل المعهد في تعداد المعاهد الدولية.. كما أنه اختير مديرًا عامًا للمهرجان الأفريقي الآسيوي الثاني للسينما بالقاهرة "فبراير ١٩٦٠".

هذا الرجل الذي قدم "زينب" الصامت والناطق، وهو الفيلم الذي جرى تصويره وطبعه بماكينات شركة مصر، لكن الفيلم لم ينتج لصالح شركة مصر للتمثيل والسينما أو لصالح طلعت حرب كما أشيع، ولكن الإنتاج كان لرمسيس فيلم، وهي الشركة التي أسسها يوسف وهبي

للسينما.. وقد جعل تكلفة الفيلم ألفي جنيه وذلك بسبب تلوين جزء من الفيلم في باريس وتعب كثيرًا حتى يخرج أعماله للنور.

وهو قيمة تستحق أن نلتفت إليها ونوافيها حقها من تكريم، فهو من الرواد الأوائل للسينما المصرية.. وإن كان من الصعب أن نقول أن هذا هو بداية السينما المصرية، فقد اختلف المؤرخون في تحديد نشأة السينما في مصر، فهناك من يرى أنها أنشئت عام ١٩١٢ حين كانت هناك محاولات لعرض الجريدة المصرية في شوارع الإسكندرية وهناك من يرى أنها بدأت عام ١٩١٧ بظهور فيلم "شرف البدوي" الذي شارك محمد كريم كممثل، كما شارك أيضًا في فيلم "الزهور القاتلة".

بعد غرس بذرة السينما المصرية جاء محمد كريم ليقوم بدور لم يتح لأحد القيام به، لدرجة أن إبراهيم عبد القادر المازني ظل يكتب عن "زينب" الصامت ثلاثة أسابيع متواصلة، كما كتبت عن الفيلم صحف: الفن المصري، والمقطم، والأهرام، والبلاغ، وروز اليوسف، والدنيا المصورة، والمصور، ومصر الحديثة.

بعد فيلم "زينب" الصامت أخرج محمد كريم فيلمًا عن (التعاون الزراعي) حيث كانت مصر وريفها بالذات في حاجة لمن يولد نوعًا من الوعي لدى الناس حول بناء ريف جديد، ومنع مصاصي الدماء الذي يقرضون الفلاحين بالربا.

كانت مدة عرض الفيلم ٤٠ دقيقة، ونجح نجاحًا مذهلاً، حتى أن السفارة الفرنسية قدمت احتجاجًا للحكومة، فاستدعت لجنة حكومية محمد كريم وأجرت تحقيقًا معه وسألته:

س: ماذا تعني بالخواجة الذي يأكل المكرونة ويقرض الفلاحين بالربا الفاحش؟

أجاب كريم: أي أجنبي يحترف هذه المهنة الحقيرة.

س: ألا تعني بأكل المكرونة رعايا إحدى الدول بالذات؟

جـ: طبعًا لا.. إن منظر المكرونة في السينما فوتوجنيك بالنسبة للأرز.

س: ألا تعلم أنه لا يأكل المكرونة إلا رعايا هذه الدولة؟

ج: أنا شخصيًا آكل المكرونة.. ولا شك في أن كثيرًا من المصريين يأكلونها.. ولا شك أيضًا في أن كل الأجانب يأكلونها.

وبعد التحقيق سمح باستمرار عرض الفيلم. ومضت عدة شهور حتى استلم محمد كريم أجره عن الفيلم وهو ٢١٠ جنيهات له كمخرج!

كان هذا الفيلم صامتًا أيضًا، إلى أن قرر يوسف وهبي إنتاج فيلم "أولاد الذوات" ناطقًا؛ بعد أن بنى ستوديو رمسيس بإمبابة، وسافر يوسف وهبي إلى برلين، ومنها انتقل إلى باريس لرخص أسعار إخراج الأفلام هناك، وكان يكتب دومًا لكريم، ولحقه بعد ذلك كريم وزوجته وتركا ابنتهما "ديانا" مع خالتها بالقاهرة... وفي حديثنا لاحقًا مع ديانا ستعرف معايشتها وآلامها في هذه الفترة.

وفي الحقيقة، أمامي الآن أربع روايات لهذه الفترة والفترات اللاحقة، الرواية الأولى مذكرات محمد كريم التي أعدها الناقد الفني محمود علي وصدرت في جزأين، ومذكرات كتبها محمد كريم بخط يده، وهي معي كاملة منذ طفولته وحتى رحيله، ومذكرات أملاها محمد كريم على محمد صبيح، وهي معي أيضًا بخط يد محمد صبيح، والرواية الرابعة هي "الصورة".. فلديّ صور هذه المرحلة، وأحاول أن أستنتج الأقرب للمعايشة الحياتية التي كان يمر بها كريم، حتى إننا نجد في فترة سفر كريم ليلحق بيوسف رواية مختلفة ترويها لي ابنته "ديانا، عما ذكره أبوها في مذكراته، وعما ذكره يوسف وهبي في مذكراته أيضًا وأعتقد أنها الأصدق فيما روت لأنها روت الحياة التي عاشتها في القاهرة، إذ روت جانبًا عايشته نتعرض له قبل أن ندخل إلى عالم الرسائل حتى نفهم الكثير من هذه الرسائل ودلالاتها.

ديانا محمد كريم: يوسف وهبي ضحك على أبي..!!

والحكاية يا سادة، أن كريم ورّط يوسف و"جاستون مادري" المصور في شراء متطلبات الفيلم من ديكور وإكسسوار وغيرهما، وكانت زوجته في برلين تزور أهلها، وبدأ تصوير الفيلم في باريس، لكن كريم أصيب بحمى وأنفلونزا، ولم يجد بجواره سوى "مادري" الذي تكفل بعلاجه، وحين شاهد هذا الإعياء والتعب الذي ظهر على جسد كريم، قال مادري:

"سأتصل بيوسف وهبي كي نؤجل التصوير يومين أو ثلاثة إلى أن تسترد قواك"

نهض كريم مذعورًا من فراشه وقال لـ "مادري": كيف تؤجل التصوير. لا .. هذا مستحيل.. إنه أول فيلم ناطق أقوم بإخراجه، ماذا سيقول الناس عني، سيقولون إنه تصنع المرض لأنه فشل، أنت تعرف الصحافة عندنا يا مادري، والجمهور، إنهم لا يرحمون، بل ماذا سيقول يوسف، وكل يوم يمضي يكلفه مصروفات باهظة، لا.. لا.

أرفع عيني من على المذكرات لأصدم بيد ديانا تلوح بالنفي في وجهي:

لا.. لقد ضحك يوسف وهبي على أبي، ولم يعطه حقوقه المادية، ثم إنهم حين أنتجوا فيلم (أولاد الذوات) سافر يوسف وهبي ثم أبي وأمي إلى باريس، وحكت لي أمي قائلة: سافروا إلى باريس لإنتاج

فيلم (أولاد الذوات)، وظل إسماعيل وهبي المحامي -شقيق يوسف- في مصر وقد قال أبي لهم: اعطوا لابنتي ديانا الفلوس كمصروف شهري كي تعيش منها، لكنه لم يعطنا أي شيء، واضطرت خالتي إلى الاقتراض من أصحاب بابا القريبين جدًا، وهذا لا يصح أن يقال، ولكنها الحقيقة.. استدانت خالتي من الدكتور أحمد حسين، ومن الدكتور زكي طنطاوي، والدكتور فودة، وهم أصدقاء أبي، وقد كانوا معه في ألمانيا، ويعرفون أمي وأبي جيدًا، هم أصدقاؤه، ولا دخل لهم بالسينما أو العمل فيها.

لقد كرر يوسف بك هذه الأفعال مع كثيرين من ممثلي المسرح وقالت لي ذلك أيضًا مدام دولت أبيض -(الكلام لديانا)- ما عدا أمينة رزق فقد كان يعطيها أجرها، لأنها حبه الكبير.

وحين عادوا من باريس ذهبت والدتي ليوسف وهبي في مسرح رمسيس -الذي كان في شارع عماد الدين- وقالت له: كيف تفعل مثل هذه الأفعال؟!

وحين رجع بابا من باريس لم يعطه فلوسًا، وماما هي التي سألت عن حق أبي، لأن أبي لم يكن يعنيه المال. فقال لها يوسف بك: هل معك عقد، هل لديك ما يثبت أنني لم أدفع له فلوسًا، وهل لديك ما يثبت أني (لازم) أدفع له فلوسًا؟!!

إن أبي أخرج فيلم "أولاد الذوات" ولم يأخذ مليمًا واحدًا.. ثم إنني أعرف أنه لم يكن يدفع مرتبات الممثلين الذين كانوا يعملون معه.. الله يرحمك يا طنط دولت.. (تقصد دولت أبيض).

بالطبع استغربت كلام ديانا وسألتها: إذن من أين كان يعيش هؤلاء الممثلون؟

أجابت: يوسف كان غنيًا جدًا، ويرى أنه ليس (شغله) من أين يعيشون؟!

ولكن والدك تعامل مع يوسف بعد هذا الفيلم..؟!

قالت ديانا: لأن بابا كان مخلصًا له، لكن العلاقة صارت سطحية بعد صداقة عمر، وأتذكر أن ماما قالت لي إنهم كانوا في أحد المرات معزومين في الأوبرا، وجاء يوسف وهبي فتجاهلته والدتي ورفضت مصافحته، فقال لها أبي:

كيف تفعلين مثل هذه الأفعال؟، فقالت له: أنا لا أستطيع أن أنسى ما فعله معك.

يوسف بك كان (ماسك) في الفلوس (شوية)، وهذا لا ينفي أنه كان فنانًا كبيرًا.. ومسرحيًا عظيمًا.

قبل رحيلها بأيام التقيت أمينة رزق في معهد ناصر لأعرف الحقيقة من وجهيها وأعرضها دونما تدخل مني، وجدتها في مستشفى معهد ناصر وبادرتها بسؤالي:

كانت بهيجة حافظ ويوسف وهبي ومحمد كريم خارج مصر لتصوير فيلم أولاد الذوات، وطلبك يوسف وهبي فورًا لتقومي بدور البطولة بدلاً من بهيجة.. هل معلوماتي صحيحة؟

قالت السيدة أمينة رزق: بعد انضمامي لفرقة رمسيس، وبعد دورة من الزمان أصبحت بطلة فرقة رمسيس، وقدم يوسف مسرحية

اسمها (أولاد الذوات)، وكانت أيامها عزيزة أمير في طلعتها الأولى فكان لها رونق كبير، فقال إنه سوف يستضيفها لتقديم مسرحية (أولاد الذوات) فمثلتها ونجحت نجاحًا كبيرًا جدًا، فأراد أن يقدمها في السينما عام ١٩٣١، وكنت قد حللت مكان عزيزة أمير في الفرقة فمثلت ذات الرواية على المسرح، لجأ يوسف وهبي إلى صديقه كريم، ذلك المخرج العظيم، وبدلاً من أن يقع اختيار محمد كريم في البطولة السينمائية على عزيزة أمير اختار بهيجة حافظ.

كانت السينما ما زالت حديثة العهد، فلم تكن هناك معدات، وكانت تعيش على الأفلام الصامتة، وعدم توافر المعدات دعا لأن يأخذ يوسف مجموعة الفيلم، ويذهبوا إلى فرنسا لتنفيذ الأجزاء الناطقة لفيلم "أولاد الذوات"، وحين ذهبوا إلى فرنسا لا أعرف ما الذي حدث بينهم وبين بهيجة حافظ، وأصروا على ألا تشارك في الفيلم، وفوجئت بأنهم أرسلوا لي لتقديم الدور، وقد قامت بهيجة حافظ برفع قضية عليهم وكسبتها.

وعن رؤية أمينة رزق لمحمد كريم كمخرج قالت:

"كان مخرجًا عظيمًا، ومتفانيًا ومخلصًا لفنه جدًا، وكان دقيقًا جدًا جدًا جدًا.. في كل حركة، حتى لو أن هناك روبًا غير مفرود بشكل جيد يرتديه أحدنا كان يصرّ على أن يأتي بنفسه ويفرده على الأرض، فكان في وقته لا مثيل له، إن أعمال كريم واضحة، وهو لا يحتاج إلى أي مدح مني.

وحتى لا يلتبس الأمر، ولكي لا يكون كلام سيدة الأحزان أمينة رزق في موضوع بهيجة حافظ واختلافها مع محمد كريم به حساسية لأحد هؤلاء الأشخاص فقد ذكر كريم في مذكراته التي صدرت عن كتاب الإذاعة عام ١٩٧٢ الواقعة بقوله:

" كانت بهيجة حافظ تقوم بدور "زينب هانم" في أولاد الذوات والدور قوي من الناحية التمثيلية يحتاج إلى ممثلة قديرة. كنت قبل السفر إلى باريس، قد رشحت للدور عزيزة أمير.. ولكن قامت في طريق هذا الاختيار عقبات أهمها أن ظروف يوسف العائلية كانت تحتم استبعاد عزيزة أمير، فاختاروا بهيجة حافظ دون أن أكون راضيًا عن هذا الاختيار.. لقد سبق لبهيجة أن مثلت دور زينب في فيلم زينب الصامت. وكنت أعرف مقدرتها التمثيلية.. كما كانت إمكانات صوتها من عوامل معارضتي في اختيارها لتمثيل فيلم ناطق.. وكانت - سامحها الله - لا ترتاح إليّ لأنها كانت تعتقد أن صرامتي وشدتي في العمل قسوة عليها وإساءة لها.. من أجل هذا اشترطت ألا أتدخل في تعليمها الدور، ولا عملها كممثلة. وقد تولى إسماعيل وهبي المحامي تحفيظها الدور قبل سفرها إلى باريس، وعندما بدأنا العمل قمت من جانبي باحترام شروطها فلم أتدخل -بخلاف عادتي- في تعليمها الحركات التمثيلية اللازمة للمشهد، وعاملتها معاملة الممثلة الكبيرة القادرة على أداء أي موقف يطلب منها. كنت أجلس على كرسي - بخلاف عادتي أيضًا- وأوضح لها ما هو مطلوب منها وأترك لها حرية تمثيل الموقف بالأسلوب الذي يرضيها.

وكان المشهد من المواقف التمثيلية العنيفة.. إذ إن (زينب هانم) كانت تفاجئ زوجها في العوامة متلبسًا بخيانتها مع عشيقته "جوليا".. فلم تتمكن من أداء الموقف كما ينبغي فقد كان أداؤها دون المستوى الذي يتطلبه الدور من حيث قوة التعبير والأداء.. بل إنها فضلاً عن هذا كانت تتلعثم وتخطئ في الحوار، وكانت تنطق الألفاظ العربية محرفة.. فكنت أقول:

– ده غلط

– إسماعيل بك علمني كده!

– مش معقول يكون علمك كده..

وبعد مناقشات طويلة، طلبت من يوسف وهبي أن يحضر ليرى ويسمع.

وحضر يوسف، ودخل حجرة مهندس الصوت – هي حجرة صغيرة كانت ملاصقة للبلاتوه ويفصل بينهما جدار زجاجي شفاف بحيث يسمع من يجلس فيها كل الحوار ويرى في الوقت نفسه كل ما يجري في البلاتوه– وبعد أن رأى وسمع.. همس في أذني طالبًا تسجيل المنظر على عيبه.

ودارت الكاميرا.. وقبل أن ينتهي المنظر وقعت بهيجة على الأرض مغمى عليها، فحملتها بمعاونة زوجها "محمود حمدي" إلى غرفتها الخاصة.

وفي اليوم التالي ذهب يوسف وهبي لزيارتها في الفندق فقيل له إنها تركته.. بعد ذلك علمنا أنها عادت إلى مصر. حيث رفعت قضية أمام

محكمة عابدين تطلب فيها الحكم بإلزام يوسف وهبي أن يـدفع لهـا باقي الأجر المتفق عليه في العقد ومصاريف العودة.. ورد يوسـف على هذه الدعوى بدعوى أخرى أمام محكمة مصر الكلية يطلب فيها الحكم بإلزام بهيجة حافظ وزوجها محمود حمدي - متضامنين - بأن يدفعا له ما سبق أن دفعه لهما تحت حساب العقد مضافًا إليه قيمـة التعويض المنصوص عليه في العقد كشرط جزائي..

وقد استغرق نظر الدعويين وقتًا غير قصير وتبودلـت فيهمـا عـدة اتهامات وأولتهما الصحافة اهتمامًا كبيرًا... ويعتبر أول نـزاع بـين ممثلة ومنتج في تاريخ السينما المصرية!

ويبدو أن السينما الناطقة منذ بـدايتها والقضـايا عامـل مشـترك وأساسي فيها.

يوسف وهبي : أبحث لي عن شغل وسأبيض وجهك..!!

للأوراق الصفراء الباهتة قيمة أكثر من رائعة؛ ليس للمؤرخين الذين يولعون بها فقط، لكن لحبيبة هاجر حبيبها وولى العمر دون أن تراه، لأم ثكلى فقد ابنها في الحرب، ولفتاة ولدت لأم ألمانية وأب يعد من أهم علامات السينما المصرية وأحد مؤسسيها وصانعي أوائل أفلامها هي ديانا ابنة المخرج الراحل محمد كريم التي تقلب هذه الأوراق بين يديها، وتتذكر هذا الزمن الجميل بابتسامة يملؤها الحزن على هذا العمر الجميل الذي فرّ من بين يديها دون أن تستطيع إيقافه أو استرجاعه إلا من خلال الصور الفوتوغرافية العديدة لوالدتها وعمرها كله.. وأيضًا من خلال الرسائل المتبادلة بين والدها وعدد كبير من أصدقائه ونجوم الزمان البعيد الذين ما زالوا نجومًا حتى الآن.

وهذه رسالة من يوسف وهبي أرسلها من ألمانيا إلى صديق عمره المخرج الكبير محمد كريم يعود تاريخها إلى ١٩٢١/١٢/٩ التي تثبت كم تعب هذا الفنان حتى يصل إلى المكانة التي ما زال فيها، وصار فنان الشعب، فليس عيبًا أن يكافح الإنسان ويبدأ حياته بحثًا عن العمل في أي مكان..

وهو يقول في رسالته إلى كريم:

"عزيزي محمد.. ألف قبلة وسلام

وصلني أمس خطابك، وفرحت جدًا لتقدمك في العمل، ولعلي إن شاء الله أسمع بنجاح أعظم وأعظم. وقد كنت أود أن تحضر هنا، ولا أنكر عليك يا محمد أنني أنا أيضًا أشتغل في السينما هنا، ولعلك تستغرب ذلك، لكنني سأشرح لك كل شيء عندما أراك.

عندما قرأت خطابك كنت عازمًا على السفر الليلة إليك، لكنني فضلت إرسال هذا الخطاب إليك، فهل يمكنك يا محمد أن تجد لي شغلاً معك أو في أي كوبانية؟.

أخي هاتفني عند وصول هذا الخطاب في أوتيل COMMECIE ولعلك تقدر فرحي لو أمكنني الاشتغال توًا، لأنني الآن بقى لي أكثر من ثمانية عشر يومًا بدون شغل، وأقول لك بصفتك أخي محمد إنني في احتياج للشغل لاحتياجي العظيم للنقود، وأنا على ثقة من أنك ستجتهد في ذلك كأنك تسعى لنفسك، وسأرسل لك بمجموعة من صوري الحديثة، وكن واثقًا أني سأبيض وجهك في أي شركة أدخل فيها، وقد نلت هنا نجاحًا عظيمًا، إلا أن الشركة ويا للأسف فقيرة ولا تشتغل الآن، فهيا يا محمد اسع لي لأجيء إليك ونشتغل معًا، ومنتظر تليفون أو تلغراف بإخباري بالحضور لأحضر لك حالاً.

ودمت لأعز صديق لك.

يوسف وهبي

يوسف وهبي: سلفني ألف ليرة يا كريم..!!

تستطيع أن تخسر حبيبة ويطويها النسيان مـع الزمـان، لكنـك لا تستطيع أن تخسر صديقًا حفر مكانًا في قلبك وعقلك وحياتك وأيامك، فحتى لو تعرفت إلى مئات الأصدقاء سيبقى مكانه شاغرًا وذكراه طيفًا لا تنساه، ولهذا لم يستطع محمد كريم أن ينسى ربيب طفولته يوسف عبد الله وهبي، رغم كل ما فعله فيه حسب كلام ابنتـه ديانـا لنـا.. وللعلم فإن هذا لا يقلل من مكانة يوسف وهبي، فهو قد ذكر أكثر من هذا في مذكراته، فهو قد كتب في مذكراته التي أعدها حسـين إمـام عمر أكثر من هذا، قال إنه كان يمارس الجنس ولا يفيق منه، وأنـه كان يشرب الخمر بشراهة، ولم يوجد بلد سافر إليه إلا وكانت له فيه ليال حمراء، إذن هو اتخذ الصراحة والصدق في مذكراته، وهذا شيء رائع لأننا نادرًا أن نجد من يكتب بمثل هذا الصدق في سيرته الذاتية.

وفي هذه الرسالة التي أرسلها يوسف وهبي من بيروت إلى صـديقه محمد كريم، الذي كان في روما، وهي مؤرخـة بـــ ١٩٢١/١/٢٤ يقول فيها:

عزيزي كريم:

أرسلت لك خطابًا البارحة ولعله وصلك، وأقول لك يا محمد إذ لـيس لي صديق إلا أنت، إن حالتي المالية صعبة جدًا لأنه حدثت لي كارثة ألزمتني بصرف كل ما عندي، وأخبرك بلا خجل لأنك محمـد أخـي، وتفهمني أكثر من أي إنسان في العالم، إن سكني في اللوكاندة ليس

إلا نتيجة أن صاحبة البانسيون لم تقبلني بدون نقود، أنــا خجــل أن أذكر لك كل ذلك، ولكن ليس لي أخ إلا أنت صــدقتي، ويمكننــي أن أصرح له بحقيقة آلامي، فيا محمد أرجو أن تسمح لــي أن أرجــوك رجاء: هل يمكنك أن تساعدني بمبلغ ألف ليرة لو كان في إمكانــك، حتى يرسل لي أبي مصروفي الشهري، وأنا أرسلهم لك، أنا خجل جدًا يا محمد من ذكر ذلك لك ولكن أنت تعلم أن ليس لي أخ في العالم إلا أنت وإن آلامي مبرحة وأبكي ليل نهار من أجل ذلك، فإن أمكنك يــا وحيدي فأرسلهم لي بالبوستة، حين وصول هذا، وكن على ثقة أنــك تنجيني بذلك من مواقف قتالة من الخجل، وعلى كل أنا شاكر لك ألف شكر، لو وصلتني الفلوس سأدفع ما علي وأحضر إليك فــي رومــا وأشرح لك كل ما حدث لي، ولعلك تكون ناجحًا إن شاء الله في كــل أعمالك

وتقبل من أخيك يوسف آلاف القبلات والمحبة.

يوسف وهبي

١٩٢١/١/٢٤

تبرعوا لاحتفالات العيد الفضي لفرقة رمسيس..!!

"وفي الاحتفال بالعيد الفضي لفرقة رمسيس، أرسل إلى كريم في ١٩٣٧/٢/٢٥: خطاب رسمي جاء فيه:

حضرة الأستاذ المحترم محمد كريم

أتشرف بإبلاغ حضرتكم بأن احتفالات العيد الفضي لفرقة رمسيس تبدأ بعد ظهر يوم الاثنين ١٠ مارس سنة ١٩٤٧، ولا يخفى ما كان للجهود الفنية لفرقة رمسيس، على مدى خمسة وعشرين عامًا، وعلى رأسها الأستاذ يوسف وهبي بك، من أثر كبير في النهضة التمثيلية الحديثة، سواء في المسرح أم السينما، الأمر الذي جعل هذه الجهود تتوج بالرضاء السامي.

ولما كنا نثق تمامًا في أنكم تقدرون الجهد الفني كل التقدير، لذا كان واجبًا علينا أن نتشرف بدعوة حضرتكم للمشاركة في احتفالات العيد الفضي، تكريمًا للفن والفنانين.

فنرجو أن تتفضلوا حضرتكم بالمساهمة بما ترون مشكورين، لتظهر احتفالات هذا العيد في إطار بديع يعبر أكمل التعبير عن أجمل معاني التكريم.

وغني عن البيان ما سيكون لاشتراك حضرتكم من أكبر الأثر لدى القائمين بهذا العمل النبيل.

كما أتشرف برجاء أن تتفضلوا بالعلم بأن الاشتراكات ترسل باسم حضرة صاحب العزة الدكتور محمود ماهر بك، رئيس الهيئة التنفيذية للعيد الفضي، ٢١ شارع يوسف الجندي بالقاهرة.

وفي ظل حضرة صاحب الجلالة الملك راعي الفن والفنانين نرجو لكم أطيب التمنيات.

وتفضلوا بقبول أجزل الشكر وأوفر الاحترام."

وتعالوا نتعرف إلى برنامج موجز لاحتفالات العيد الفضي لفرقة رمسيس، لنعرف بعدها ماذا كان رد كريم على هذه الرسالة.

- في مساء يوم الأحد ٩ مارس

كلمة حضرة صاحب السعادة رئيس هيئة الشرف من الإذاعة اللاسلكية

- الخامسة بعد ظهر يوم الاثنين ١٠ مارس

حفلة شاي بفندق شبرد تهدى فيها شارات العيد على المدعوين وكذا الكتاب التذكاري عن المسرح المصري وأثر يوسف وهبي فيه، وستلقى في الحفلة كلمات من بعض حضرات أصحاب السعادة والعزة أعضاء هيئة الشرف للعيد وسيدعى إليها كبار رجال الدولة الرسميين ورجال الأدب والفن والصحافة.

- التاسعة مساء يوم الاثنين ١٠ مارس

تقام حفلة تمثيلية بمسرح ريتس حيث يمثل فيها يوسف وهبي بك بالاشتراك مع فرقة رمسيس رواية المجنون باكورة إنتاج مسرح

رمسيس، وتعزف خلال الحفلة موسيقى سلاح الفرسان الملكي وسيدعى إليها بعض رجالات مصر.

- العاشرة مساء يوم الأحد ١٦ مارس

تقام حفلة ساهرة كبرى في أوبرج الأهرام يسهم فيها عدد كبير من كبار الفنانات والفنانين مشاركة منهم بفنهم، في تقدير فرقة رمسيس وأثرها في النهضة المسرحية الحديثة.

وقد كتب كريم:

إني من أشد المعجبين بصديقي الأستاذ يوسف بك وهبي، ويبدأ هذا ناحيته منذ أن درج كلانا في مرحلة الطفولة إلى رحلة الشباب، ثم إلى مرحلة الكهولة، إذ ما كنت أشعره نحوه كل هذه السنين إلا بأخوة امتزج بها التقدير والإعجاب. فإذا كان المجتمع الذي كان يوسف بك يتزعم هديه بفنه، يرى أن من أول الواجبات عليه أن يترجم لي عن هذا الإعجاب بحفلة يقيمها له، فإني ليأخذني الإخلاص إلى المساهمة في هذا التقدير احتفالاً بالعيد الفضي لمسرحه العتيد وآمل أن يمد الله في أجلنا حتى نحتفل بعيده الذهبي إن شاء الله.

وأرفق مع هذا إذن بوستة عشرة جنيهات أرجو أن تتنازل اللجنة بقبوله مع وافر الاحترام والتقدير والإعجاب مني.

ورغم أن أحدًا لم يطلب من كريم أن يتبرع بشيء، فإن تعبيره عن إحساسه بالفرح دفعه لأن يدفع هذا المبلغ الذي كان باهظًا وقتها لصديقه العزيز الذي لم يكن في احتياج إليه عام ١٩٤٧.

محمد كامل حسن المحامي : أنت وحيي في اختيار الأدوار..!

في هذه الرسالة من محمد كامل حسن المحامي؛ الذي يعد من رواد كتابة المسلسلات الإذاعية وقصص وسيناريوهات الأفلام المصرية، حيث كان هناك مشروع فيلم يكتب محمد كامل حسن المحامي قصته وينتجه ويلعب بطولته محمد عبد الوهاب ويخرجه محمد كريم، ويبدو أن هناك لبسًا قد حدث، وهذا يتضح من نص الرسالة التي كتبت في ١٩٢٧/٢/٢٩ حيث يقول:

عزيزى الأستاذ محمد بك كريم

أحييكم في احترام وتقدير وبعد..

أرجو أن تتقبل هذا الخطاب مني كأنه صادر من أخ وصديق، وأن تثق من أن الدافع الوحيد لكتابته هو رغبتي في أن أكون دائمًا عند حسن ظن إخواني الفنانين بي.

والأمر يتعلق بتأثركم مني لأنني في القصة التي قدمها لكم الأستاذ محمد عبد الوهاب اقترحت توزيع بعض الأدوار، ولقد سبق أن أفهمتكم أن هذا الاقتراح مني كان مستمدًا منكم، فلم أذكر اسم أحد إلا وكان ممن تفضلون العمل معه، فقد كنتم أنتم وحيي في ذلك. ومع هذا، أحب أن أؤكد لكم هنا أنني لم أفكر مطلقًا في فرض أي رأي. وأن الله يعلم كيف أحرص على شعور زملائي وإخواني، ويؤلمني جدًا أن تظلوا متأثرين مني. وأقسم لكم أن هذا الألم ليس مبعثه بأي حال من الأحوال بيع القصة أو عدم بيعها فإن لي ولله الحمد عددًا

غير قليل من الأفلام في الموسم القادم، لكن ألمي مرجعــه تقــديري وحبي لكم. ولم أكن أنتظر من نفسي أبدًا أن أتسبب في إيلامكم ولــو من غير قصد، ولا أطلب منكم شيئًا سوى قبــول اعتــذاري للمــرة الثانية. وأنا لا أستنكف من اعتذار اعتبره عربون صــداقة وحســن تفاهم بيني وبينكم. ولكم أعمق تحياتي وتقديري

المخلص

محمد كامل حسن المحامي

ت ٩٦٥٥٨

وفي نهاية الرسالة كتب ملحوظة:

أرجو أن تتأكدوا من أن الأقدار لعبت دورًا غريبًا، لأن توزيع الأدوار وكتابتها لم يكن مني، لكن من شخص لا أهمية له، وقد مرت عليّ.

ومن جنيف أرسل شخص؛ لا نعرفه على وجه الدقة؛ رسالة كتبها في ١١ يناير ١٩٣٩ يقول فيها:

عزيزي كريم:

وصلني خطابك الرقيق، وإني أشكرك من صميم قلبي على ما جاء فيه من آيات ودك ودلائل إخائك وحسن تعزيتك ولطيف عبارتك، وأشكر كذلك زوجتك العزيزة وتشكرها وتشكرك زوجتي، أسأل الله ألا يكدر خاطركم وأن يجعل الحياة أمامكم مشرقة على الدوام.

ولقد صدقت في قولك إننا كنا نغدق عليها النظرات ممزوجة بالأسى، فإني أذكر أني كلما كنت أزورها في المستشفى كان قلبي يتقطع من الألم، وأتمنى لها الراحة. ولقد نالتها أخيرًا، ونامت بين أخوات لها صغار على ضفاف الرون في سفح الجورا، وما تدري نفس بأي أرض تموت.

إن الله الكريم الذي اختارها إلى جواره أنزل على قلبي الصبر عند فقدها، فله المنة وهو القادر على إلهام الصبر وتمهيد العزاء

ودمت لأخيك.

ومن مونتريال كتب إليه المخرج حلمي رفله رسالة على كارت بوستال جميل عليه صورة لفندق الشيراتون قائلاً:

أستاذي الكبير محمد كريم تحياتي إليك، مع تحيات جميع الأولاد في مونتريال، حيث أقوم بزيارتها للاطمئنان على العائلة، وإلى أن أراكم قريبًا بخير وعافية، أبعث إليكم وإلى العزيزة ديانا خالص تحياتي وقبلاتي. المخلص حلمي رفلة

رواية المرأة الجديدة لا تصلح للسينما..!

هي رسالة هامة لأنها من مخرج كبير إلى أديب كبير، من محمد كريم إلى أمين يوسف غراب أحد علامات القصة القصيرة، وكان أمين يوسف غراب موظفًا صغيرًا في بلدية دمنهور ثم تحول إلى أديب كبير بمجهوده الخاص، فهو لم يلتحق بأي معهد أو جامعة، وهجر قريته التي ولد فيها في أحد مراكز دسوق ثم إلى دمنهور، فالقاهرة، التي كونت لديه وعيًا كبيرًا بالحياة ودواخلها.

ثم حصل بعد فترة قصيرة على جائزة الدولة التشجيعية، وترك ما يزيد على الـ ٣٦ كتابًا بين رواية وقصة قصيرة، كما أنه له ١٥ قصة وسيناريو للسينما المصرية، منها الفيلم الرائع "شباب امرأة" الذي لعب بطولته شكري سرحان وتحية كاريوكا وشادية وله أربع مسرحيات منها ست البنات، بالإضافة إلى سيرته الذاتية.

وتأتي رسالة المخرج الكبير محمد كريم كشهادة قيمة على مكانة هذا الرجل وقيمته الإبداعية، وقد كتبها إليه في ١٩٤٩/١/٢٣ بعد أن أرسل أمين غراب ملخصًا لروايته "المرأة الجديدة" التي لم ترق لكريم سينمائيًا، إذ كتب يقول له:

عزيزي الأستاذ أمين يوسف غراب:

كانت فرصة طيبة يوم اتصلت بي تليفونيًا، وقد كنت أنا في الواقع دائمًا شديد الرغبة في التعارف، وذلك لما كانت تتركه قصصك الشيقة المحبوكة في نفسي من الأثر الحسن.

وصلني ملخص لروايتك السينمائية المرأة الجديدة، واسمح لي أن أبدي لك في صراحة أنها لا تصلح للسينما، إذ بها الكثير من المآخذ، أفضل أن أشرحها لك في جلسة هادئة.

ويا حبذا لو أتاحت لك الظروف في التشريف بمنزلي في الوقت الذي يلائمك بشرط أن يكون ظهر أي يوم، وأن تخطرني بيوم سابق له.

وفي لقاء قريب أرجو أن تتقبل خالص تحياتي وشكرًا.

عشرة جنيهات لشفاء الشيخ رفعت

حين أصيب الشيخ محمد رفعت - أجمل من ترنم بآيات الله - وحدث له ذلك الاحتباس اللعين في صوته، قام أحمد الصاوي محمد بعمل اكتتاب لعلاج الشيخ محمد رفعت، لكن أولاده رفضوا هذا الاكتتاب، وقال الشيخ: أراد الله ولا راد لمشيئته.. وقبل هذا الاكتتاب قرأ محمد كريم ما كتب في مجلة المصور لما آل إليه حال الشيخ، فكتب في ١٣/٨/١٩٤٩:

حضرة صاحب العزة رئيس تحرير المصور الغراء..

بعد التحية..

تأثرت كثيرًا وأنا أطالع في عدد المصور الأخير ما صارت إليه حال الشيخ محمد رفعت من ضيق وضنك في علاجه، فهل للمصور أن يتم جميله فيقبل مني هذا المبلغ الصغير ليكون فاتحة لتبرعات قرائه، مساعدة للمقرئ الموهوب الذي طالما استمعت إليه الملايين، وهو يرتل كلام الله بصوته الملائكي فينزل على قلوبها سلامًا وهدى ورحمة.

ولكم خالص الشكر.

وكتب بخط يده:

مرفق طيه مبلغ عشرة جنيهات.

صاحب العزة فكري أباظة

كان كريم لا يتوانى عن الكتابة تعليقًا على ما يطالعه في الصحف والمجلات، لذا كتب لفكري أباظة:

حضرة صاحب العزة فكري أباظة...

تحية واحترامًا وبعد،

فقد اطلعت على نبذة في المصور أرفقها مع خطابي هذا عن نكتة صدرت من إحدى السيدات في دار الأوبرا الملكية، فذكرتني هذه النبذة بما نعانيه من تعليق الجمهور في صالات السينما والمسارح أثناء التمثيل. وبما نتمناه جميعًا من القضاء على هذه العادة السيئة التي لم أكن أتوقع أن تتفشى حتى تصل إلى دار الأوبرا، وهي أقدس مكان عندنا للفن الروائي، غير أنني أصارحكم بأنني لم أتألم لهذه الحادثة بمقدار ألمي للطريقة التي عرضت بها على صفحات المصور، لقد كنت أتمنى أن تعرض في صورتها القبيحة الحقيقية، وأن يتولى قلمكم البليغ إبراز ما فيها من سخافة.

عزيزي كامل الشناوي

وفي رسالة إلى كامل الشناوي كتب:

عزيزي الأستاذ الكبير كامل الشناوي..

أبعث إليكم بقصاصة من عدد السينما الممتاز لمجلتكم الغراء.

إن الصحفي الذي كتب إجابتي عن مستقبل السينما المصرية جـاوز الحق، فأنا لم أدل إليه بتاتًا بأي حديث، وأؤكد لحضرتكم أنه يقصـد الإساءة إليّ بما كتبه.

وإني لصديق مخلص لآخر ساعة، أرجـو أن تحتـاطوا لمثـل هـذا الصحفي في أخباره، فهو غير جدير بالانتساب إلى دار أخبار اليوم.

جائزة الدولة التقديرية

وكان يوسف السباعي قد رشح كريم لنيل جائزة الدولة التقديرية وطلب منه سيرته الذاتية فكتب إليه:

السيد الأستاذ/ يوسف السباعي، السكرتير العام للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مراقبة البحوث والتراجم.

تحية واحترامًا وبعد...

تسلمت بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٦٦ كتابكم الخاص بترشيحي لنيل جائزة الدولة التقديرية في الفنون والمؤرخ في ٩ أكتوبر سنة ١٩٦٦.

وإني إذ أبادركم بشكركم على هذه الرسالة وهذا الترشيح الذي أعتز به، أبعث لكم رفق هذا بالبيانات المطلوبة مدونة على النماذج المرسلة.

مع خالص تحياتي واحترامي

١٩٦٦/١٠/١١

يرفض الإجابة عن أسئلة المازني!

ولم يكن محمد كريم يهمل رسائل أحد حتى لو كان رده بالرفض، فها هو يكتب لمحمد عبد القادر المازني:

القاهرة في ٢٩ أكتوبر ١٩٤٤

حضرة المحترم الأستاذ محمد عبد القادر المازني.

وصلني خطاب حضرتكم الخاص بكتابكم الصور المتحركة، وأشكر لكم اهتمامكم بهذه الموضوعات السينمائية التي تقومون بكتابتها من وقت لآخر.

ويؤسفني عدم إجابة طلبكم الخاص بالرد على أسئلتكم التي وضعتموها.

مع خالص تحياتي واحترامي..

في زمن صارت فيه الأغنية تصنع نجمًا.. وفيلم يرفعه إلـــى عنـــان السماء، لم يعد أحد يهتم إلا بنفسه، ولا داعي للوجوه الجديـــدة دون واسطة ولا داعي للأصوات النادرة، فهي تظهر كم مـــن الأصـــوات الحالية قميئًا.. لذا لا نجد من يتفرغ الآن لاكتشاف المواهب الجديدة، أو حتى يهتم بالرد على رسائل المعجبين والمعجبات، وإن كان يريد فمن خلال مدير أعماله...

لكن مخرجًا عظيمًا مثل محمد كريم لم يتوان عن الرد بنفسه وبخـــط يده على خطابات المعجبات والمعجبين، وعلى الوجوه الجديدة التـــي كانت تريد أن تشارك في مجال التمثيل، وإن كانت هذه الطريقة هـــي التي قدمت فنانة رائعة في قامة فاتن حمامـــة التـــي التقاهـــا كـــريم ووالدها وأجرى لها عدة اختبارات لتشارك في فيلم "يوم سعيد" مـــع محمد عبد الوهاب.

وهناك الآن مئات من فاتن حمامة ليت مخرجينا يبحثون عنهن لأننـــا في حاجة إلى ممثلات مثل فاتن حمامة وشادية وسعاد حسني..

فمثلاً كتب كريم:

القاهرة في ١٧ مارس ١٩٣٤

عزيزتي الآنسة...

تحياتي واحترامي وبعد.. فقد وصلني خطابك الثاني ومعه الصورتين، وإني أشكر لك اهتمامك، وألبي طلبك مستعدًا للمقابلة في الوقت الذي يروق لك، على أن تحدثيني تليفونيًا في الساعة الثانية بعد الظهر من أي يوم تشائين، وآسف أن أبلغك بأن إطلاعي على الصـــورتين لـــم

يمكني من الاهتداء إلى حكم صحيح، وذلك لصغر حجمهما وعدم وضوحهما، فأرجئ هذا إلى حين مقابلتك، وأرجو أن تتقبلي فائق تحياتي.

وفي رسالة أخرى كتب:

فقد تسلمت خطابك الذي تعرضين عليّ فيه أمر اشتغالك في السينما، ومع أن مبدئي هو إهمال الخطابات التي لا تسفر صاحبتها عن الاسم الكامل دون التستر وراء الحروف الأولى منه. فإني أتجاوز في ذلك وأجيبك بأني أقبل النظر في رغبتك. أرجو موافاتي بصورتك الفوتوغرافية أولاً.

وفي رسالة لأخرى تريد الاشتغال في السينما رد عليها قائلاً:

وبعد.. فقد تسلمت مع الشكر الفائق خطابك الرقيق وصورك الفوتوغرافية، وسرني أن أصارحك بأنني بعد إطلاعي عليها، أتنبأ لك بمستقبل باسم. إذ تدل هذه الصور على ما تتمتع به صاحبتها من شخصية هي النقطة الأساسية التي يحتمها الفن في من تهوى السينما.

على أنني أفضل – ما دمت بعيدة عن القاهرة ولا يتسنى لي أن أراك– أرجو أن تتفضلي بإرسال طائفة من صورك في أوضاع طبيعية مختلفة، تلتقط بواسطة آلة التصوير للهواة.. وكم يكون سروري فائقًا إذا تكرمت بمعلومات أوفى عن نفسك أستطيع بواسطتها تكوين رأي أفضل مما صوره لي خطابك الذي نحن بصدده.

وهناك رسالة أخرى كتب فيها:

إن أول ما لفت نظري إلى جوابك هو موافقة والديك على اشتغالك في السينما، إذ لا نقبل مطلقًا أن يكون دخولك في هذا المجال يصدر منه أي عمل منك مخالفًا لرغبتهم، فالشرط الأساسي لأن تشتغل فتاة من بنات العائلات المحترمة، هو موافقة ذويها.

وإذ كنا نود ألا تكون هناك عقبات تقف في سبيل الفتاة التي تود الاشتغال في السينما، ونتمنى لها النجاح، ومع فرض تغلبك على رغبة والديك وإجبارهم للنزول على رغبتك، فإن هناك عقبة أخرى ظاهرة في صورتك، وهي بدانتك التي تحول بكل أسف دون قبولك والعمل في الفيلم الذي نشتغل بإخراجه.

مع خالص تحياتي.

محمد كريم

ويبدو أن محمد كريم يحضر لفيلم سينمائي جديد سمعت عنه أو قرأت عنه خبرًا في إحدى الجرائد، فأرسلت إلى كريم تطلب العمل معه في هذا الفيلم، ويبدو أنها تنتمي إلى إحدى العائلات العريقة في مصر، قبل أن تتآكل الطبقة الوسطى التي كانت بمثابة الميزان الذي يعدل بين الطبقتين الثرية والفقيرة.

وهنا يقول:

عزيزتي المحترمة الآنسة:

تحية وسلامًا وبعد..

فقد تسلمت كتابك وسرني أن أجد فيه خفة الروح وظرف الحديث. كما سرني أن أجد بين الفتيات المتعلمات، من ترى في نفسها الهواية والكفاية للظهور على الشاشة، على أنني أرى قبل أن تجشمي نفسك مشاق السفر من الإسكندرية أن تبعثي إليّ بصورتك الفوتوغرافية، ثم تنتظري مني الرد الذي أتعشم أن يكون متضمنًا استدعاءك للاتفاق، وإني انتهز هذه الفرصة فأرجو أن تتقبلي وافر شكري وفائق احترامي.

القاهرة في ١٢ مارس ١٩٣٤

وفي رسالة أخرى أرسلها عزاء لزوج سيدة قد رحلت، وهي قريبة إلى قلبه وعقله ويعتز بمعرفتها يقول:

عزيزي ...

سمعت بتلك الفجيعة فتأثر بها قلبي، وهزتني هزًا عنيفًا لأني كنت أدرك أثر اختفاء أحب الناس مني في الوجود، وبودي أن أقول كثيرًا ولكني أخشى من تكرار ذلك على نفسي المكلومة، فأسأل الله أن يلهمك الصبر ويسبغ على المرحومة شآبيب رحمته وغفرانه.

وفي خطاب آخر ردًا على خطاب شاب أرسله له يطلب منه العمل في شركة "فيلم عبد الوهاب وهي شركة متخصصة في الإنتاج السينمائي لأفلام عبد الوهاب كتب:

حضرة....

بعد التحية

تسلمت خطابك الذي تطلب فيه الالتحاق في فيلم عبد الوهاب كممثل وردًا على خطاب حضرتك، أتشرف بإفادتك بأننا لم نشرع بعد في انتخاب الذين سيشتركون في روايتنا الجديدة، وعلى كل حال فإني سأحتفظ باسمك مؤقتًا لحين النظر في أمر من يقع عليهم الاختيار.

وهناك رسالة كتبها كريم على الورق الخاص بشركة محمد عبد الوهاب، وجاءت كالتالي:

فيلم عبد الوهاب

مصر في ٣ مايو ١٩٤١

شارع الموسكي رقم ٣٤

تليفون ٥١٩٠٣

حضرة الآنسة سهير هانم

تسلمت خطاب حضرتك وبداخله الصور الأربع الفوتوغرافية، وأتشرف بإبلاغك بأن هناك أملاً في اشتغالك بالفيلم المزمع إخراجه قريبًا. ولكن على أن يسند إليك دور من الأدوار الثانوية. فإذا وافقك ذلك فأرجوك إفادتي حتى يتسنى لي أن أحدد لك موعدًا للمقابلة، مع خالص تحياتي وشكري.

محمد كريم

ونختتم هذه الرسائل برسالة كتبها البكباشي محمد صفوت في ١٩٤٦/١٠/١ قال فيها:

عزيزي الأستاذ كريم:

اسمح لي أن أقبلك وأحييك وأدعو لك بالصحة والتوفيق والسعادة.

يا سيدي أنا عاجز عن شكرك على ظرفك ومودتك وكرم أخلاقك.

أنت في الحقيقة أسرتني بظرفك ولطفك، ومقابلتك الأخيرة لي في مصر تركت في نفسي أعمق الأثر، فأنا فخور بك وبأخلاقك وفخور بمعرفتك وصداقتك، وثق أني أشعر بالسعادة إن مكنني ربي بالقيام بأي خدمة لك في أي وقت، بس أؤمر وألف ألف شكر على الصور، فقد ذكرتني بأيام العجمي الحلوة.

وإني أشكر الظروف لأنها عرفتني بالشخصية المحبوبة العزيزة المحترمة التي أعتز بها.

ختامًا أشكرك وأشكر ظرفك وأرجوك أن لا تنسى أخاك المخلص الذي يتمنى لكم أي خدمة.

محمد صفوت بكباشي

١٩٤٦/١٠/١

عزيزي الأستاذ محمد كريم.

أحييكم في احترام وتقدير وبعد،

أرجو أن تتقبل هذا الخطاب مني كأنه صادر من أخ وصديق.. وأن تتأكد من أن الدافع الوحيد لكتابته هو رغبتي في أن أكون دائمًا عند حسن ظنك بي وظن إخواني الفنانين.

والأمر يتعلق بما ذكرتم من أنني في القصة التي قدمتها لكم الأستاذ محمد عبد الوهاب اقترحت توزيع بعض الأدوار.. ولقد سبق أن أخبرتكم أن هذا الاقتراح مني كان مستمدًا منكم فلم أذكر اسم أحد إلا كان ممن تفضلون العمل معه.. فقد كنتم أنتم وحدكم في ذلك. ومع هذا.. وأحب أن أؤكد لكم هنا أنني لم أفكر مطلقًا في فرض أي رأي.. وأنتم تعلمون كيف أحرص على شعور زملائي وإخواني ويؤلمني جدًا أن تظنوا شيئًا يريبني.. وأقسم لكم أن هذا الألم ليس مبعثه أي خوف من الإخلال ببيع القصة أو عدم بيعها فإن لي والحمد لله عددًا غير قليل من الأفلام في الموسم القادم.. ولكن ألمي مرجعه تقديري وحبي لكم.. ولم أكن أنتظر من نفسي أبدًا أن أتسبب في إيلامكم ولو عن غير قصد... ولا أطلب منكم شيئًا سوى قبول اعتذاري مرة ثانية وأنا لا أستكثر من اعتذاري المتكرر عربون صداقة وحسن تفاهم بيني وبينكم..

وتقبل أجمل تحياتي وتقديري

المخلص

ملحوظة:
أرجو أن تتأكدوا
من أن الأقدار
جعلته دورًا عزيزًا!
وأن توزيع الأدوار
كنا تبادلناه معًا!

حضرة صاحب العزة رئيس تحرير المصور الغراء

بعد التحية ـ تأثرت كثيرا وأنا اطالع فى عدد " المصور " الأخير مـــا صارت اليه حال الشيخ محمد رفعت من ضيق وضنك فى كبره .

فهل " للمصور " ان يتم جميله فيقبل منى هذا المبلغ الصغير ليكـــون فاتحة لتبرعات قرائه ، مساعدة للمقرئ الموهوب الذى طالما استمعت اليه الملايين وهو يرتل كلام الله بصوته الملائكى فيتزل على قلوبها سلاما وهدى ورحمة ؟

ولكم منى خالص الشكـــــــــــــر "

مرفق طيه مبلغ خمسة جنيهات

محمد كريم

١٢/٨/٤٩

فاطمة عبد الوهاب

سجل تجارى ٢٣٨٠٤

شارع الموسكى رقم ٣٤

تليفون ٥١٩٠٣

مصر في ٩ مايو سنة ١٩٤١

سيدتي الآنسة مديرة مكتب الصحافة الدولي

بكل اجلال واحترام تسلمت خطابك الرقيق الذى دعوتني فيه الى ان اساهم باعتبارى مخرجا سينمائيا في تلك البحوث الفنية التي سينشرها مكتب الصحافة الدولي الذى تشرفين على ادارته .

وقد كان من لوازمى ان انزل عند ارادتك وادلى برأيي المتواضع في البحث من السعادة لولا ما اجده في اليوم من العمل المرهق المستمر.

وآمل مع تقديم عذرى ان يكلل مجهودك بالنجاح والفوز .

مع خالص تحياتي وشكرى .

محمد محمد مبروك
المحامي
امام المحاكم الشرعية والمجالس
الحسبية الملية
بمصر شارع محمد علي
حارة الامير حسين نمرة ٥
تليفون ٤٤١٥٠

مصر في ١٧/ ٨ سنة ١٩٥٠

حضرة الأستاذ المحترم محمد كريم افندي

تحية مباركة وسلاماً عاطراً وبعد [illegible] الخاص [illegible] قد انتهى
[illegible] عندي [illegible] حضرتكم [illegible] الصرف [illegible]
[illegible] واليوم صرفنا المبلغ الخاص بالسنة [illegible]
[illegible] والسلام

[illegible]

مكتب
محمد حسن
المحامي

تحريرا في ١١/ ٦/ ١٩٦٦

رقم القيد /

حضرة المحترم مدير عام شركة
[illegible]

تحية وبعد . [illegible] الحائزة على احدى جوائز المسابقة التي [illegible] سنة ١٩٦٥ [illegible] في العدد ٥٠ الصادر في ٣١/ ٣/ سنة ١٩٦٦ .

[illegible] ٢٠١١ .

[illegible] لها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

المحامي

١٦ ش [illegible] القاهرة مصر

الآن اتنفس البيت بشعر الحب [illegible] واشتاق لزائر
على طول انتظاره [illegible] ... الخ)

- وهنا قررت صرف النظر عنه [illegible] لتحاشي فشل [illegible]
[illegible] الحياة حب [illegible] بتاريخ
٢٠ ديسمبر ١٩٤٨ وعرضت بتاريخ ١٥ يناير ١٩٤٩

- كتبنا الحياة حب خصيصاً لراقية ابراهيم بعد ان شهدت لها انها ممثلة قديرة اذا وجدت التوجيه الصحيح [illegible]

- [illegible] دور راقية دور [illegible] تتقمص شخصية [illegible] فتاة [illegible] مشاكسة [illegible] سهير وفتاة طيبة [illegible] رقيقة [illegible] نادية.
سهير [illegible] ونادية رقيقة [illegible] والوجدان
وهما توأمان [illegible]

- الحياة حب. قصة [illegible]. [illegible] موضوع اجتماعي [illegible] - [illegible]
[illegible] الحياة الحب [illegible] .. [illegible]

- [illegible]
[illegible]
[illegible]

- [illegible]
[illegible]

- [illegible] ا ستوديو [illegible]
[illegible] ... ودافق

- [illegible] الى العمل [illegible]
انه انسان لا يجامل [illegible] في هذا
[illegible] ولا [illegible] ولا يسكت
اذا ما [illegible]

- [illegible]
[illegible]
[illegible] .. !!

نقابة عمال التمثيل والسينما

المسجلة برقم ١٩

١٢ شارع ... بالمسجد...

تحريراً في / ٦ / ١٩٤٧

حضرة صاحب الفن الاستاذ محمد بك كريم

تشكركم النقابة على المساعدة القيمة التي قدمتموها وترجو الله أن يكافئكم خيرا.

وإن النقابة لتبذل في سبيل مساعدتكم لا أقل مجهود في سبيل راحتكم

ولقد حضر حضرة سكرتيركم وقدم معونتكم لنا وقيمتها ثلاثة جنيهات مصرية إلى الصندوق

وتفضلوا فائق كل تقدير واحترام

رئيس النقابة

حضرة الأديب الفاضل الأستاذ حسين نجم لله

تحياتي واحترامي،

وبعد فإني أشكر لك جميل الشعور ورسائلك الرقيقة

وأفيدك أني أتمنى أن أحظى بالاجتماع بك في أول فرصة أخلو فيها

مما يحيط بي الآن من مشاغل كثيرة لا أجد معها الوقت الذي

أرغب فيه الاجتماع بلقياكم.

هذا وأرجو قبول فائق تحياتي،

القاهرة في ٤ فبراير سنة ١٩٤٦

عزيزي الأستاذ الكبير كامل الشناوي

أبعث اليكم بقصاصة من جريدة [illegible]
المختار لحلقتكم الغراء.
إن الصحفي الذي كتبه أجابني عن
سؤال منها لمصرية جاوز الحدود.
فأنا لم أقل إن [illegible] [illegible]
و[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] أن تتناولوا بالنقل هذا الصحفي
[illegible] [illegible] عن [illegible] الى
[illegible] اليوم
وتقبلوا

ابعث اليكم بقصاصة من عدد السينما المصرية لمجلتكم الغراء وبها حديث منسوب إلى. أؤكد لكم انني لم أتحدث إلى اي انسان سواء من محرريكم أم من غيرهم

وقد كنت أهملت الرد على هذا الحديث باعتباره مزاحا لا طائل تحته. ولكني فوجئت بمجموعة خطابات يسأل أصحابها عن نصيب ذلك من الصحة. فرأيت من واجبي ان أرجوكم تكذيب ذلك في أول عدد من مجلتكم الغراء

وشكرا

29 / 11 / 67

[illegible]

تحية واحتراماً وبعد فقد تقدمت بطلب العضوية

[illegible] غرفة صناعة السينما في ١٩٥٤ حيث علمت ان الغرفة

لا مانع من العضوية باعتباري منتجاً لفيلم (ضحية

الحب) ودفعت الرسم المقرر لهذه العضوية

ولم انتج بعد ذلك افلاما سينمائية اطلاقاً

ولم تكن لي علاقة بالغرفة بعد ذلك واعتبرت

نفسي مستقيلاً منذ ذلك التاريخ

لأنه ليس في نيتي ان انتج افلاما اخرى

ولذا ارجو ان تعتبروني مستقيلاً منها بتاريخ

انتاج فيلم (ضحية الحب) وان تعفوني من دفع

الاشتراك المقرر للاستمرار في العضوية التي لا

مصلحة لي بها ولا للغرفة [illegible] عضويتها وان خسارتي

في ذلك الفيلم لا تزال كبيرة

وتفضلوا

السيدة ماري شماس شاهدت منذ قليل

بحضوري نسخة فيلم لعمل المونتاج لفيلم الحب الذي عرضت

لدى توليت اخراجه -

واقرر ان السيدة المذكورة قامت بمأموريتها

على أكمل وجه - من حيث المحافظة على القواعد

والدقة في العمل والنظافة ثانيا - مما يدل على تفوقها

في عمل المونتاج -

ويسرني جدا ان اعهد اليها بمثل هذا

العمل في كل فيلم اتولى اخراجه

محمد كريم

٥/١/١٩٥٩

ان أكنتم عزمتم على اخراج قصة للمسابقة كما نشر في المجلات

فإن هذه القصة معروفة لدى القراء وعُرضت على المسرح

مرات [illegible] بادارة عظيمة

وعرضها ما اعتنت بالدكتور وهذه طريقة إستيل

دي مص). فالدفاع عن هذه القصة وتكرار اخراجها

تشويه الصنعة؟ هذا عن وجهة النظر. اثني ما

ارسلت الكلم هذا الا لأهنئكم على نجاح

فيلم (دموع الحب) نجاحا اثره تحميس النقاد المشتغلين

بالفن السينمائي، وحتى لتستحقون التكريم والتقدير

الذي اصدره من كل جانب من [illegible] والدخول

تكم الى الامام في كل قصة جديدة وهذا العهد.

والرجاء على نفسكم الكريمة وإني لمنتظر منكم ولكم

التقدم ان شاء الله. والسلام

احمد محمود عمر

طالب اداب

١٤ سبتمبر [illegible]

عزيزي محمد

ألف قبلة وسلام وصلني أمس خطابك وفرحت
جداً لتقدمك في العمل ولعله إن شاء الله أكبر نجاح
أعظم وأعظم. وقد كنت أود أن تحضر هنا
ولا أنكر عليك يا محمد أني أنا أرغب أشتغل في
السينما هنا ولعلك تستغرب ذلك ولكني سأشرح
لك كل شيء عندما أراك. عندما قرأت
خطابك كنت عازم على السفر الليلة إليك
ولكني فضلت أرسال هذا الخطاب إليك
فهل ممكن يا محمد أن تجد لي شغلاً معك
أو في كومبانية أخرى. خاطبني عند وصول
هذا بالتلفون لأني الآن ساكن في
أوتيل Commercio هنا فخاطبني أول
ما تستلم الخطاب بالتلفون ولعلك تقدر
فرحي لو أمكنني الاشتغال لأني الآن

تمر لي الآن مدة ثمانية عشر يوما بدون شغل

وأقول لك بصفتك أخي محمد أني في حاجة

شديدة للشغل حتى لا احتياجي [illegible] النقود

وانا على ثقة أنك ستجتهد في ذلك كما أنك

تسعى لنفسك وانا عندي صورا لتسليك

وتسليه واثق أني سأنجح وسيعلمه في

أي شركة ادخل فيها وقد عملت انا [illegible]

[illegible] الآن [illegible] وبالتوفيق [illegible]

ولا تستقل الآن فيها يا محمد أسرع لا

لا يسع إليك تشتغل [illegible] و[illegible]

ال[illegible] أو [illegible] يا أخي [illegible]

أو [illegible] لك [illegible] [illegible]

[illegible]

يوسف [illegible]

٢٤ / ١ / ٤٩

عزيزي مولانا الأستاذ أمين يوسف غراب

كانت فرصة طيبة يوم اتصلت بي تليفونيا . وقد كنت في الواقع دائما شديد الرغبة في هذا التعارف . ولا عجب لما كانت تتركه قصصك الشيقة الحيوية في نفسي من الأثر الحسن .

وعلى ذكر الملخص لروايتك السابقة [illegible] الحديث [illegible] وأرجح في اعتقادي بصراحة أنها لا تصلح للسينما . إذ يلزم كثير من الحذف [illegible] الشروط التي [illegible] هادئة .

وإجابة لما تناولت من الظروف التي [illegible] في الوقت الذي يلائم [illegible] بشرط [illegible] يومين وأنا منتظرك يوم [illegible] له .

وإلى لقاء قريب أرجو أن تتقبل خالص تحياتي وشكري

[illegible]

حضرة صاحب العزة

فكري بك اباظه

تحية واحتراما وبعد . فقد اطلعت
على نبذة في المصور أرفقها مع خطابي هذا
عن نكتة صدرت من احدى السيدات بدار
الأوبرا الملكية . فأذكرتني هذه النبذة بما
نعانيه من تعليقات الجمهور في صالات السينما
والمسارح اثناء التمثيل . وربما نتمناه جميعا
من القضاء على هذه العادة السيئة التي لم
اكن اتوقع ان تنتشر حتى تصل الى دار
الأوبرا وهي اقدس مكان عندنا للفن الراقي .

غير اني اصارحكم بانني لم اتألم
لهذه الحادثة بمقدار ألمي للطريقة التي عرضت
بها على صفحات المصور . لقد كنت اتمنى
ان تعرض في صورتها القبيحة الحقيقية . وان
~~يتولى قلمكم البليغ ابراز ما فيها من~~

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والسلام عليكم

ولكم الفضل مقدما

خادمكم

[illegible]

صدر في [illegible] نوفمبر [illegible]

- محمد كريم وزوجته وابنته ديانا -

- دبابا محمد كريم -

- "ديانا" ابنة المخرج محمد كريم مع المؤلف -

- والدة محمد كريم -

- زوجته الألمانية التي أسلمت وقصة الحب الكبير -

- كريم في بداياته -

- كريم على سرير فيلم الوسادة الخالية -

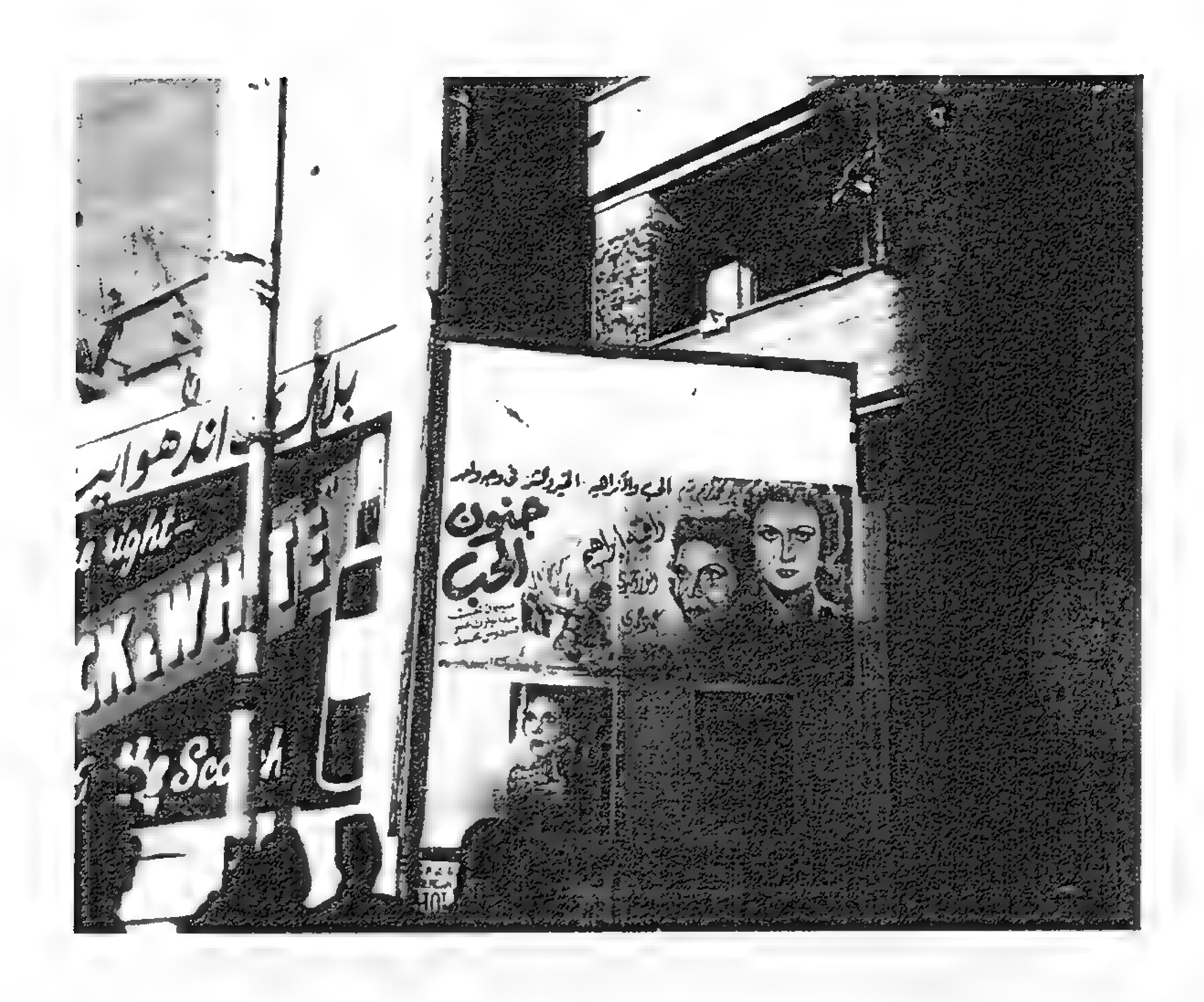

- أفيش فيلم جنون الحب في شوارع القاهرة -

- بوستر فيلم زينب -

- بوستر فيلم زينب -

- راقية إبراهيم ويحيى شاهين ومشهد من فيلم زينب -

- بوستر فيلم جنون الحب -

راقية إبراهيم وأنور وجدي وعماد حمدي ومشهد من فيلم جنون الحب

■ الورقة الثامنة

سليمان نجيب لـ محمد كريم:

هذا ما حدث لي يا عدو الكرش واللغد و ......

▪ سليمان نجيب وحكاية المرأة ذات الصينية!

رغم مرور حوالي ٧٣ عامًا على هذه الرسالة إلا أنها لا تزال تحتفظ بحرارتها وحيويتها وكأن سليمان نجيب كتبها منذ دقائق وكأن الحبر الذي كتبها به لم يجف بعد، وقد كتبها في فندق سافوي.. ولابـد أن هذه الرسالة ستترك على شفتيك ابتسامة، خاصة أنها من ساخر كبير هو الممثل الكوميدي الكبير سليمان نجيب (١٨٩٣ - ١٩٥٥)..

وقد عاش سليمان نجيب حياته بالطول والعرض، وفعل فيها ما يريد، غير عابئ بالأمور المادية ولا مهتم بها، لدرجة أنه كتب لامرأة كانت تأتي له بصواني "الكبيبة" جزءًا من ميراثه، بل ورمم لهـا بيتهـا.. وهو الذي زار فرنسا وإيطاليا وإنجلترا والعديد من دول العالم، وعمل بالسلك السياسي، وعمل مديرًا لمكتب وزير العدل، كما كـان قنصـل مصر في اسطنبول، وسكرتيرًا لمجلس الوزراء حتـى وزارة علـي ماهر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

كما أن سليمان نجيب يعد أول مدير مصري لدار الأوبرا عام ١٩٣٩، وبدأ حياته الفنية بكتابة المقالات في مجلة الكشكول الأدبيـة تحـت عنوان "مذكرات عربجي" وكان أول أفلامه مع محمـد كـريم وعبـد الوهاب عام ١٩٣٣ في فيلم "الوردة البيضاء" وشارك في ٦٠ فيلمًـا آخر و٣٠ مسرحية، وألف وأخرج أكثر من ٤٠ مسرحية.. وعـرب عشرات المسرحيات.. وأثناء توليه دار الأوبرا عمل على تمصـيرها وفتح أبوابها للفرق المصرية بعدما كانت وقفًا على الفرق الأجنبيـة، وفي عهده عرف المصريون لأول مرة طريقهم إلى دار الأوبرا.

وسليمان نجيب من عائلة ذات حسب ونسب، فوالده مصطفى نجيب الشاعر والأديب، وخاله أحمد زيور باشا من رؤساء وزراء مصر قبل الثورة، وابن عمته الشاعر الكبير أحمد زكي أبو شادي.

وللمرأة صاحبة الكبيبة قصة رائعة روعة "رسالته"، رواها شكري راغب في كتابه "الباب الخلفي"، حيث قال:

"جلست أبكي في السرادق.. ولم يكن بكائي على الراحل الذي ذهب، بل كنت أبكي صباي وشبابي وذكرياتي، ودنياي كلها.. فقد كان الذي مات أخًا لي وأبًا وأمًا وأختًا، وكانت حياتي وآمالي وأحلامي.. وفوجئت وأنا ساهم أفكر وأبكي وأجتر ذكرياتي في صمت بفتاة حلوة كالوردة صغيرة:

- تعال كلم ماما

ماما..!! ومن تكون "ماما" هذه.. ولماذا تريدني أنا بالذات في هذا الوقت بالذات.. ولماذا اختارت "ماما" هذه المناسبة وهذه الساعة لكي تطلبني للكلام؟!!

ولم يطل بي التفكير فقد نهضت من مكاني وسرت خلف الصغيرة الحلوة إلى عربة تاكسي كانت تقف على جانب الطريق، ورأيت داخلها ماما تنزوي في ركن منها حزينة باكية، شعرها الأسود الفاحم يغطي نصف وجهها وإحدى عينيها.. وينسدل بعضه على ظهرها وكتفيها.. وكان وجهها – أو الذي انكشف من وجهها – يحكي قصة جمال باهر كان لها فيما مضى. ولمحت في عينيها بقايا بريق أطفأته الأحداث والأحزان والمحن.

ونظرت لي السيدة الغريبة في ضعف شديد، وكانت لا تـزال تبكـي وعبراتها تنحدر فوق خديها راسمة على بشرتها الورديـة خطوطًـا سوداء من أثر الكحل الذي كان في عينيها.

وفتحت باب العربة، ومددتُ رأسي داخلها. وقلتُ في همس:

- أفندم

فأجابت بصوت جميل لم يستطع البكاء والحزن أن يخفي جماله:

- تعرفني؟

وعندما أنكرتُ ذلك في أدب شديد؛ ذكرتْ لي اسمها، ولم يكن غريبًا علي.. فقد سمعته قبل ذلك أكثر من مرة، وبالذات من الصديق الذي مات؛ سليمان نجيب.. وانفجرت السيدة باكية، وقالت وهـي تتشـنج بالبكاء:

- وهو سليمان مات.. مات إزاي؟.. ده ماقليش إنه هيمـوت.. مـا كلمنيش من يومين!

وانخرطت السيدة في بكاء عنيف، ونسيت كل شيء فراحت تتصرف كالمجنونة، وخشيت أن يسمعها أحد في السرادق فألقيت بنفسي فـي التاكسي.

هذه السيدة ملكت سليمان نجيب بصينية الكبيبة، كانت بارعـة فـي صنعها، وكان سليمان يحب الكبيبة ويفضلها علـى أي شـيء فـي الوجود.. ولم يكن أحد يعلم سر العلاقة بينهما إلا أنـا.. فقـد كـان سليمان يدردش معي أحيانًا عن المرأة ذات الصينية، كما كان يطلق عليها. وكان عم نور بواب الأوبرا، هو الذي يتولى حمل الصـواني

من البيت إلى الأوبرا وبالعكس.. وكان سليمان يتنازل لي أحيانًا عن صينيته المفضلة.. حتى يضمن سكوتي. ولم تكن معرفتي بهذه المرأة تزيد على الدردشة مع سليمان عنها أحيانًا، والتهام بعض الصـــواني التي يتنازل عنها.. ولكن سليمان نجيب جاءني ذات يوم وطلب مني أن أبحث عن مهندس غلبان ليقوم بترميم منزل تملكه سيدة يعرفها، وطلب سليمان مني أن أبذل جهدي حتى لا تتعدى الميزانية مبلغ الـــ ٣٠٠ جنيه الذي لا يملك في الدنيا سواه.

وبحثت في كل مكان عن مهندس غلبان ليقوم بترميم المنزل بالمبلغ الذي حدده سليمان نجيب. وقبل المهندس الخامس عشـــر أن يقـــوم بالمهمة مقابل ٣١٠ جنيهات. وبالرغم من ذلك رفض سليمان دفـــع الجنيهات العشرة، ولا تزال دينًا عليه حتى الآن.

المهم في الموضوع أنني عرفت بعد أن قمت بالمهمـــة، أن المنـــزل تملكه السيدة. وأذكر أني عاتبت سليمان نجيب وقتئذ، ونعيـــت لـــه خيبته العريضة التي تجعله ينفق تحويشة العمر على تـــرميم منـــزل سيدة.

- "إنت مغفل يا شكري.. هي الحياة إيه، مش لقمة نضيفة وقعـــدة حلوة؟"!

وأذكر أيضًا أنني لم أقتنع بكلامه وقتئذ، ولكني عندما التقيت بالمرأة ذات الصواني ليلة وفاة سليمان نجيب آمنت بأن نجيب كان على حق. ولكن هذه الصورة الجميلة التي رسمتها مـــن خيـــالي للمـــرأة ذات الصواني لم تلبث أن تلاشت وحلت محلها صورة مشوهة قبيحة، فقد

التقيت بعد أيام من وفاة سليمان نجيب بشقيقه حسني نجيب. وقد ابتدرني قائلاً:

تعرف فلانة؟!

ولكني لزمت الصمت، فكرر سؤاله، وعندما سألته عن السبب أجابني في غيظ شديد:

- اتصلت بي أمس

- ليه؟

- قالت إن سليمان وعدها بجزء من الميراث

- وهل ترك سليمان شيئًا؟!

- لا شيء.. كل الذي تركه ٢٦٩ جنيهًا، وهي تكاليف الجنازة.

- طيب وعملت إيه؟

- ولا حاجة.. دفعت لها مبلغًا من المال.. لقد وجدت اسمها في مذكرات أخي وهذا يكفيني.

سليمان نجيب : هذا ما حدث لي يا عدو اللُغد ومحارب الكرش والـ....

يكتب سليمان نجيب في ٢٥ أغسطس عام ١٩٣٥ من ألمانيا إلى محمد كريم قائلاً:

صديقي وأخي العزيز كريم..

أقبلك بسرعة وأبوس إيدين جردا وأقبل نجاة مراتي.. سبحان الله وأزغزغ سعاد وأخي الصديق جبران والأخ إلياس.. وأهدي تسليماتي لكندس.. والجهبذ، والوغد العزيز توفيق بك وحرمه.. وأقبل جابي وأحيي الخدم والحشم مادري وماريا وإيفون.

وبعد،

أتدري ماذا حصل لي يا عدو اللغد ومحارب الكرش والطيز.. لو رأيتني اليوم وأنا متلقح على ترابيزة المساج وستة أدشاش ماء ساخن نازلة على جسدي العاري وبجانبي عملاق أرمني يدلك جسمي ثم بعد عشرين دقيقة أقف عاريًا ليصب على لغدي وطيزي وكرشي.. إذ كانت هناك حنفية ساخنة تقذف الماء بقوة تحركني بالرغم عني..

هذا بالاختصار ما عمل حسني أخي خلاف كباية ماء في اللي يضرب الجوكنده في عينها وهات يا جري.

أتدري أن حسني نقص ٩ كيلو في ثمانية عشر يومًا.. تمنياتك ودعواتك ورايا..

يا شيخ اتقي الله، المهم البلد بديعة واللوكاندة فخمة، وسأظل هنا حتى يوم الأربعاء أو أقل لأحضر لك خافضًا بإذن الله.

إزي حال الأكل بعد سفري، واخد بالك لطيفه. هه. أنت فاهمني.

عبد الوهاب قريب مني جدًا وربما زرته يوم الثلاثاء.

أرجو الاحتفاظ ببريدي وخطاباتي

ودمت يا صديقي المخلص.

أخوك المطيع

سليمان

بشرى: خسيت ٦٠٠ جرام في حمام واحد، والميزان يكدب المناكف.

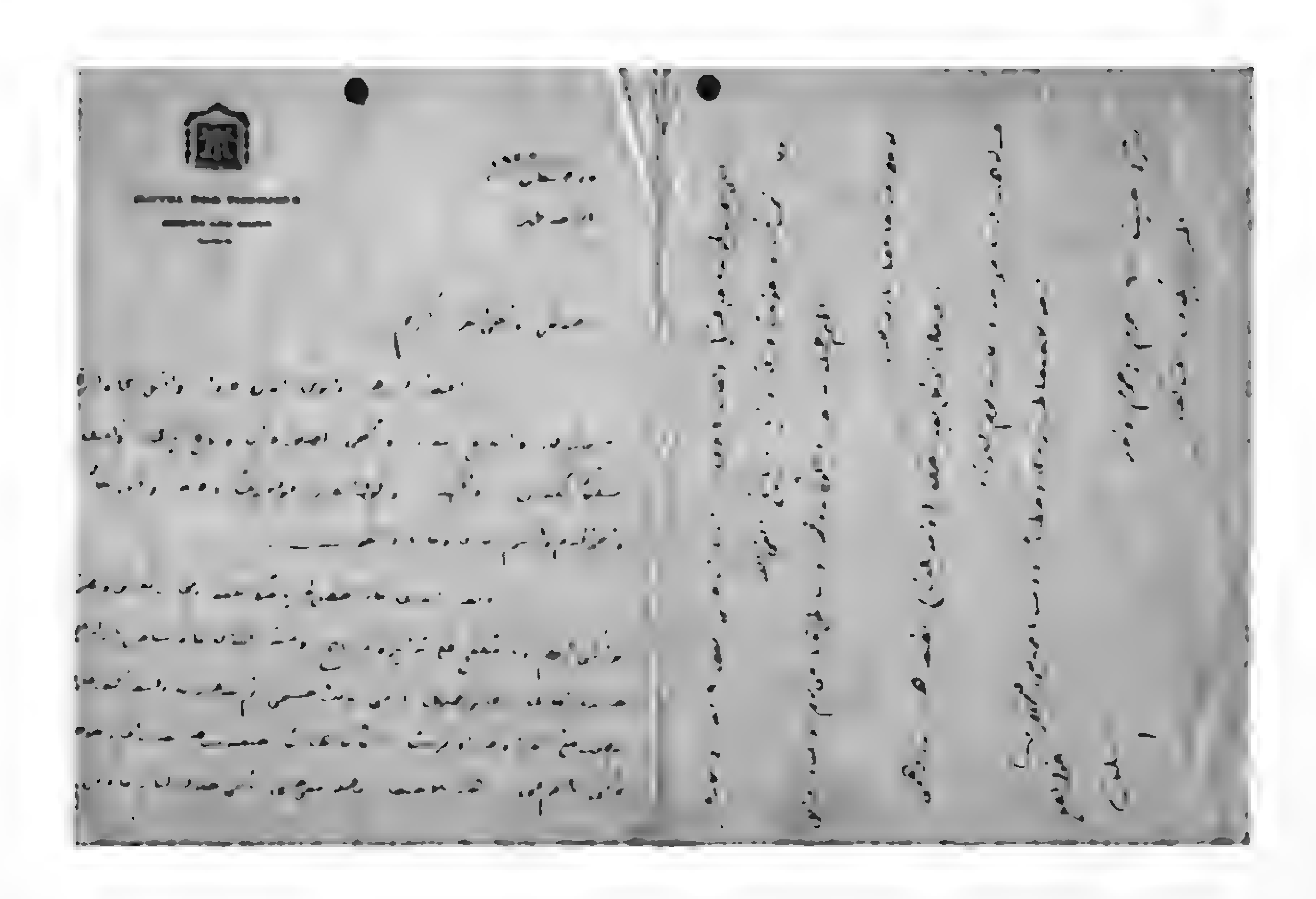

مصر في ٢٦ أغسطس ١٩٢٧

حضرة الأستاذ المحبوب سليمان نجيب المحترم

استلمت جوابك في طريقك إلى باريس بكل سرور

وطيه اثنين جنيه إن شاء الله تكونوا ملتذين بمعرفة

الأزتة بدون تعب وتقول في جوابك إن شاء الله

تكتب لي عند المباشرة بالعمل والنجاح المنتظر إن شاء الله

فهذا مما يسرنا جميعاً والأمل أن يكون حسب ما

تريدونه من خصوص ما كلمتكم فيه دفعنا لشركة

الشرق ٣ شهر يدليبر والمنتظر والوصول لا

من جديد في طريقنا هذا ولا ضرورة سوى شرف هديكم

عن قريب بصحة جيدة إن شاء الله ودمتم لمحبكم

طلعت حرب

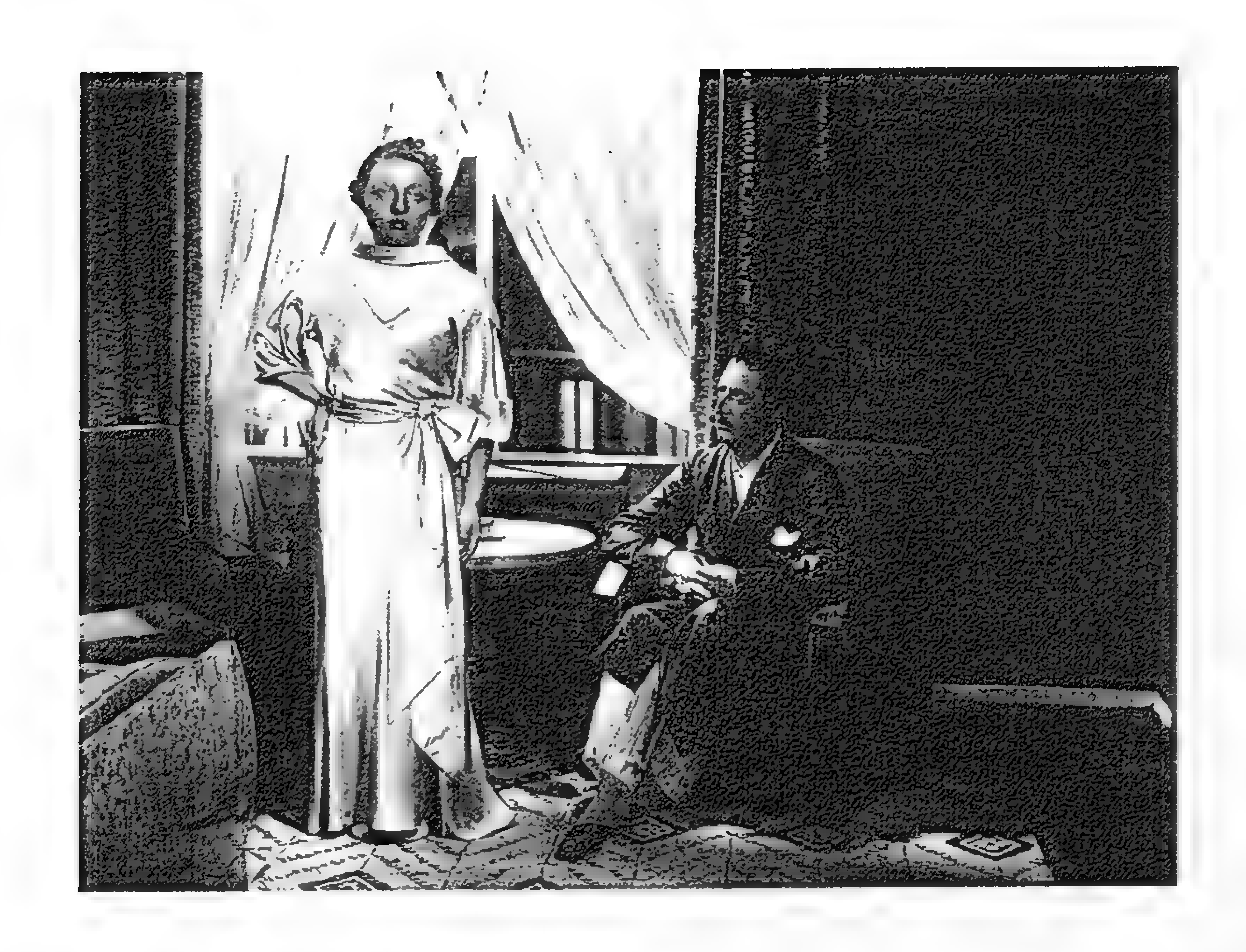

- سليمان بك نجيب ونجاة في فيلم دموع الحب -

abdel wahab dans larmes
.. nagat d'am

avec : kondos, soliman nagib, soad fak

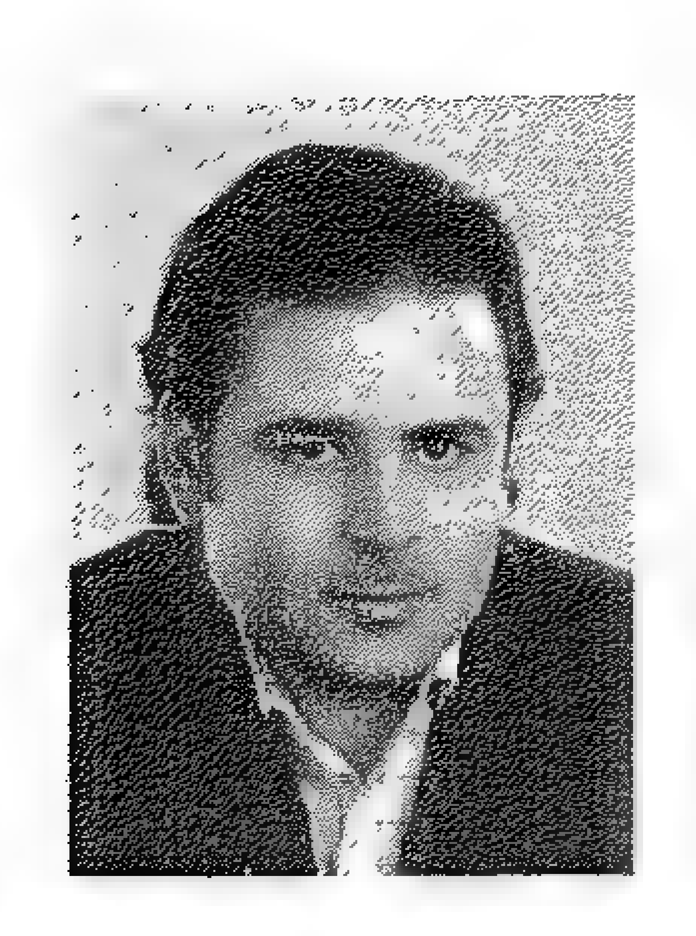

سامي كمال الدين

- كاتب وإعلامي مصري من مواليد محافظة قنا - جنوب مصر
- تخرج من كلية الآداب قسم الصحافة بسوهاج، عام ٢٠٠١
- يعمل صحفيًا بمؤسسة الأهرام (مجلة الأهرام العربي)
- مدير مكتب مجلة الدوحة في القاهرة
- عضو نقابة الصحفيين
- عمل رئيسا لتحرير مجلة داون تاون، مجلة شبابية تعنى بالقضايا المحلية وهموم الشباب ومشاكلهم
- عمل أثناء دراسته الجامعية فى العديد من الصحف والمجلات ومنها الحياة والجيل والقاهرة وسطور والراية والصدى وصوت الأمة
- عمل في مجلة نصف الدنيا من ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٣
- حاصل على الجائزة الأولى من نقابة الصحفيين المصرية عام ٢٠٠٣ عن كتابه عن الفنانة شادية الذي نشر مع مجلة نصف الدنيا
- حاصل على الجائزة الأولى من نقابة الصحفيين لعام ٢٠٠٦
- تم تكريمه في صالون غازي الثقافي العربي عن أعماله المتميزة مع مجموعة من المفكرين والمثقفين والفنانين

- يكتب في العديد من الصحف مثل المصري اليوم والكرامة
- يكتب مقال أسبوعي كل خميس في جريدة«المصريون»
- تم اختياره مع ٧٥ صحفيًا من ٥٠٠ صحفي للمشاركة في الدورة الأولى لمؤسسة محمد حسنين هيكل ، والتي أشرف عليها الصحفي الشهير سيمور هيرش. كما اجتاز الاختبارات في الدورة الثانية التي عقدتها مؤسسة محمد حسنين هيكل ، والتي عقدت لشهر كامل ، وفاز مع ١٠ من زملائه الصحفيين من ٢٥ صحفيًا بمنحة السفر إلى لندن
- انفرد بلقاء خط الصعيد المتهم بقتل ١٥٠ شخصًا وزراعة الأفيون وهو محاصر في قلب الجبل.. ونشر في مجلة الأهرام العربي بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٧.. وفى عام ٢٠٠٦ زاد عدد ضحاياه وحاولت العديد من الصحف لقاءه؛ ولم يستطع أحد لقاءه ، لكنه التقاه وأجرى معه حديثًا نشر في جريدة المصري اليوم على حلقتين في ٢٥ و٢٦ /٩ /٢٠٠٦
- كتب فيلمًا تسجيليًا عن الفنانة سامية جمال ودورها الفني والسياسي من إخراج سعيدة بو كمال – مخرجة فرنسية من أصل جزائري – وإنتاج خالد عبد الرحمن الخميسي ، ويذاع في القناة الخامسة الفرنسية وتلفزيونات بريطانيا وإيطاليا واليونان وتركيا .
- قام بالتقاط الصور الوحيدة للحادث الإرهابي لتفجير ميدان عبدالمنعم رياض ، والتي بثتها وكالة الاسوشيتدبرس وعرضتها أغلب التلفزيونات في العالم ، ونشرتها الصحف العربية والغربية ، والغريب أنه التقط هذه الصور بكاميرا هاتفه المحمول .

- انفرد بنشر عدة حوارات مع الفيلسوف الكبير عبد الرحمن بدوى قبل رحيله نشرت في مجلة نصف الدنيا .
- أجرى عشرات اللقاءات السياسية والفكرية مع مثقفين ومفكرين وساسة وفنانين .
- أجرى الحوار الوحيد الذى نشر مع الدكتور ممدوح حمزة الذي ألقت شرطة اسكوتلانديارد القبض عليه في لندن متهمة إياه بالتخطيط لاغتيال أربعة وزراء مصريين ، وقد استعانت جهات التحقيق بمحتوى الشريط بعد تفريغه .
- الإصدارات :
  - حوارات من جنوب الوطن المنسي : يتضمن حوارات مع بعض كتاب وأدباء من جنوب مصر .
  - أيام مع الولد الشقي : ذكريات مع الكاتب الكبير محمود السعدني . عن دار أخبار اليوم .
  - نزار قباني وروائع القصائد المغناة .. أسرار وحكايا نجوم الفن مع نزار : عن دار الكتاب العربي .
  - الذين أضحكوا طوب الأرض : عن دار الكتاب العربي .
  - رسائل المشاهير : شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠٠٩
  - هيلتون : رواية . شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٠

- البريد الإلكتروني : samy_585@yahoo.com

samykamaledeen@yahoo.com

شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، ومابين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ العربي، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على نشرها وإبرازها.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافًا.
- التعريف بالكاتب والكتاب إعلاميًا وجماهيريًا، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.

- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.

- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية في العديد من الدول.

- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.

- إعادة نشر التراث المعرفي العربي ذي الإفادة في عصرنا، وتحقيقه وتدقيقه.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" ماديًا وأدبيًا ومعنويًا، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلاميًا ودعائيًا، بما يضمن له؛ في النهاية؛ مكانًا بارزًا في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004/5 - (+2) 0188890065

فهرس

- إهداء ٥
- ورقة البداية ٩
- الورقة الأولى: ١٩

  رسائل روزا وإحسان .. وصايا من زمن الحب
- الورقة الثانية : ٧٥

  رسائل القائم مقام يوسف صديق.. بطل ثورة يوليو
- الورقة الثالثة : ١١٩

  محمد أنور السادات .. ورسائله الخاصة لبناته
- الورقة الرابعة : ١٤٩

  صلاح نصر .. رسائل أشهر رئيس مخابرات عربي

- الورقة الخامسة: ١٩٣

  رسائل الرجل الذي يفتح صوته أبواب السماء

- الورقة السادسة : ٢١٧

  رسائل أمل دنقل .. الذي عاش غريبًا ومات غريبًا

- الورقة السابعة : ٢٧١

  المخرج محمد كريم .. رسائل الزمن الجميل

- الورقة الثامنة : ٣٦٥

  سليمان نجيب .. رسالة ساخرة لـ محمد كريم

- المؤلف في سطور ٣٨١
- شمس للنشر والإعلام ٣٨٤
- فهرس ٣٨٦

شمس
للنشر والتوزيع
٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤ (+٢)   ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢)
www.shams-group.net

في هذا الكتاب

صلاح نصر لأولاده :

سعاد حسني عميلة مخابرات خايبة

أنور السادات يكتب لبناته :

وحشتوني يا غجر يا أولاد الغجر .. سأفسحكم بسيارة عمكم جمال

ماجدة الصباحي لجمال عبد الناصر :

إحسان عبد القدوس يسبني في عرضي لابتزازي ماليًا

إحسان عبد القدوس لأمه :

إن الله لم يخلق شيئًا أجمل من أمي، ولا أعظم من أمي

روز اليوسف لإحسان عبد القدوس :

أنت ولد " خسران "

يوسف صديق بطل ثورة ٢٣ يوليو لزوجته :

تعبت من إرسال قبلاتي إليكِ .. أريد تقبيلكِ بالفعل

أمل دنقل لشقيقه :

تكلم مع خالك الشاذلي يكلم عمك الشاذلي ويرهن الأرض

يوسف وهبي لمحمد كريم :

سلفني ألف ليرة يا كريم حتى يصرف لي أبي مصروفي الشهري

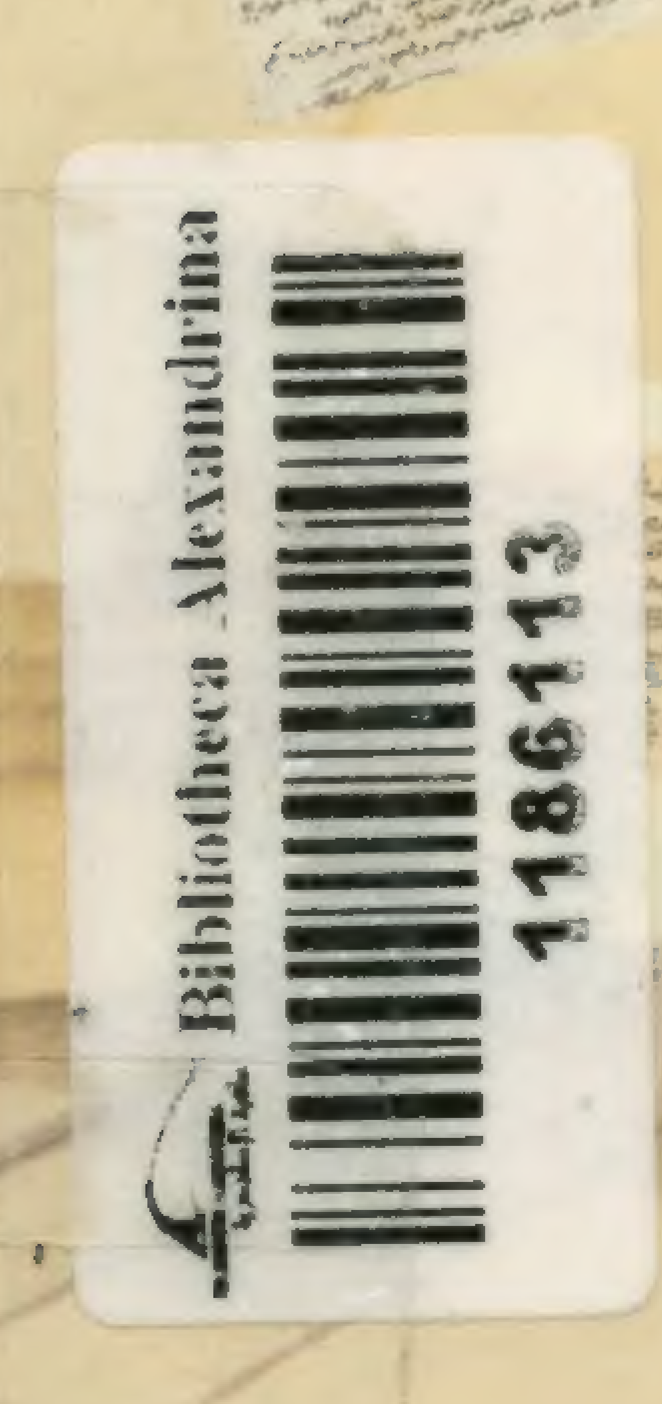

ISBN 9789773940010